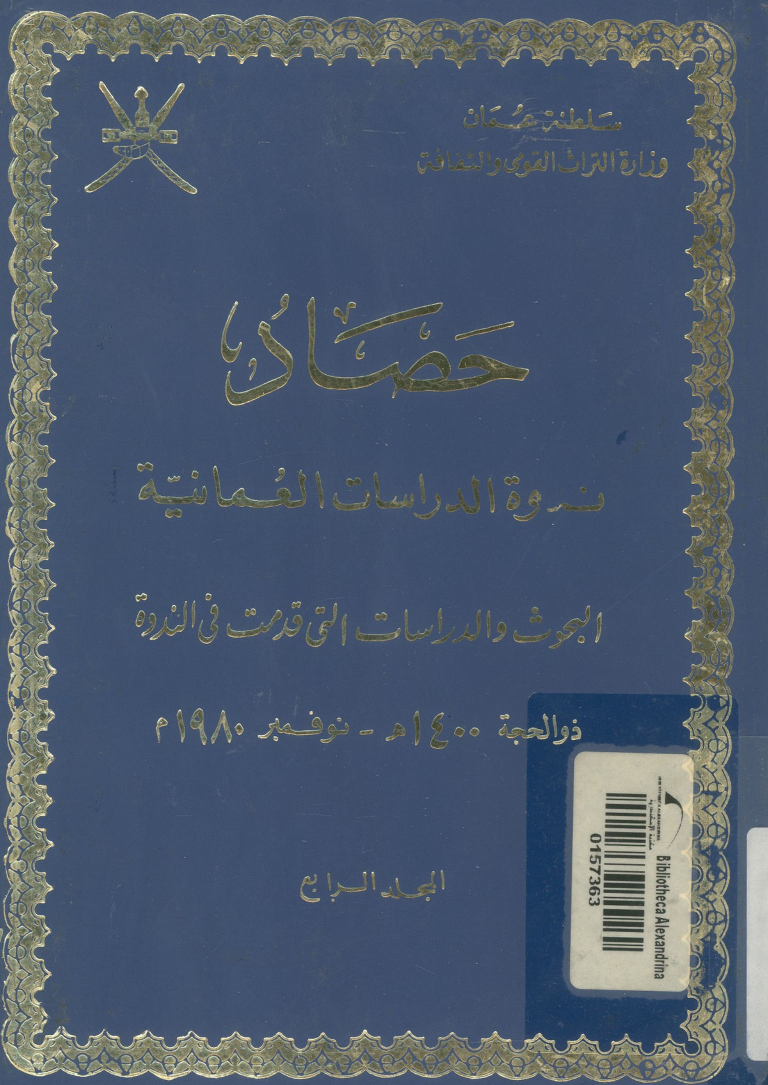
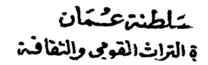
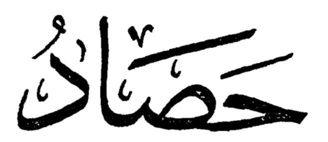

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
حصاد
ندوة الدراسات العمانية
البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة
ذو الحجة ١٤٠٠ هـ - نوفمبر ١٩٨٠ م
المجلد الرابع
Bibliotheca Alexandrina
01573363







ندوة الدراسات العمانية

ذو الحجة ١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م

المجلد الرابع

الآراء والمعـلومات الواردة فى هذه البحوث

تعبر عن رأى الباحثين وعلى مسئوليتهم

صفحات مطوية
من تأثيرات الحضارة العمانية في المغرب

للدكتور محمد سليمان أيوب

المقدمـــــة

تعد سلطنة عمـان منذ عصــور موغلة فى القدم مركزا حضاريا عالميا هاما ، وذلك أنها بحكم موقعها الجغرافى الــذى يطل على ثلاث بحــار هامة وهى : المحيط الهندى وبحر العرب والخليج ملتقى للحضارات الثلاث القديمة التى قامت فى أودية أنهــار السنــد ودجلة والفرات والنيــل ، فمنذ عصور مــا قبل التاريخ كانت الطرق البحرية التى ربطت المراكز الحضارية فى تلك الأودية الكبرى تمــر عبر عمان القديمــة وموانيها ، فلا شــك ان تلك الموانى أو الأســواق كانت عامرة بمنتجات تلك البــلاد المتباعدة ولاشــك وان التجارة التى ازدهرت فى عمــان الاســلامية كان لها أصل يمتد عميقا فى خــلال التاريخ القديم •

اذا ألقينا نظرة على خريطــة كل من سلطنة عمان والمملكة المغربيــة لوجدنا رغمــا عن بعد الشقة تشابها بينهما لحد كبير فى الموقع والتضاريس وفى تجــاوب الإنســان لتحــدى البيئــة •

فأما من ناحية الموقع فان سلطنة عمــان تقع فى أقصى الركن الجنوبى الشرقى للعالم العربى ، بينما تقع المملكة المغربية فى أقصى الركن الشمالى الغربى من العالم العربى ، أى أنهما يكونان زاويتين متقابلتين فى مستطيل يمثــل الأقطــار العربيــة ، واذا كانت عمــان تطل على بحــر وخليج ومحيط (البحر العربى ، الخليج ، المحيط الهندى ، فكذلك المغرب تطل على بحر وخليج ومحيط (البحر الأبيض المتوسط مضيق جبل طارق ، المحيط الأطلسى) •

هــذا من ناحية الموقع اما من ناحية التضاريس فان عمان فى مجموعة عبارة عن سهل ساحلى يتفاوت بين الضيق والاتساع تعقبه مرتفعات جبلية

تفصـل بين السهل الساحلى والصحراء بالداخل • وقد ساعدت تلك المرتفعات على حمل الرياح الموسمية أن تسقط أمطارها على سفوحها مما ســاعد على قيام حركــة زراعية نشطة ، كذلك الحــال بالنسبة للمغرب فقــد وقفت الكتل الصخرية التى تكــون جبال الأطلس حائلا بين السهل الساحلى (الذى يتفاوت بدوره بين الاتساع والضيق) وبين الصحراء فى الداخل • وقامت جبال الأطلس بالمغرب بنفس الدور الذى قام به الجبل الأخضر فى عمــان اذ كان العامل الفعــال فى اسقاط الأمطار الشتوية •

واذا كانت نسبة الأمطار فى عمان اليوم رغما عن وفرتها بالنسبة لباقى الجزيرة العربية قليلة ومحدودة فان الأمر لم يكن كذلك فى عصور ماقبل التاريخ ففى خلال أواخر الزمن الثالث الجيولوجى والزمن الرابع كانت كمية الأمطار التى تسقط على الجانب الجنوبى الشرقى من الجزيرة العربيــة غزيرة لدرجــة سمحت بتوفر أشجار الغابات على سفــوح الجبال وقــد استمر هــذا الحــال حتى قرابة الألف الســادس قبل الميلاد أو قبلهــا بقليل • فكانت الغابات مرتعا لحيوانات الصيــد وكان الإنســان الذى سكن تلك البقعــة والــذى لازلنا لليوم نجهل صفاته الســلالية يقــوم بصيد تلك الحيوانات البرية •

اما بالنسبة للمغرب فقــد أجريت منذ عصر الحماية الفرنسية بحوث تمخضت عن العثور على الكثير من بقايا عظام وحفائر الحيوانات الغابوية مثل الفيــل والخرتيت وفرس النهر وهى حيوانات لم يعــد لها وجــود بالمغرب الآن ، كمــا يمتاز المغرب أيضــا بالدراســات التى أجريت على السلالات التى سكنت فيه منذ بداية ظهــور الإنســان وهى الجماعات البشرية التى يطلق عليها الاصطلاح الســلالى Homo Erectus الــذى وجــدت جمجمته فى موقع سيدى عبد الرحمن قرب مدينــة الدار البيضاء و Homo Neanderthal الذى عثر على جمجمته فى احــدى الكهوف قرب مدينــة طنجــة •

ولقــد كان للبيئة تأثيرها منذ القدم على كل من عمــان والمغرب فقد احتفظت الأولى رغم كونها جــزء من جزيرة العرب بخصائص حضارية مميزة تختلف عن جيرانها ، فقــد احتفظ سكان عمــان دائما بدماثة اخلاقهم وهدوئهم وقــدرة اناملهم على مهارة الصناعــة فى مواجهــة جــيرانهم من البدو ، وكذلك الحــال بالمغرب فقــد أولع المغاربة بالبنــاء والتشييد والصناعة على عكس جيرانهم الذين لم يعنوا بالبنــاء الا قليلا • وتشبث العمانيون بالزراعــة وعملوا على تطويرها حتى أنهم ادخلــوا القنــوات الجوفية المعروفة بالافــلاج عندما قلت الأمطار ، وكذلك عمل المغاربة على نشر الزراعــة فى بلادهم واستغلال كافة طاقاتهم فى خلق دولــة زراعية نشيطــة •

ومنذ عصــور موغلة فى القدم عمــل العمانيون على قطع الأشجار من سفوح الجبال وصناعة السفن التى مخرت عباب البحار لتحمل التجارة والسلع بين مختلف البلاد المجاورة ، وكذلك عمــل المغاربة القدماء بالتعاون مع الفينيقيين أو الكنعانيين القدمــاء (والذين ترجع أصولهم الأولى الى عمــان) على قطع الأشجار وصناعة السفن التى ارتادت السواحل الأطلسية الافريقيــة •

واذا كانت التأثيرات العمانية على المغرب العربى غــير مباشرة فى عصــور ماقبل التاريخ وفى العصر التاريخى الباكر فإن هناك احتمالات قوية الى وجــود نوع من الاتصال المباشر بين عمــان والمغرب العربى خــلال فترة مــا من العصر التاريخى ويعزز ذلك وجــود شبه كبير بين لغة البربر بشمال افريقيا وعاداتهم وتقاليدهم والأدوات التى يستعملونها وبين بعض سكان عمان أمــا فى العصر الإســلامى فقــد حدثت هجرة عمانية تركت آثارها واضحة على معالم المغرب العربى ولازالت آثارها باقية الى اليوم •

الباب الأول

المتون والأساطير والآثار

يرد ذكر عمان فى وثائق الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور فنجـد أساطير السومريين وهم أقـدم من سكن جنوب العراق يذكرون بأن اجدادهم قد وفدوا من جنوب الخليج وعلى حـد تصويرهم من جزيرة تشرق عليها الشمس لا يوجد بها لا مرض ولا حزن ولا كآبة ولا موت :

« لا ينعق فيه الغـراب

لا يفترس فيه الأسـد

لا يأكل الذئب فيه الحمل

لا تعيش فيه الكلاب المفترسة »

وسميت تلك البقعـة بجزيرة ديلمون ، وهى الجزيرة التى كافأ انليل معبود سومر بهازيوسيدرا الذى نجى بفلكه من الطوفان ، اذ نجـد فى أقـدم قصـة سومرية عن بداية البشرية ، ان الآلهـة كانت قـد عولت القضـاء على البشر فسلطت عليهم طوفانا لاغراقهم الا أن أحد الآلهة اشفق على البشر فافشى السر الى زيوسيدرا ملك مدينـة سيبار فى جنوب العراق وقام هذا الملك ببنـاء سفينة انقذته وأسرته وحيواناته من الغرق ولقـد ندمت الآلهة لاهلاكها البشر لحاجتها اليه فى تقديم القرابين ويعبر زيوسيدرا عن ذلك بقوله :

« وشعر انليل بخطئه وصعد الى السفينة

وأخذنى بيده وسجدت أمامه وباركنى

وقال باننى وزوجى كذلك سنمنح الخلود

وكذلك ستحيا مثل الآلهة فى جزيرة العبور

الكائنة عند مشرق الشمس فى دلمن ••• » (١)

واذا كان المؤرخون لم يتفقوا بعــد على تحــديد دلمن وموقعها على شــواطىء الخليج فانها على الأرجح المقصــود بها عمان ذلك أن أقــدم نسخة من هــذه القصــة ترجع الى الألف الرابع قبل الميلاد وهى أسطورة ذات خلفية تاريخية ترجع وقائعها الى الألف السادس قبل الميلاد عندما تعرض جنوب العراق لعواصف رعدية ومطرية تسببت فى فيضانات دجلــة والفرات • خلال هذه الفترة ، ومن الثابت مناخيا وجيولوجيا ان عمــان كانت جنة وافرة المياه خضراء سندسية الأرض ولذا فقد اعتبرها السومريون أرضــا مثالية للسكنى ولــذا فقــد عبروا عنها بأنها الجنــة الموعودة •

واذا كان الشــك محفوفا بتحديد تسمية عمــان بدلمن ، فقــد وردت فى النصــوص الاكادية تسمية أخرى للبلاد وهى بلاد الفضــة وذلك اشارة الى كثرة وجــود ذلك المعــدن قديمــا فى عمــان • وأول ما وردت تلك التسمية فى اللوحــة الخاصــة بالملك المسمى (مــا ــ نى ــ شتوســو) الذى حكم ٢٣٠٦ ــ ٢٢٩٢ ق • م بالعراق القديم والتى تقول بأن ذلــك الملك قــد أحضر معــدن الفضــة من البلاد الجبلية الواقعة عند أسفــل الخليج •

واذا كانت اللوحات الاكادية التى ترجع لما قبل القرن الثالث والعشرون قبل الميلاد تشير الى وجــود صــلات تجارية وسلمية بين العراق وعمان فان نص الملك نرام ــ سن الاكادى ٢٢٩١ ــ ٢٢٥٥ ق • م تشير الى حدوث مصادمات عسكرية بين ملوك الساحل العمانى والاكاديين وتشير تلك الوثائق الى عمــان باسم جديد هــو مجن • ولعل ذلك الصراع كان سببه محاولة

الاكاديين انتزاع سيادة طريق التجارة عبر المحيط الهندى الى الهند من يد سكان مجن أو العمانيين القدماء ، ويبدو بأن الاكاديين ومن بعدهم السومريين قد سلموا بسيادة العمانيين البحرية وقنعوا باستقبال السفن العمانية القادمة بتجارة الهند وتوابل جنوب الجزيرة العربية ويوضح نص للملك السومرى جوديا (٢١٠٠ ق ٠ م) هذا الأمر بقوله : « من عيلام جـاء بالعمال ومن سوسا بالصناع ومن جبال مجن بالخشب والديوريت ٠٠٠٠ » [٢] ٠

ولم يأت العصر العمورى الا وكانت سفن مجن تصل الى المـدن العراقية على ضفاف دجلة والفرات حاملة الخشب والديوريت والمرمـر والنحاس والفضـة وتقايض به الشعير والقمح والملابس والمصنوعات والأسلحة [٣] ٠ وكانت تلك الفترة هى التى كان فيها سيدنا ابراهيم مستقراً وقومه فى مدينة أور ٠

وفى خلال الألف الثانى قبل الميلاد وما بعدها نجد أن صـلات عمان وجنوب الجزيرة العربيـة تزداد وثوقا مع وادى النيـل فنجد النصـوص الفرعونية تذكر جنوب الجزيرة العربيـة باسم بـلاد بونت واذا كانت النصوص السومرية والأكادية تسمى عمان بأرض الآلهة أو أرض الخلـود فان المتون المصرية القديمة بدورها قد اضفت نفس الصفات على عمان [٤] ٠ واذا كانت المواد الرئيسية فى تجارة عمـان مع بلاد ما بين النهرين هـو الفضـة والنحاس والأخشـاب الثمينة وأشجار المر والصمغ ، كذلك تاجر العمانيون مع المصريين فى تلك السلع ٠

ونظرا لكثرة الوثائق المصرية التى ذكرت اتصال الفراعنة بعمان لذلك فاننا سنجمل أهم الرحلات التى وردت فى تلك النصوص فيما يلى :

١ ـــ رحلة تمت فى عهد الملك خوفو بانى الهرم الأكبر [٥] ٢٥٩٠ ق ٠ م ٠

٢ ـــ رحلة تمت فى عصر الملك سحـورع [٦] (مـن الأسرة الخامسـة ٢٤٥٠ ق ٠ م) ٠

٣ ــ رحلة تمت فى عصر الملك اسى [٧] (من الأسرة الخامسة أيضا) •

٤ ــ رحلتان تمتا فى عصر الملك ببى الثانى [٨] (من الأسرة السادسة ٢٢٠٠ ق • م) •

٥ ــ رحلة تمت فى عصر الملك منتوحتب الثالث [٩] (من الأسرة الحادية عشر ٢٠٠٠ ق • م) •

٦ ــ رحلة تمت فى عصر الملك امنمحات الثانى [١٠] من الأسرة الثانية عشر ١٩٢٠ ق • م •

٧ ــ رحلة تمت فى عصر الملك سنيزوستريس الثانى [١١] من نفس الأسرة ١٨٩٥ ق • م •

٨ ــ الرحلة الشهيرة التى تمت فى عصر الملكة حتشبسوت [١٢] والتى نقشت صورها فى معبد الدير البحرى ١٤٨٠ ق • م •

٩ ــ رحلة فى عصر حورمحب [١٣] ١٣٠٨ ق • م •

١٠ــ رحلة فى عصر سيتى الأول [١٤] من ملوك الأسرة التاسعة عشر ١٢٩٧ ق • م •

١١ــ رحلة فى عصر رمسيس الثالث [١٥] من ملوك الأسرة العشرين ١١٦٠ ق • م •

وبطبيعة الحال فان المتون الفرعونية لم تعنى بتقييد سوى الرحلات الرسمية التى كان يقوم بها رجال البلاط ومن كثرة هذه الرحلات وعناية الجانب المصرى بتدوينها ورسم مناظرها على جدران المعابد الكبرى بالعاصمة مثل معبد الدير البحرى نستنتج أن التجارة المصرية مع جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة كانت ذات حجم كبير •

واذا كانت الوثائق الميزوبتامية تشير الى أن الموانى التى كانت تأتى منها سفن مجن الكبيرة كانت تقع على الشاطىء الشرقى بعمان أى السواحل المحصورة بين مضيق هرمز أو خطمة الملاحة وميناء صور ، فان المتون المصرية على العكس تشير بأن معاملاتهم كانت أكثر مع ظفار حيث تنمو أشجار الصنط والصمغ والبخور .

ومن المحتمل أن الموانى التى كانت سفن النيل ترسو عندها كانت ميناء سمحرام (موشا القديمة) . واذا كانت أكثرية النصوص العراقية القديمة التى تكلمت عن عمان ترجع للألف الثالث قبل الميلاد فان الوثائق والمتون المصرية تعود للالفين الثانى والأول قبل الميلاد ويعنى ذلك أن جنوب عمان صار منذ أواخر الألف الثانى هو مركز الثقل التجارى لا القسم الشرقى الذى كان يتمتع بالميزة من قبل .

ويتفق هذا الأمر مع منطق التاريخ اذ نجد ان الازدهار الذى تمتع به جنوب العراق بفضل صلاته مع عمان والهند قد انقضى عهده بعد اضمحلال الجنوب وانتقال السيادة الى دولة الأشوريين فى شمال العراق وبالتالى فان الطرق البرية المؤدية للهند عبر ايران صارت أفضل للوصول الى العاصمة نينوى من الطريق البحرى .

وأدى ضعف الاتصالات التجارية مع جنوب العراق وازدهار التجارة مع وادى النيل عبر بحر العرب والبحر الأحمر الى ازدهار السواحل الجنوبية من عمان . ولاترجع أهمية عمان القديمة الى كونها حلقة الصلة بين وادى النيل وبلاد ما بين النهرين من جهة ووادى السند من جهة أخرى فقط بل كانت عمان لاسيما قبل القرن العاشر قبل الميلاد هى أسلم الطرق وربما أقصرها أيضا بين مصر والعراق ذلك أن الطريق الذى كان يسير عبر بادية الشام وصحراء الأردن لم يكن مطروقا فى تلك الأزمنة الساحقة لجدبه من ناحية ولأنه لم يكن مأمونا نظرا لغارات البدو القاطنين به من ناحية أخرى .

لذلك كان لابد للقوافل أن تسلك الطرق الشمالية التى كانت تسير عبر الفرات شمالا حتى طرابلس (قرقميش) ومن هناك تسير غربا عبر مدينة حلب الى سهل البقاع ومنها الى ساحل البحر حتى مدينة بيلوس ومنها بحرا الى مصر • لاشك وان هذا الطريق أطول بالنسبة لتجار أور واريدو وغيرها من مدن جنوب العراق الذين كانوا يسافرون بحرا عبر الخليج وبحر العرب الى مجن أو ساحل ظفار ومنها عبر خليج عدن والبحر الأحمر الى مصر حيث كانت توجد موانىء على البحر الأحمر قبالة الأقصر عاصمة مصر القديمة كما كان هناك فرع من النيل يصب فى البحر الأحمر قرب السويس وكانت السفن تسلكه لتدخل فى نهر النيل •

ولعل أقدم أثر ميزوبتامى عثر عليه بمصر هو يد سكين مصنوع من العاج عثر عليه فى جبل العرق فى جنوب مصر • وهذه القطعة الأثرية محفوظة اليوم فى متحف اللوفر بباريس [١٦] • وعلى هذه اليد تظهر نقوش توضح التأثيرات العمانية على الفن المصرى فى عصر ما قبل الأسرات (٣٤٠٠ ق • م) • فالشخص الطتحى الذى يظهر فى النقش (انظر الصورة رقم ١) يبدو من هيئته وملامحه وملابسه انه شكل غير مصرى بل يبدو أقرب شبها بالصور التى توجد على الأختام الاسطوانية الميزوبتامية والتى تمثل سكان مجن •

اما على الوجه الآخر من اليد فقد نقش منظر يمثل قتالا بين جماعتين تتميزان بأنهما لايرتديان سوى نقبة تستر وسط الجسم فقط وأحد الفريقين طويل شعر الرأس على هيئة سكان بونت الذين مثلوا فى نقش معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت •

أما الفريق الآخر فقد رسم حليق الرأس على هيئة المصريين ، وتحت منظر المتصارعين نقش يمثل سفنا يعلو صواريها الأهلية (انظر الصورة

رقم ٢) [١٧] ويذكرنا هــذا النقش بالصور الموجودة على الأختام السومرية والتى تمثل سفن مجن (أنظر الصــورة رقم ٣) • ولقد ذهب بعض المؤرخين لدرجة القول بأن هجرة وفــدت من جنوب الجزيرة العربية هى التى جاءت بالأسرات التى حكمت مصر فى عصر ماقبل الأسرات حتى توحــدت عــلى يد مينــا •

واذا كانت الصور الآدمية التى وجــدت على يد السكين مــن جبل العرق بمصر ترجع لعمــان القديمــة وكذلك النقوش التى تمثل السفن فاننا نرى تلك المناظر تتكرر ســواء الآدميين أو السفن ولكن هذه المرة فى بقاع بعيدة جــدا عن عمان وعن مصر فى قلب الصحراء الكبرى ، فى جبال اتاكوس بشرق الجزائر وجبال الهجار فى جنوب الجزائر ، واذا كانت صــور الآدميين تشــير الى هجرة عبر جنوب مصر أو السودان فى فترة ما خــلال الألف الثالث أو الثانى أو الأول قبل الميلاد من عمان الى بلاد المغرب العربى فان وجــود رســوم تمثل السفن التى على هيئة سفن مجن فى قلب الصحراء وفى بلاد بعيدة عن البحــر يثير دهشــة البحاثة لحــد كبير •

ويعتبر النقش الذى أمرت الملكة حتشبسوت برسمــه على جدران معبد الدير البحرى بوادى الملوك تخليداً لذكرى الرحلة التى تمت الى ساحل ظفار فى عهدها أقــدم رسم وضح فيه الفنانون المصريون بدقــة منظــر أشجار صمغ المر التى شحنت فى السفن الى مصر الى جــوار الأخشــاب ذات الرائحــة الحلوة وأصباغ العيون والبخــور وغيرها ســواء من غلات البلاد المحلية أو من الواردات عن طريق التجارة البحرية مع الهند • (انظر الصــورة رقم ٤) •

واذا كانت النصــوص المكتوبة قد أنارت للبحاثة الطريق لكشف خبايا التاريخ فان التنقيبات الأثرية هى الكفيلة بتقديم الأدلة الحاسمة ســواء المؤكدة أو النافية للتفسيرات التى يقدمها علماء التاريخ لتلك الوثائق •

ورغمـا عن أن عمان حديثـة العهـد بالبحث الأثرى الا أن التحريات والتنقيبات التى جرت الى الآن بالبلاد قد أظهرت وجود العديد من القبور والاضرحـة المبنية بالحجـر على شكل خاص تشبه القباب وقد رصت فيه الأحجـار فوق بعضها على شكل قوالب لايربط بينها ملاط . وقد عثـر على نمـاذج من هذه القبور فى مصر فى بلاد النوبة ، كمـا تم العثور على الكثير من تلك المقابر ، فى أرفود بالمغرب .



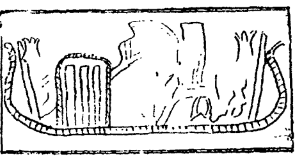
شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)

الصورة رقم (١) يد السكين من جبل العرق (جنوب مصر) لاحظ سحنة الرجل الذى يتوسط الأسدين وملابسه .

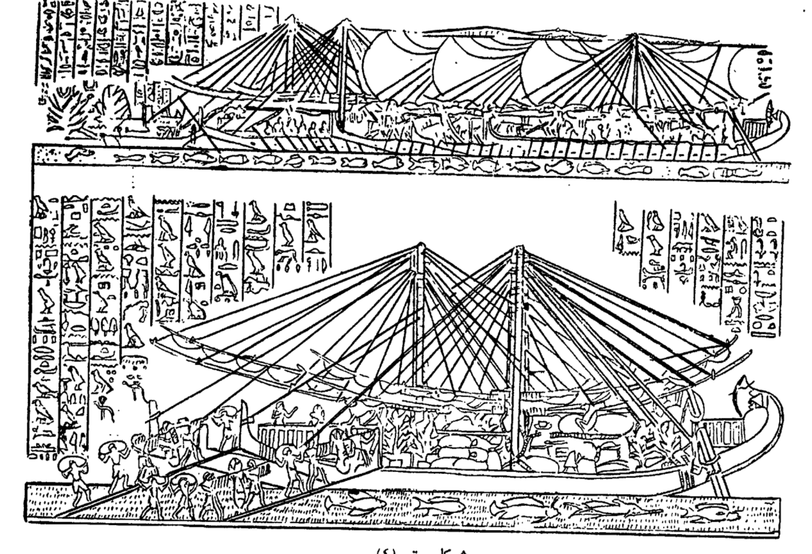
الصورة رقم (٢) الوجه الآخر ليد السكين . لاحظ الفرق بين المتصارعين وكذلك الأهلة التى تعلو صوارى السفن وهى العلامات المميزة لسفن مجن .



شكل رقم (٣)

(الصورة رقم ٣) سفن مجن كما تبدو فى الاختام السومرية .





شكل رقم (٤)
(الصورة رقم ٤) سفن الملكة حتشبسوت على سواحل بونت (ظفار ؟)
كما تظهر فى نقوش معبد الدير البحرى (نقلا عن كتاب برستد) .

وقد تتبع الأستاذ كامبس Camps انتشار هذه القبور فوجد أنها جاءت من الجزيرة العربيـــة عبر البحـــر الأحمر الى جنوب مصر وبلاد النوبة ومنها عبر الصحراء الكبرى (فزان) ثم الجزائر فالمغرب ومما لاشك فيه أن أصل هـــذا النوع من المدافن هو عمـــان إذ أنهـــا ترجع هناك الى الألف الرابع قبل الميـــلاد ، أمـــا فى مصر فترجع للألف الثالث ، أمـــا فى المغرب فترجـــع الى أوائل الألف الثانى قبل الميلاد [١٨] .

ويطلق على هـــذا النوع من المقابر بالمغرب اســـم القبور التليـــة Tumulus (انظر الصـــورة رقم ٥ ، ٦ ، ٧) . ويتفق الأستاذ حمـــيد المصمودى (وهو باحث مغربى فى التاريخ القديم) مع كامبس فى أن المقابر التلية بالمغرب انما هو تأثير عربى وافد من جزيرة العرب وعلى الأرجح من عمـــان ، بل يذهب لأبعد من ذلك ليقول بأن حتى الأضرحـــة الكبيرة مثل ضريح مزورا فى شمال غرب المغرب وحتى ضريح قبر النصرانية فى شريشال (غرب مدينـــة الجزائر العاصمة) عبارة عن تأثيرات عمانيـــة أمـــا مباشرة واما تكون قد جاءت من الجزيرة العربية مبسطة ثم تطورت محليا بالمغرب العربى الكبير [١٩] .

واذا كانت المقابر والمدافن توضح الصلة القديمـــة بين المغرب وعمان . كذلك الأمـــر بالنسبة للرســـوم الصخرية فى كل من شمال أفريقيا وعمان .

والرسوم الصخرية من أقدم الفنون التى مارسها الإنسان . اذ أنه مارسها اما بدافع من غريزة حب الفن والجمال أو للتعبير عن شعوره أو لأغراض سحرية خفية لجأ الإنسان الى تصوير نفسه والبيئة التى تحيط به من حيوان أو نبات أو جمـــاد وذلك على صخـــور الحقاف والكهوف التى كان يلجأ اليهـــا وقـــد وجدت الرسوم التى تمثل الحيوانات التى تعيش اليوم فى المناطق الاستوائية منقوشـــة على صخور عمان وجبال المغرب فى أماكن لم تعد تلائم اليوم معيشـــة تلك الحيوانات مما يقطع بأن تلك الصور

لنمـا نقشت عندما كان المناخ ملائمـا لحياة الحيوانات الاستوائية التى يتطلب بقاؤها كمية وافرة من المياه والأعشاب أى قبـل أن تحـل فترة الجفاف ، ومن الأمـر المحـير أيضـا تشابه النقوش التى تمثل الحروف والكتابات القديمة فى كل من النقوش الصخرية فى عمان والمغرب فهل انتقلت حروف التفيناغ التى كتب بها بربر شمال أفريقيا القدمـاء أيضا من عمان ؟ ومتى تم ذلك وكيف ؟



شكل رقم (٥)

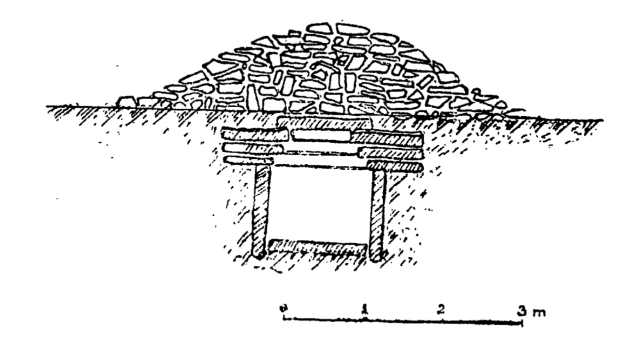
(صورة رقم ٥) قبر مقبى من قبور عمان القديمة



0 2 4 6 8m

شكل رقم (٦)

(صورة رقم ٦) قبر تلى بوادى درعة بالمغرب .



شكل رقم (٧)

(صورة رقم ٧) قبر تلى بارفود بجنوب المغرب .



ملاحظـات البـاب الاول

1. Sollberger E.; The Flood. pp. 20-24.
   (Publications of The Brilish Museum - London 1971.

2. Roux G.; Ancient Iraq (Pelican 1964) pp. 59-61.

3. Kramer S. N.; History begins at sumer
   (New York) 1956 pp. 65-69.

4. Oric Bates; The Eastern Libyans. (Macmillan London 1914).

5. Breasted J. H.; Breasted Ancient Records of Egypt.
   Vol II 247. (New-York 1962).

6. Ibid; B. A. R. Vol I 161.

7. Ibid; B. A. R. Vol I 351, Vol II 247.

8. Ibid; B. A. R. Vol I 360, 361; Vol II 274.

9. Ibid; B. A. R. Vol II 247.

10. Ibid; B. A. R. Vol I 650.

11. Ibid; B. A. R. Vol II 247.

12. Ibid; B. A. R. Vol II 246-295.

13. Ibid; B. A. R. Vol. III 37-39.

14. Ibid; B. A R. Vol. III 116.

15. Ibid; B. A. R. Vol IV 407.

16. Bénédite G-; Le couteau de Gebel el Arak. Fondation piot vol 22
    1961 p 1. 1 pp. 1-34.

17. Britchard J.; The Ancient Near East in Pictures nos. 104, 673.

18. Camps G.; Monuments et rites funéraires protohistorique p. 184.

١٩ — المصمودى حميد ، المغرب فى عصر ما قبيل التاريخ صفحة ٣٩

الباب الثانى

الكتاب الأغريق والرومـــان وعمـــان

« فى هذا الباب رصد لبعض ما ورد فى المصادر الاغريقية والرومانيه عن عمان ، دون ربط ذلك بموضـــوع البحث وهو اثر الحضارة العمانية بالمغرب العربى ، ولكن البـــاب على كل حـــال لا يخلو من فائدة » ...

(د . عبد الحليم يوسف)

كانت معرفة الأغريق حتى زمن الاسكندر المقدونى بجزيرة العـــرب محدودة للغاية ، ويرجع السبب الرئيسى لذلك الى بعـــد البحار المحيطة بجزيرة العرب عن بلادهم بالاضافة الى وقوعها خلف حدود الامبراطورية الفارسية وهى بلاد ناصبت اليونان العداء لفترة طويلة . ويتضح جهـــل الاغريق ببلاد العرب قبل القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد من أن مفكرا كبيرا مثل هيرودوت لم يذكر سوى معلومات يسيرة عن جزيرة العرب [١] . ولم يكن هيرودوت يعرف شيئا عن الساحل العمانى ولو أنه ذكر بأنه كان من بين العرب من جاورت مضاربهم بلاد الهند [٢] .

ويعتبر الاسكندر المقدونى أول يونانى احيط علمـــا بالساحل العمانى من الجزيرة العربيـــة ، ذلك أنه أمـــر هيرون الصولى أن يبحر بأسطوله من بابل الى خليج السويس ، وقد كتب ذلك الأمـــيرال البحرى فى مذكراته وصفا ضافيا لرحلته وللبلاد التى مر بها [٣] .

هذا وترد اشـــارة أخرى فى حوليات الاسكندر انه أرســـل فى الوقت نفسه سفينة لتطوف حـــول جزيرة العرب من الجهة المعاكســـة أى ابتداءاً من خليج السويس ولكن على ما يبدو فان الرحلة الثانية قـــد عجزت عن

اكمال مهمتها فعادت بعد أن وصلت الى بوغاز باب المندب [٤] ربمـــا لنفاذ المؤن أو لاشتداد الرياح •

ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد أصبحت البلاد العمانية وثيقة الصلة بعالم البحـــر الأبيض المتوســـط ، فنجـــد فى وثائق العـــالم الهلنستى ، (وهـــو الاصطلاح الـــذى أطلق على العالم الذى صبغته فتوحات الاسكندر بالصبغة اليونانية) ذكر أعلام جديدة تظهر لأول مرة فى وثائق الشرق الأدنى القديم مثل قطبان وسبأ ومهرا • تشير احـــدى وثائق بطليموس الثانى التى ترجع إلى ٢٧٦ أنه بعد أن أعاد حفـــر القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر (قرب مدينة السويس الحالية) أرســـل عددا من السفن أبحرت فى البحر الأحمر وخرجت فى بحر العرب ووصلت حتى الساحل المقابل لبلاد الفرس (عمـــان) •

وقـــد وردت أخبـــار تـــلك الرحلـــة فى كتب ديودور الصقلى [٥] وسترابو [٦] • ويعزو (تارن) أسباب تلك الرحلة الى الصراع الذى نشب بين قـــواد الاسكندر الأكبر والذين اقتسموا امبراطوريته من بعد موتـــه فاستولى سلوقس على العراق وسوريا بينما استولى بطليموس على مصر وأراد كل قائد منهما احتكار تجـــارة التوابل والبخور القادمة عبر عمان ، فعمـــد الأول الى تنشيط التجارة فى الخليج وفتح موانى دجلة والفـــرات لسفن عمـــان ، بينما أرســـل الثانى سفنه الى ســـواحل عمان الجنوبيـــة لشراء المر والبخور من أســـواق عمان نفسها [٧] •

ويورد سترابو ان السبب فى الرحلات الهلنستية ســـواء من مصر أو مملكة السلوكيين لم يكن المر والبخور فحسب بل كان الذهب أيضا ، واننى وان كنت استبعد وجـــود الذهب بكمية تجارية فى جزيرة العرب لدرجـــة تشجع الحكام الهلنستيين بالمغامرة بارسال أساطيلهم وتجارهم الى عمان وجنوب الجزيرة العربية فى خلال تلك العصور التى لم تكن فيها وســـائل

النقـل مريحـة كما هو الحال الآن ، الا أنه لايمكن استبعاد أن يكـون التجـار العمانيون يحصلون على تبر الذهب من الهند ثم يصدرونها لعالم البحر الأبيض المتوسـط سـواء خاما أو بعد صناعته ٠

ونرى فى الكتب البطلمية أن الرحلات قـد أصبحت سجالا بين سواحل عمان وموانى البحـر الأحمر فى مصر بل أن السفن العمانية صارت تصل حتى الى الاسكندرية عبر القناة التى كانت تصـل النيل بالبحر الأحمر ٠ وتطالعنا المدونات المعاصرة الى أن سفن القراصنة من العرب الذين يسكنون سـواحل البحـر الأحمر الشرقية حاولت قطع هذا الشريان التجـارى الهام الا أن الملوك البطالمـة قد تدخلوا بحزم فطهروا البحر الأحمـر من القراصنة واستمرت التجارة بين شواطىء بحر العرب ومصر ٠

ويقدم بوليبيوس الدليل على صحـة ما أورده هـؤلاء الكتاب الاغريق من واقـع الأحـداث التاريخية فقد دفع الصراع الذى نشب بين انتيوخس الثالث وبطليموس الرابع بقبائل النبط التى كانت ترعى بجمالها بين مشارف غزة والشـام الى التقهقر بعيدا عن ساحة الحرب والالتجاء الى المنطقة الواقعة حول خليج العقبة ووجدت نفسها تتحكم فى الطرق التاريخية التى تربط دمشـق والقـدس بجنوب الجزيرة العربية ومن ثم وجدت نفسها حليفا طبيعيا لانتيوخوس ملك سوريا ضـد البطالمة ملوك مصر ٠

ولمـا كان الطريق البحرى فى البحر الأحمـر وهو الذى كان تحت سيطرة البطالمـة هـو المنافس الوحيد والخطر لطريقهم البحـرى ولـذا فقـد عملوا جاهدين لمحاولـة اغلاق ذلك الطريق ومن ناحية أخـرى كان هذا الطريق شريان حياة أو مـوت بالنسبة للبطالمة ولذا كان التصادم الذى كان فيه النصر فى النهاية للبطالمة (٨) ٠

وبسيطرة الرومان على شرق البحر الأبيض المتوسط لم تتغير الأحوال الاقتصادية بالمنطقة ، بل ظل التجـار اليونان بالاسكندرية فى نشاطهم وظل

البحر الأحمـر وسيلة الاتصـال مع عمان وظل تجار عمـان وبحارتها هم الوسطاء بين العالم الرومانى من ناحية والهند من ناحية أخـرى وزاد اعتماد الرومان على التجـارة العمانية بعد أن ناصبتهم الامبراطورية الفارسيـة العداء منذ القرن الأول الميلادى •

ولايعرف على وجـه التحديد السبب الذى من أجلـه أرسل أغسطس حملة الى بلاد العـرب (الساحل الغربى للبحـر الأحمر) ويبـدو الأهمية التى كان يعلقها أغسطس على الحملـة من أنه نصب جايوس قيصر ربيبه قائدا للحملة فلمـا مرض وعجز عن القيام بالحملـة حـل محله أحد القواد من طبقة الفرسـان •

ومن المحتمل أن الغرض من تلك الحملة كان حماية الطريق البحـرى عن طريق تأديب البدو وسكان السـواحل الذين كانوا يمارسـون القرصنة فى عرض البحر أو يقتلون بحارة السفن الذين يلجئون الى الشواطىء للمبيت ليـلا أو هربا من الأنواء • ولانعرف الكثير عن أخبار هـذه الحملة الا أنها صادفت صعوبات ولاقت الكثير من العنت والشقاء نتيجـة للطقس وطبيعة بلاد العرب القاسية وشمسها المحرقة •

وباضمحلال مدينة الاسكندرية فى العصر الرومانى نتيجة للاضطرابات التى نشبت سـواء بين اليهـود واليونانيين أو بين المسيحيين والوثنيين فقد البحر الأحمـر أهميته كطريق تجارى هام بينمـا اكتسبت مواقع جديدة مثل البتراء عاصمـة النبطيين وتدمر أهمية نتيجـة لوقوعها على الطرق البريـة الجديدة التى حلت محـل الطـرق القديمـة ، وهى الطرق التى كانت تربط ظفار وحمـير بدمشـق عبر مكة ويثرب والطرق التى كانت تبدأ من الموانى التى تنتهى عندها سفن عمـان على السـاحل الشمـالى للخليج الى انطاكية عبر تدمـر •

وهكذا عـاد لشرق عمـان وشماله أهميته بعد أن ظلت منطقة ظفار مركز التجارة لعمـان مدة طويلة من الزمـان •

وفى القرن الرابع الميلادى نجحت قبائل الحبشات اليمنية من تأسيس امبراطورية امتد نفوذها من نجران واليمن الى ارتريا والحبشة والسودان وبلغت حتى حدود مصر الجنوبية وهى الدولة التى عرفت فى التاريخ بمملكة أكسوم • تحكمت هذه المملكة بحكم موقعها فى مدخل البحر الأحمر من الناحية الجنوبية واستغلت وجود ظفار فى شرقها لكى تقوم عن طريق السفن العمانية بتجارة واسعة النطاق لا مع الهند فحسب بل مع الصين أيضا ، فقد عثرت البعثات البريطانية والأمريكية للتنقيب على الكثير من المخلفات والأدوات الأثرية فى مقابر السودان المعاصرة لهذه الفترة والتى ترجع صناعتها الى بلاد الصين •

ولم تكن صلة الاكسوميين مقتصرة على بلاد الفرس والامبراطورية الرومانية فحسب بل انها كانت على علاقة تجارية وطيدة مع مملكة مروى فى السودان ومع قبائل الجرامنت فى الصحراء الكبرى ومع قبائل جدالة فى المغرب الجنوبى وعلى السواحل الأطلسية ولايستبعد أن تكون الأزياء والحلى وأدوات الزينة التى نراها عند قبائل المغرب العربى الكبير لاسيما فى مناطق جبال الأطلس بصحراء الجزائر وسلسلة الأطلس الكبير بالمملكة المغربية ترجع لهذه الفترة أيضا •

ملاحظات الباب الثانى

1. Herodotus; Histories,

2. Herodotus; Ibid,

3. Tarn W. W.; Ptolemy II and Arabia; in Journal of Egyptian Archeology Vol. XV pp. 9-20 (London 1929).

4 Theophrastus; Hist. Plant., IX 4, 2-4.

7. Pliny. VI 152.

5. Diodorus; III, 42, 1.

6. Strabo; XVI, 776-8.

7. Tarn; Ibid p. 14.

8. Polybus V, 71.

الباب الثالث

الملك الموريتانى يوبا الثانى ومدوناته عن عمان
(القرن الأول ق ٠ م)

ليست موريتانية التى نعنيها هنا هى جمهورية موريتانيا الحالية ولكنها الاسم الذى عرفت به المنطقة الغربية من الجزائر والشمالية من المملكة المغربية الحالية وقد أسس بها قبائل المور مملكة فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد وسع ملوك هذه الدولة أملاكهم على حساب جيرانهم النوميديين من سكان الجزائر وكذلك على حساب المدن التى أسسها الفينيقيون والقرطاجيون على سواحل المحيط الأطلسى ٠ ولقد أفادهم اتصالهم بالرومان فى مبدأ الأمر اذ منحهم الرومان نصف أملاك مملكة نوميديا لمساعدتهم للرومان فى قهر يوغورتا ملك نوميديا الا أن مغامرة ملوكهم فى المنازعات التى نشبت بين القواد الرومان الذين عقبوا سلا أدى الى استيلاء الرومان على البلاد بعد أن شغر عرش موريتانى بعد موت الملك بوخوس الثانى الذى لم يعقب وريثا يتولى العرش ٠

وفى المنازعات التى ألمت بالقواد الرومان فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد انحاز الملك النوميدى الجزائرى يوبا الأول الى جانب القائد الرومانى يحى ضد قيصر فلما هزم يحى وأتباعه انتحر يوبا الأول بينما سارت أسرته وأبناؤه فى مركب نصر يوليوس قيصر فى مدينة روما مصفدين بالاغلال ٠

كان ضمن تلك الأسرة التعيسة الحظ ولد صغير للملك الراحل اسمه أيضا يوبا وهو المعروف فى تاريخ بلاد المغرب العربى باسم يوبا الثانى ٠

وكعادة الرومان مع أبناء الملوك والأمراء من أعداء روما ، فقد

قـــام قيصر بتربية ذلك الصبى فى منزله ، وانتقل الصبى بعد اغتيال قيصر على يد أعضـــاء مجلس الشيوخ الرومانى الى منزل ربيب قيصر وهـــو اكتافيوس حيث أشرفت أخته أكتافيا زوجـــة القائد الرومانى انطونيو على تربيتـــه •

وهناك تلقى يوبا ثقافته العالية على يد أساتذة من الاغريق والرومان ، وبلغ درجة عالية من المعرفة لدرجـــة أنه عد الرجل المثقف المثالى والعالم الأول فى عصره •

وقد صادف بلوغـــه سن الواحد والعشرين ان اضطربت الأحوال فى النواحى الغربية من شمال أفريقيا حيث ثارت قبائل البربر التى أخذت تغير على المستعمرات الزراعية التى أقامها الرومان هناك فوجـــد اكتافيوس أن أنسب شىء هو أن يولى على البربر ملكا منهم يسوسهم لاسيما وأن ربيبه يوبا الثانى مشبع بالثقافة الرومانية •

ولم يضيع أكتافيوس الفرصـــة فأرسل يوبا الثانى ملكا على موريتانيا بعد أن زوجه من أميرة هى كليوباترا سلينى ابنة كليوباترا الملكـــة المصرية الشهيرة من أسرة البطالمـــة والتى كانت قد تزوجت أنطونيو وأنجبت منـــه تلك الأمـــيرة • وكان الزوجان كليوباترا الأم وانطونيو قد انتحرا بعـــد هزيمـــة جيوشهما أمـــام جيوش اكتافيوس ، وأسرت الابنة كليوباترا سلينى وربيت أيضـــا فى بيت اكتافيوس •

ولم تمنع أعباء الملك الموريتانى من التأليف فى مختلف فروع المعرفـــة التى كانت شائعة فى عصره فكتب عن علم الحيوان [1] موسوعة نقل منه كثير من العلماء الذين جاءوا بعـــده ، وكتب العديد من كتب الجغرافية عن مختلف جهات العالم المعروف فى عصره ، بل انه أرسل البعوث الاستكشافية

• والسفن من حسابه الخاص بغرض الكشـــف عن الأجـــزاء المجهولة أمـــام العلم الرومانى ويعلق بلينى المؤرخ والعالم الرومانى على سعة علمه بقوله :

« كان يوبا والـــد بطليموس أول حاكم تولى عرش موريتانيا الشرقية والغربيـــة الا أن شهرته كعالم ومؤلف لكتب المعرفة طغت على صفته كحاكم أو ملك » [٢] ويهمنا هنا بصفة خاصـــة ماكتبه هـــذا الملك عن شرق الجزيرة العربيـــة وبحـــر العرب بصفة خاصـــة • يذكر يوبا فى كتابه عن جغرافية المحيط الهندى والطرق الموصلة بين وادى نهر السند وهى باكستان الحالية والشرق الأدنى القديم معلومات هى غاية فى الأهمية لا بالنسبة للجغرافية فحسب بل أنها تلقى ضوءاً مهما على الطرق الملاحية وأساليب الملاحة التى كانت تتبع قديما بين باكستان القديمة وســـواحل جزيرة العرب الجنوبيـــة الشرقية •

كتب بلينى نقلا عن يوبا الثانى فى مؤلفه التاريخ الطبيعى ما يلى :

« وقبل ان أدخل فى ذكر التفاصيل المتعلقة بتلك البـــلاد يجب أن أذكر الحقائق التى سبق أن دونها القبطان البحـــرى (انسيكريتس) الذى أمره الأسكندر الأكبر بالابحـــار من الهند الى بلاد فارس ، تلك المدونات التى ولدت بتفصيل فى كتاب يوبا ، ذلك الكتاب الذى [٣] لم يغفل شيئا عن الطرق البحرية السالفة الذكر والتى لازال البحارة يتبعونها حتى الآن « ويستمر بلينى فى نقله المعلومات عن سواحل باكستان الغربية وايران الجنوبية بتفصيل منهل ذاكرا تفاصيل دقيقة منها حدود الامبراطورية الفارسية الشرقية قبل غزو الاسكندر الأكبر لها ومنها أيضـــا الطريق البحرية التى كانت تعتمـــد على الرياح الموسمية فى العبور من سواحل جزيرة العرب الجنوبية الشرقية رأسا الى سواحل باكستان مخترقة أعالى البحار » •

ولا ينسى يوبا أن يعـــدد أسمـــاء النجـــوم التى استعملها القباطنة فى

ملاحتهم الفلكية لتسيير سفنهم عبر المحيط فى وقت لم تكن فيه البوصلة المغناطيسية قد ظهرت بعد ، ويشير يوبا أن رحلة عبور المحيط كانت تبدأ عند ميناء فى انساحل العمانى أطلق عليها الاغريق اسم سياجرو بينما كان سكانها العرب يسمونها هيبال والمسافة بين الساحل العمانى والباكستان كان (حسب تقدير يوبا) ١٣٣٢ ميلا .

ولم تقتصر المعلومات التى أوردها يوبا على رحلة ربانية الأسكندر أو على التقارير التى دونوها والتى أطلع عليها بنفسه ، بل انه ذكر أيضا الطريق البحرى بين مصر والهند . ويبدو أن اهتمام يوبا الثانى بتدوين أخبار جزيرة العرب لم تقتصر على جانب دون آخر فلاغرو اذا كان اختيار اكتافيوس اغسطس قد وقع عليه ليكون قائدا فى الجيش الذى كان قد أعده بقيادة ابنه بالتبنى (جايوس) للاستيلاء على جزيرة العرب [٤] .

ويعد يوبا أول عالم فى العالم القديم يذكر اسم عمان صراحة فقد ذكر بلينى ما يلى نقلا عنه :

« سأصف فيما يلى الجانب العربى من الخليج حسب ماذكره يوبا . هناك مصب نهر الفرات حيث المياه المالحة التى تبدو أقرب للبحيرة الساكنة منها للبحر الهائج ويمتد ساحل الخليج من الناحية العربية لمسافة خمسون ميلا حيث يوجد وادى (أكن) وبعد ذلك تمتد رمال الشاطىء قرابة المائة ميل حتى جزيرة (ايكار) ويليها خليج كابى وعلى شواطئها تقطن قبائل (جولبس وجاتاى) ثم خليج (جرا) الذى يقع عليه المدينة المسماة بنفس الاسم . وتمتد بلاد أقوام اتن على طول الشاطىء لمسافة خمسين ميلا ، ويوجد قبالتها فى البحر جزيرة (تيروس) [٥] وهى تشتهر بلؤلؤها النادر الغالى الثمن ويقوم على هذه الجزيرة مدينة تحمل نفس اسم الجزيرة . وبجوار هذه الجزيرة الكبرى جزيرة أخرى صغيرة .

ويلى هذه الجزيرة جزيرة أخرى كبيرة الحجم لم يقم أى أحــد من بحارتنا بزيارتها من قبل •

•••••• ويليها جــزيرة (اسكليا) وبها تعيش قبائل (نوشــات) و (زراز) و (بورغود) والبدو المسمون قطر ، يليهم واد اسمه (سينوس) . وطبقا لمـا ذكره يوبا فان البلاد الواقعة خلف هــذه المنطقة لم تكتشف بعــد ، وذلك نظرا لوعورة الشاطىء الصخرى الموجود هناك • ويذكر يوبا اسم مدينة (Batrasavave) عاصمة عمان وكذلك مدينة عمان (Omana) وكذلك حمنا Homna واتانا Attana وهى موانى يشيد بذكرها التجــار الرومان الذين يذهبون الى هناك اليوم • ويلى ذلك نهر اسمه نهر الكلب تعقبه سلسلة من الجبال الســوداء اللون (كما يذكر يوبا) وتسكن هناك قبائــل Epimaranitae ويلى ذلك جزيرة يسكنها صيادوا الأسماك ثم قبائل Bathymi فجبال Eblythaean ثم جزيرة Omoemus ثم مينــــاء Mochorbac •••• » (٦) ثم يذكر بلينى نقــلا عن يوبا العبــارة التى يستحسن ان نذكرها كما كتبت باللاتينية :

«.... Scenitae sabaei insulae multae, emporium eorum Acila, ex quo in Indiam navigatur....»(7).

وتملك قبائل سنيتا السبئيه الكثير من الجزر ويوجد مركز تجــارى فى (صــلالة) التى تعتبر احدى موانىء الابحار الى الهند •

ويضيف يوبا الى ذلك سردا ممتعا عن ملابس العرب فى عصره ويختم مقاله بالحديث عن ثراء عرب جنوب شرق الجزيرة العربية بقوله انهم ملوك تجارة البخور الذى يوجد بكثرة فى بلادهم بالاضافة انهم هم الوسطاء بين الفرس والرومان وبين الرومان والهند ويقول يوبا انه فى الوقت الذى كان فيه العرب يبيعون حاصــلات بلادهم من الصمغ والبخــور والأخشــاب

والمعادن والأحجار ولم يكونوا يشترون من الرومان والفرس أى شيء وبذلك كانوا يعـــدون أكثر ثــروة وغنى من أقرانهم فى الامبراطورية الفارسية والرومانية [٨] .

واذا علمنا أن هذا الملك قد توفى تاركا ثروة كبيرة آلت الى ابنه الملك بطليموس والأهم من ذلك انه ترك مكتبة كبيرة تعد الأكبر من نوعها فى عالم ذلك الوقت ذلك أنه أى، الملك يوبا كان يشجع النساخ الذين نقلوا لمكتبته روائع علوم عصره الموجودة فى مكتبة روما والاسكندرية حتى غـــدت مكتبته فى شرشـــال بالجزائر منارا للعلوم والمعارف فى شمال أفريقيا ، وقد دعم يوبا تلك المكتبة بمؤلفاته الخاصـــة التى تعـــد ما ذكره عن جنوب جزيرة العرب وشرقها أهم ما قدمه للعالم الرومانى فى ذلك الوقت لاسيما وان استيلاء الفرس على طريق الهند قد أقفل الطريق بين أوربا الى تلك البلاد ولم يبق أمام الرومان الا الاستعانة بالسفن العمانية للوصول الى الهند وباكستان .

ولم يستمد يوبا الثانى كل معلوماته من كتب وتقارير من سبقوه من رجال السيف أو القلم بل ان قسما منها جـــاء نتيجـــة لرحلاته الشخصية أو للرحـــلات البحرية التى كان ينفق على اعدادها والقيام بها من مالـــه الخاص .

ويرجع اهتمام يوبا الثانى شخصيا بجزيرة العرب لعاملين مهمين أولهما الأساطير التى كانت منتشرة فى المغرب العربى القديم بين البربر والقرطاجيين من أن أصولهم الأولى ترجع الى جزيرة العرب والى سواحل بحر العرب والخليج بالذات .

أما العامل الثانى فقد كان عامـــلا اقتصاديا وهو رغبة العاهل الموريتانى

فى الفوز بنصيب من تجارة الهند بالاشتراك مع تجار ساحل عمان أو صلاله.
واذا كانت شهرة عمان وتجارتها قــد وصلت الى المغرب العربى فى القرن الأول قبل الميــلاد فانه من المفيد ان نولى ولو قليلا من الاهتمام لدراسة الروابط العرقية واللغوية والثقافية التى كانت موجودة بين الناحيتين منذ قــديم الزمــان .

ملاحظات الباب الثالث

1. Pliny; Natural Hatural History, VIII, 7 (Loeb classical library 1967).

2. Pliny; Ibid. V, 16.

3. Pliny; Ibid. VI, 96.

4. Ibid. VI 141, 142.

5. Capps E. transelaled it to be El-Bahrein island

   Pliny; Natural History Vol. II p. 448.

6. Pliny, VI 147, 148, 149.

8. Ibid. VI, 162.

الباب الرابع

صلات عمان والمغرب قبل الاسلام

يشير (أورك باتس) فى كتابه « الليبيون الشرقيون » ان قبائل المارماريدى التى أعطت اسمها للصحراء الغربية لمصر (مرمريكا) كانت مزيجاً من العرب والبربر [1] وان كان (باتس) لم يحدد موطن هؤلاء العرب الا أنه أشار فى مكان آخر من نفس الكتاب ان الفرعون سنوسرت الأول كان قد خرج وهو ولى للعهد فى حملة الى جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد البخور (ظفار ؟) وعاد منها ومعه جنود من تلك البلاد وتوجه بعد ذلك لغزو القبائل الرحل فى الصحراء الغربية لمصر ويبدو أن عرب ظفار الذين جاءوا مع العاهل المصرى قد استقروا غرب مصر حيث امتزجوا بالبربر من سكان تلك النواحى [2] .

واذا كان الخوض فى مثل هذه الأمور يتطلب تدعيما من الوثائق الأثرية وهى أمور لازالت بعيدة اليوم عن متناول اليد ، الا أن ذلك لايمكن أن يعيق هواة البحث عن وجود صلات قديمة بين بربر شمال أفريقيا والعرب القدماء لاسيما عمان وحضرموت .

ولعل أولى الأبواب الجديرة بالبحث هى الصلة بين اللغات البربرية واللغة العربية لاسيما اللغة العربية القديمة والجنوبية منها على وجه الخصوص . ولم يتفق العلماء الى اليوم على معرفة أصل اللغات البربرية بل انهم الى الآن لم يتوصلوا الى نسبتها سواء الى المجموعة السامية أو الحامية من اللغات ومن المحتمل أن السبب فى ذلك راجع الى كثرة المفردات الحامية والسامية بل واليونانية واللاتينية التى دخلت فى اللغات البربرية

مـع الغزاة الفاتحين أو المهاجرين والوافدين سـواء من الشرق أو الشمال أو الجنوب •

ولقد اعتبر بعض علماء اللغـة أن اللغـة الحامية هى لغـة سامية انفصلت عن اللغـة السامية الأم فى وقت مبكر جـدا ثم تطورت محليا فى بيئتها المحلية بالمغرب العربى [٣] • ورغمـا عن ذلك فان ترتيب الكلمات فى الجملة فى اللغات البربرية تشبه نظائرها فى اللغـة العربيـة هذا بالاضافة الى تشابه الكثير من الكلمات والصفات مثل (أبو) أو (بـو) كما تنطق فى اللغات البربرية مثل ما هو الحال فى (بونجيم) وهـو اسـم مـكان و (بوسعده) اسم شخص وهو كما نرى كلمة يمكن أن يعتبر عربيا أو بربريـا •

كذلك يستعمل البربر حرف التاء للدلالة على التأنيث مثل العرب مثل ما فى تغرمت (فى الأصـل اغرم أو تغرم) اسم مكان • وتبدأ الجملة فى البربرية عـادة بالفعل ثم الفاعل فالمفعول مثل ماهو الحال فى العربية ، ورغمـا عن أن أكثرية الكلمات التى دخلت اللغـة البربرية ترجـع الى الفترة الاسلامية الا أن اللغـات البربرية كانت بها حتى قبـل الاسـلام والكثير من الكلمات العربيـة ومن ضمنها أسماء أماكن •

ومن الأمـور الملفتة للنظر الخطوط القديمة بشمال أفريقيا • ولعـل أقـدم الحروف المعروفة التى استعملت للتدوين بشمال أفريقيا كان هو الخط الفينيقى وهـو خط عربى قديم ينتمى الى الكنعانيين ومنه تطـور الفينيقى الجديد وهو خط استعمله بربر شمال أفريقيا لتدوين بعض أمورهم وقد اشتق منه الخط الليبى وهى التى ظهرت فى القرن الأول قبل الميلاد • أمـا التفيناغ وهو الخـط البربرى الذى انتشر فى القرن الثالث الميلادى بين قبائل الصحراء فهو خط قريب الشبه بالكتابة المروية فى بلاد النوبـة أو

السبئية فى جنوب الجزيرة العربية • ولانعرف للآن أصـل هـذه الكتابة ولا موطنها الأول •

ويرى بعض الكتاب عدم جدوى البحث فى أن أصـل البربر مـن شمال الجزيرة العربية أو من سوريا وأنهم امـا جاؤا عن طريق مصر أو عن طريق البحـر الأبيض المتوسط ، فالنصـوص المصرية الموجودة منذ أقدم العصـور رغما عن مـا بها من اشارات عـدة الى العرب من سـكان الصحارى الواقعة فى شرقى مصر الا أنه لم يرد بها على طـول التاريخ أية اشـارة الى غزو عربى اخترق مصر ووصـل إلى شمال أفريقيا عبـر وادى النيـل ، كما وانه ليست هناك أية اشـارة الى وجـود هجرة أو تسرب سلمى من هذا القبيل ، واذا استثنينا الحملة التى قام بها جيش الزباء ملكة تدمر على مصر عام ٢٧٠ • م • تلك الحملة التى استولت على مصر ووجدت معاونة من سكان مصر ومن البجه (سكان سـواحل البحر الأحمر بمصر والسـودان) وهى قبائل ترجع أصولها الى عرب جنوب الجزيرة العربيـة ، فاننا لانجد فى كتب التاريخ أية اشـارة واضحـة على وجود هجرات أو غزوات عربيـة لتخـوم المغرب العربى الكبير [٤] •

وعلى العكس من ذلك وكما سبق ان وضحت فقد ظهر بشرق الحبشة ملك عربى يرجع الى اليمن الجنوبيـة وهو ازينـا أو أذينه ملك اكسـوم الذى امتـد نفوذه وسلطانه حتى ظفار وربمـا حتى عمـان • ومن الثابت من النصـوص التى تركها هـذا الملك ان قسما من جيوشـه كانت تتكون من العمانيين والحضـارمة وقد استولت تلك الجيوش على مروى عاصمة النوبة فى القرن الرابع الميلادى ، ويبدو من لوحتى اذينه التى عثر عليهما فى اكسـوم باثيوبيا ومروى بالسـودان [٥] ان حملة ذلك العاهل العربى قـد تعمقت فى الصحراء الكبرى خلف خط الحـدود الرومانيـة ولربمـا وصلت بعض تلك القـوات حتى سـواحل المحيط الاطلسى والا فكيف يمكننا

ان نفسر تشابه الوشـم على الوجـه واليد بالنسبة سـواء للذكور أو النسـاء فى كل من عمـان والمغرب العربى الكبير ، وكذلك التشـابه فى الملابس لاسيما غطاء الرأس واللثام عند الرجال وشكل الخناجر وهى أشياء موجودة بالمغرب من قبل الفتح الاسـلامى لشمال أفريقيا وهـذا ثابت من واقـع الرسـوم الموجودة على صخور الصحراء الكبرى والتى ترجع لفترة ما قبل وصـول المسلمين [٦] •

هذا بالاضافـة الى وجـود الكثير من الحلى المتشابهة بين البربر فى شمال أفريقيا وحلى العمانيين وكذلك كيف نفسر التوافق والتآخى الملحوظ بين عرب عمـان والخليج من ناحية وبربر شمال أفريقيا من ناحيـة أخرى لدرجـة أن الدعوة الاسـلامية الأباضية قد وجـدت أرضـا خصبة بين بربر شمال أفريقيا ولايمكن تفسـير ذلك التقارب الا على أساس روابط الـدم ووشائج القربى علاوة على مبدأ التعاطف الدينى القائم على الصلاح والتقـوى والعدالـة الاجتماعية التى تقوم دعائمها على الايمـان الراسخ القـوى •

ملاحظات البـــاب الرابع

1. Bates O-; The Eastern Libyans p. 54.

2. Diodorus Siculus, 1-53.

3. Weisgerber H.; Les Blancs d'Afrique. (Paris 1910) p. 161.

4 Milne J. G.; History of Egypt under Rule p. 85.

5. Arbell A-J.; A History of the Sudan (London 1955) pp. 172-173.

6. Macmichael H. A.; History of the Arabs in Sudan Vol I p. 92 (Cambridge 1922).

الباب الخامس

التأثيرات العمانية على المغرب العربى فى العصر الإسلامى

وصلت طلائع المسلمين الى برقـة بعـد اتمامها لفتح الاسكندرية واستمرت الحرب بين المسلمين والبيزنطيين (الروم) الذين كانوا يحتلون شمال أفريقيا من ٦٤٦ ـ ٧١١ م • وجـاء الى أقطار المغرب من ضمن جيوش المسلمين جنـود من عمان ، ورغما عن أن القسم الأكبر من النجديين واليمنيين قـد عبروا بوغاز جبل طارق الى الأندلس الا أن أكثرية الجند من العمانيين كانوا ضمن الجيوش التى أرسلها قواد المسلمين الى تخوم الصحراء الكبرى حيث استقر أغلبهم فى قلاع الصحراء الكبرى فى سجلماسة فى المغرب وتاهدت بالجزائر وجبل نفوسـه فى ليبيا •

وعقب الفتنة الكبرى التى المت بالمسلمين بعد مقتل عثمان وانقسـام المؤمنين الى أحزاب وطوائف استمر الصراع السياسى قرابة قرنين مـن الزمان بين الفرق المتصارعة المختلفة ، هاجر العديد من المضطهدين الى شمال أفريقيا وهكذا صار المغرب العربى الكبير ملجأ للجماعات التى وجدت فى أهله استعدادا لاعتناق الدين الحنيف والتجاوب مع الأفكار التى بشر بها هؤلاء الفارين من ظلم الأمويين والعباسيين • وجاءت الجماعات النازحـه من عمـان حاملة معها أفكارها الجديدة عن مفهوم الاسـلام والعدالـة الاجتماعية الـذى هو جزء لا يتجزأ من الدين الحنيف ، واتجه هـؤلاء بطبيعة الحـال الى اخوانهم الذين سبقوهم الى المغرب وهكذا قامت دولة بنى مدرار ١٤٠ ـ ٣١٦ هجرية فى الصحراء الواقعة الى الشرق من جبال الأطلس الكبير بالمغرب ، بينما استقر الرستميون فى تاهدت فى صحراء الجزائر والخطابيون فى جبل نفوسـة بليبيا وزويلة بفزان •

ولا يتسع المقام هنا لاكتب بتفصيل عن هذه المالك التى كان الفضل فى تأسيسها الى الوافدين الأحرار من عمان ولا الى مذهبهم العادل الذى لازال موجودا بتلك النواحى الى اليوم ، ولكنى سأكتفى بذكر التأثيرات الثقافية التى تركها هؤلاء المهاجرون من عمان فى تلك المناطق •

ورغما عن ان العمانيين الوافدين قد جاءوا باللغة العربية وبأحـكام الدين الحنيف الى تلك البقاع ، ورغما عن أن سكان تلك المناطق قد اعتنقوا الاسلام لأول مرة فى تاريخ المغرب على يد هؤلاء العمانيين ورغما عن أن المذهب الرسمى لتلك الدول كان المذهب الأباضى علاوة على أن اللغـــة العربية قد أصبحت لغة الدين والعبادة والسياسة والثقافة والاقتصاد ، ورغما عن أن أزياء الرجال والنساء صارت عمانية وكذلك العادات وآداب السلوك ، الا أن سكان المنطقة قد احتفظوا رغم ذلك بلغاتهم ورطانتهم البربرية •

ولم ينعصب العمانيون لأنفسهم أو لأبناء عمومتهم بل عملوا بتقاليد مذهبهم من تولية العمال الصالحين والمتفهمين ســواء أكان عربيا أو بربريا أو فارسيا دون نظر الى قوميته فاكتسبوا بذلك محبة السكان فى تلك البلاد ، بل فضلهم جيرانهم من قبائل البربر الأخرى من المصامــدة وصنهاجة وزناتة وكتامة وهوارة على غيرهم من العرب فدانوا لهم بالولاء ودافعوا عنهم بصلابة وبلاء • واذا كانت الشيعة الفاطمية قد نشأت فى المغرب فى القرن العاشر الميلادى الا أن المغاربة لم يتحولوا الى المذهب الشيعى ولانجــد اليوم فى المغرب العربى أى أثر للشيعة فى الوقت الذى لازال فيه ثلث سكان المغرب العربى الكبير ونصف السكان الذين هم من أصــل بربرى على المــذهب الأباضى •

وبينما انغمس سكان المغرب والأندلس سواء السنيين أو الشيعة العرب وفيهم البربر فى الفتن والحــروب الأهلية حبا فى السلطة وجريا وراء الثروة والقوة فان ممالك الأباضية فى المغرب العربى الكبير لم تحاول أن توســع

من سلطانها أو أملاكها على حساب جيرانها المسلمين بل فضلت أن تتاجـر مع بربر الصحراء الكبرى وسكان الوحات ، ثم مـدت تجارة قوافلهـا عبر الصحراء الكبرى الى قبائل السـودان وعلى عكس ما فعلت ممالـك المغرب وسلاطينهم من غـير الأباضية من الذين أرسلوا الحملات الى بلدان أفريقيا فيما وراء الصحراء الكبرى فاستولوا على ثرواتها من الذهب والفضة والعاج والجلود واسترقوا أهلها وباعوهم فى سوق النخاسة ، لقد فضلت ممالك الأباضية التعاون والتجارة الحرة عن طريق مقايضـة معـدن الملح بالذهب مع نشر العلم والدين بين القبائل الافريقية •

ولم يرد فى كتب التاريخ مطلقا أى اتهام للأباضية انهم مارسوا تجارة العبيد فى أقطار السودان ، بل قام علماؤهم بارشاد حكـام تلك البـلاد وتشجيعهم على توحيد بلادهم وهكذا قامت سلطنات التكدود ومالى وغيرهم نتيجـة لجهود الأباضية فى الوقت الذى عمل فيه ملوك المغرب الآخـرون على تدمير هذه الممالك الاسلامية الافريقية واضعافها حتى أصبح يسيرا على الاستعمار الأوربى أن يبتلعها ابتداءاً من القرن الثامن عشر ، ولو بقى الأمر كمـا رغب الأباضيون لظلت تلك الممالك قوية حتى أواخر القرن التاسع عشر على أقل تقدير •

وحتى اليوم لازال سكان جبل نفوسـة والزاوية الغربية فى ليبيـا وسكان شط الجديد فى جنوب تونس والمزابيون فى الهضاب الوسطى بالجزائر على المذهب الأباضى ، ويعد الأباضيون فى ليبيـا من أنشط السكان وأكثرهم تقى وورعا ، أما المزابيون فى الجزائر فقد اشتهروا فيها دوما بغيرتهم على الاسـلام حتى أنهم صارعوا الاستعمار الفرنسى لا صراعا دينيا برفض التبشير المسيحى فحسب ، ولا صراعا سياسيا برفض الجنسية الفرنسية التى عرضتها عليهم فرنسا ، بل قاوموا فرنسا اقتصاديا أيضا باحتكار التجارة فى الجزائر ومقاومة الاستسلام الاقتصادى لفرنسا ولازالوا حتى اليـوم

يكونون قطب الرحى فى الاقتصاد الجزائرى ، ولاشك ان السر فى احتفاظ هـؤلاء المسلمين بصـدق سرائرهم وأمانة معاملاتهم الى ماورثوه مـن أجدادهم العمانيين النازحين الى تلك البلاد •

اذا امعنت النظر فى ازياء الأباضيين السالفى الذكر بالمغرب من الجلاليب التى يرتدونها الى العمائم لوجدتها عمانية الشـكل ؛ فهم يختلفون فى لبسهم عن جيرانهم الآخرين من سكان ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، كمـا وانهم يمتازون عن غيرهم من سكان المغرب العربى الكبير بحمل الخنجـر الشبيه بالخنجر العمانى • أما أزياء النسـاء فهى تشبه بدورها نظائرها فى عمان ، وكذلك عاداتهم فى الزواج والافراح والمآتم والأعياد ، ويمتازون بسمو الأخـلاق والصـدق والأمانة •

هذه الصفحات الموجزة توضح القليل من الكثير مـن بقايا التراث العمانى فى أقطار المغرب العربى الكبير : اقدمها كتحية اجلال لهؤلاء الجنود المجهولين من حملة الثقافة العربيـة الاسلامية الأصيلة من أبناء عمـان الذين نسيت اسماؤهم فى زحمة التاريخ والذين أوقدوا أقدم شعلة للمعرفة فى الصحراء الكبرى والمغرب العربى الكبير وأقطار السـودان الغربى والذين كان لهم الفضـل فى وصـول نور الحضارة والعرفان لذلك الجزء الكبير من العالم • لهؤلاء الجنود المجهولين أقـدم هذه الصفحات القلائل مع الوعـد بأن أوافيهم بالمزيد من البحث عن تراثهم الذى خلفوه فى الركن المغربى من عالم الاسـلام •

خامسًا :

عُمان في مواجهة البرتغال



دور العرب والفرس
في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج

(دراسة مقارنة)

للأستاذ الدكتور صلاح العقاد



قد يستنبط من العنوان الذى اخترناه لهذه الدراسة أن سكان الخليج كانوا ينقسمون أثناء الغزو البرتغالى الى قوميتين متميزتين : العربية والفارسية ، ولكننا لم نقصد الى ابراز هذه الحقيقة لسبب بسيط وهو أن الشعور بالانتماء القومى أمر طرأ على المشرق الاسلامى فى القرن العشرين فقط .

وعلى ذلك فان هذه الدراسة تستهدف توضيح الفرق بين الأسلوب الذى اتبعه العرب عامة ، والعمانيون بصفة خاصة حينما كافحوا البرتغاليين بصورة منفردة فى حين أن الفرس رغم قيام دولة قوية فى بلادهم كانت أوسع انتشارا من الدولة العمانية الا أنهم تصدوا للبرتغاليين مستندين الى محالفات أجنبية .

وفى ذلك العهد ، أى فى القرن السادس عشر . كان التداخل بين العرب والفرس أمرا شائعا على سواحل الخليج وجزره ، فثمت قبائل عربية استقرت على الساحل الشرقى ، كما أن الفرس كانوا يغزون من حين الى آخر السواحل الغربية ويصطحبون معهم جنودا يتحدثون العربية .

اذن فان اللغة المستخدمة كانت هى العامل المميز بين من يوصف بأنه عربى ، ومن يوصف بأنه فارسى ، وقد يسمى بالعجمى عند بعض العرب وربما كان الانقسام المذهبى بين الشيعة وغيرهم من سنة أو أباضية أقوى تأثيرا على الشعور بالانتماء من الانقسام اللغوى .

كان من المفروض أن تتغلب العاطفة الدينية . وتطوى تحت لوائها العرب والفرس فى مواجهة الغزو البرتغالى الذى اتخذ صفة صليبية الى

جانب أهدافه الاقتصادية . وللأسف تغلبت النزعة القبلية أحيانا ، والنزعة الذاتية لدى الحكام المحليين لدرجـــة أن بعضهم تحالف أحيانا مع البرتغاليين ضد خصومهم ، كما أن الصراع المذهبى بين العثمانيين والصفويين ، أى بين السنة والشيعة فوت على المسلمين فرصـــة التصدى بكفاءة للغـــزو البرتغالى .

عوامل ضعف المقاومة فى الخليج :

عندما وصـــل البرتغاليون الى منطقة الخليج عام ١٥٠٧ واجهــوا فى بداية الأمــر دولة تجارية عظيمة الثراء . ولكنها قليلة الخبرة بالأمــور الحربية ، تلك هى مملكة هرمز .

ولعل الشهرة الواسعة التى اكتسبتها هذه المملكة حــول ما يتوفر لديها من ثروات هو الذى جذب البرتغاليين بعد وقت قصير من وصولهم الى الهنـــد وقبـــل أن يستقروا فى هذه البلاد . فقد علا شأن هرمز منذ قرنين قبل مجىء البرتغاليين ويرجـــع ذلك الى تدهــور ميناء سيراف الذى كان يلعب فى تجارة الخليج نفس الدور الذى لعبته مسقط فى القرن التاسع عشـــــر .

فبعد أن أخذت غارات المغول تدمـــر الحرث والنســل فى فارس والعراق التجأ تجـــار سيراف الى هـــذه الجزيرة الصغيرة ، وحولوها الى حلقة تخـــدم طريق التجارة الرئيسى ليس فقط بين موانى الخليج ، بل أيضـــا الطريق التجارى العالمى الذى كان يستخدمه البنادقة للاتصـــال بالشرق ، ومن هنا كان يهم البرتغاليين تدمير هـــذا الطريق حتى ينفردوا بتجارة الشرق عبر طريق رأس الرجاء الصالح .

ويعجب المرء حين يقرأ وصف الرحالة لجزيرة هرمز ، وكيف أنهـــا كانت تضم مبانى فخمة ، ويقيم بها أربعمائة تاجر . وقد رأى أحد الرحالة ، ربمـــا مع شىء من المبالغة ، ثلاثمائة سفينة ترســـو على ســـواحل تلك الجزيرة الصغيرة التى نراها الآن خالية من السكان تقريبا . ولا شـــك أن نقل المؤن والمياه كان يكلف الكثير ، ولكن أرباح التجارة كانت تغطى هذه التكاليف . وبفضـــل هذه الثروة امتدت سيطرة هرمز فشملت البحرين وبعض مواقع على ساحل عمان والاحساء مثل القطيف .

على أن المصـادر الفارسية تؤكد تبعية هرمز لحكام ايران خاصـة فى عهـد الشـاه اسماعيل صفوى ، والواقع أن الحكام المحليين فى هرمز كانوا يعلنون تبعيتهم أو استقلالهم حسب مصالحهم • وقد ترك البرتغاليون لهؤلاء الحكام المحليين بعض السلطات فى ادارة شئون البلاد الداخلية فكانوا يعلنون تبعيتهم للشـاه حينما تسـوء علاقاتهم بالبرتغاليين أو يستنجدون بالعثمانيين مما دفـع البرتغاليين فى نهاية الأمـر الى ادارة الجزيرة مباشرة ، وقد صـاروا يتشبثون بها لأغراض استراتيجية ، لأن أهميتها التجارية تلاشت بحكم تحـول طريق التجارة وتعسف البرتغاليين فى معاملة أصحاب السفن العرب وعـدم الترخيص لهم بالمرور الا باذن خـاص •

وتعد هرمز وتوابعها مثلا على تداخل السكان العرب والفرس فى جزر الخليج ، ويبدو أن معظم جنود الحامية الذين واجههم البرتغاليون كانوا من الفرس • اما الملاحون الذين كانوا يعملون على السفن التجارية فهم من العرب •

وتعود الأسرة الحاكمة بنسبها الى قبائل عربية من اليمن أو عمـان هاجرت الى الجزيرة فى القرن الثالث عشر الميلادى • ويبدو من أسمـاء بعض الملوك مثل توراه شـاه الذى عاصر قدوم البرتغاليين أن الحـكام تأثروا بالثقافة والتقاليد الفارسية •

وسواء أكانت هرمز تابعة للدولة الصفوية ، أم كانت مستقلة فانها لم تكن مستعدة لمواجهة غزو بحرى ولم يكن التجار يخشون من الـدول المحلية الكبيرة لأنها لم تملك أساطيل ذات شـأن •

هكذا انصرفت الدولة الصفوية الى فتوحات فى الشمال والى حروب ضـد العثمانيين ولم تول أمـور الخليج اهتماما كبيرا ، فكان الشـاه اسماعيل يترك غالبا المناطق الساحلية الجنوبية لحكام شبه مستقلين •

وقد حاول الشـــاه اسماعيل فى بداية الأمــر أن يحث حاكم هرمز على الثورة ضـــد البرتغاليين واعدا اياه بالمساعدة غير أن هذا الأخير أظهر خطاب الشـــاه للبرتغاليين ثم ما لبث الشـــاه اسماعيل نفسه سنة ١٥١٠ م أن غير موقفه ، ولم يجـــد غضاضـــة من طلب التحالف مع البرتغاليين ضد العثمانيين • وانتهى الى توقيع اتفاق مع الغزاة يدل على تجاهل المصالح العليا للمسلمين فى سبيل تحقيق أهدافه الخاصـــة ومما جاء فى الاتفاقية :

١ ـــ تساند البحرية البرتغالية القوات الايرانية فى الاستيلاء على البحرين والقطيف •

٢ ـــ يتعهد البرتغاليون بمساندة الشاه فى القضـــاء على الحركات الانفصالية التى قامت فى اقليم مكران •

٣ ـــ قيام تحالف عســكرى بين الطرفين ضـــد الدولة العثمانية •

٤ ـــ اعادة توران شاه الى هرمز نائبا عن الملك البرتغالى عمانوئيل •

بعبارة أخرى ســلم الشـــاه بتبعية هرمـــز للبرتغاليين • وستكرر مســـاعى حكام فارس فى عهـــد الدولة الصفـــوية للاستفادة بالقـــوى الأوروبية ســـواء ضـــد العثمانيين أو لتحقيق أهداف خاصـــة فى منطقة الخليج •

كانت الدولة العثمانية هى القـــوة الاسلامية الكبرى الثانية التى يمكن أن تتصدى للبرتغاليين غير أن موقع الدولة وتركيبها لم يجعل منها فى وقت من الأوقات دولة خليجية باستثناء فترة قصـــيرة فى السبعينات من القرن التاســـع عشر •

وعندما وصـــل البرتغاليون الى الخليج كانت الدولة العثمانية منشغلة بالحروب فى أوروبا ولم تستقر السلطة العثمانية فى بغداد قبل سنة ١٥٣٤ •

على عهد السلطان سليمان القانونى ، وحتى بعد دخـــول بغداد ، تركت البصرة لحكامها المحليين وهم شيوخ قبائل عربية ، لم يكونوا على وعى كامل بالمطامع الأوروبية •

وهكذا فضـــل أحـــد حكام البصرة أن يطلب معونة البرتغاليين عن طريق قيادتهم فى هرمز على أن يخضع للعثمانيين الذين قد يزيلون سلطته أصــــــلا •

وقد عرض على البرتغاليين تحقيق امتيازات تجارية ولمـــا لم يستطع الوفاء بوعـــده ، جلب حملة ثأرية على شـــط العرب ، دمـــر البرتغاليون خلالها السفن التى كانت تعمل لحســـاب التجار العراقيين •

على أن ثمت عوامل مختلفة اجتذبت الدولة العثمانية الى أن تدلى بدلوها فى مقاومة البرتغاليين حـــول منطقة الخليج ••من ذلك ما يتصـــل بتطور العلاقات الدولية خلال تلك الحقبة • فمن المعروف أن الباب العالى كان قـــد دخل فى صراع مرير مع شارل الخامس ملك أسبانيا وامبراطور النمســـا ، ولمـــا كان الصفويون يبحثون عن حلفاء بأى ثمن فقـــد طلب الشـــاه طهماسب معونات فنية وارســـال مدربين لجيشـــه من الامبراطور فى مقابل التعاون معه ضـــد العثمانيين • وقد علم السلطان سليمان القانونى بمشروع هـــذا التحالف فتجددت الحروب مع فارس قرب منطقة الخليج •

عامل آخر يتمثل فى توجيه سلطان كجرات بهادر شـــاه الى السلطان العثمانى لكى يمـــد يد المســـاعدة له بحكم التضامن الاســـلامى بعـــد أن تعرضت بلاده للغزو البرتغالى •

ولم يكن ارسال المساعدات أمـــراً سهلا ، نظرا لبعد المسافة ، وعدم وجود قواعد عثمانية بحرية فى البحر الأحمر أو الخليج •

ومما جـاء فى رسالة سلطان كجرات أنه سيضطر الى الاستسـلام للبرتغاليين ما لم يمده بقوات بحرية كبيرة تستطيع الصمـود أمام القوات الغـازية .

وقد كلف الباب العالى سليمان باشا الخادم والى مصر بتدبير الحملة البحرية المطلوبة . فاتخذ من ميناء السـويس قاعدة لانشـاء الأسطول ، وحشـد عشرين ألفا من المصريين ليعملوا كبحارة بجانب سبعة آلاف من الانكشارية . وفى طريقه استولى سليمان باشا على عـدن سنة ١٥٣٨ ، ولكن عندما اقترب من الهند كان البرتغاليون قد استولوا على كجرات وقتلوا سلطانها . ولم يشـأ العثمانيـون المغامرة فى معركة بحرية بعيدة عن قواعدهم .

قربت هذه الحوادث العثمانيين من البحار الشرقية دون أن يدخلوا الى مياه الخليج . وفى الأربعينات من القرن السـادس عشر أخـذ بعض الزعماء المسلمين من داخـل الخليج يستغيثون بالعثمانيين مـن جـور البرتغاليين .

وكان حاكم هرمز المحلى المسمى بشرف الدين من بين من استنجدوا بالدولة الاسـلامية الكبرى . وقد كتب الى والى بغداد يغريه بمهاجمة البرتغاليين فى هرمز على أساس أن الحامية البرتغالية قليلة العدد وأن معظم الجنود من الهندوس وبالفعل كثيرا ما استخدم البرتغاليون هذه العناصر المعادية للمسلمين ليضربوا بها الشعوب الاسـلامية .

وفى سنة ١٥٤٦ ظهرت قـوة عثمانية بحرية أمـام مسقط وضربت الحصون البرتغالية هناك الا أن هذه القوات كانت محدودة ولم تتمكن من البقاء مـدة طويلة .

وهكذا اقتصر التدخل العثمانى على غارات طارئة استجابة لنجـدة السكان هنا أو هناك من الشواطىء العربية • فبعد هرمز استنجد أهـل القطيف بالعثمانيين ولمـا استجابوا لهم بهجوم خاطف انسحبوا بعدها بقليل فقد ثأر البرتغاليون بتدمير الميناء ولم يكن الشاطىء العربى على مسافات بعيدة يتمتع بأى استقرار أو وجـود دولـة منظمـة تستطيع الدفـاع عنـه •

توفرت لدى الدولة العثمانية الرغبة فى مواجهة الغزو البرتغالى للخليج كمـا فعلت بالنسبة للغزو الأسبانى لبلاد الاسـلام فى شمال أفريقيا • غـير أن امكانات الدولـة العثمانية البحرية فى المحيط الهندى كانت أضعف من قدراتهم فى حوض البحر المتوسط ، لذلك اقتصر نشاطهم على حمـلات مؤقتة لاتستهدف الاستقرار ، بل أن بعض هذه الحملات كان يقودهـا مغامرون من البحارة الذين يديرون الحرب بطريقتهم الخاصة دون تعليمات محددة ، هكذا كان الحال بالنسبة للبحار الشهير بير بك أو الريس مراد وكلاهما اشتهر بغارات ضـد البرتغاليين •

استهدفت أول حملة لبير بك سنة ١٥٥٠ م الثأر من تدمير البرتغاليين لميناء القطيف فأقلعت قوة من السويس ودارت حول سواحل شبه الجزيرة ، وكان همها أن تفلت من الرقابة البرتغالية حتى تصـل الى أهـدافها • واستطاعت بالفعـل أن تصـل أمام شواطىء مسقط وأن تجبر القلعـة البرتغالية على الاستسلام •

وبعـد قليل أفرج بير بك عن ستين من الأسرى البرتغاليين مقابل فدية مما يدل على أن هؤلاء البحارة المغامرين كانوا يسعون للكسب المادى العاجـل دون التقيد بسياسـة الدولة التى يعملون باسمها ، ولعل هذا من أسباب اعـدام بير بك فى نهاية الأمـر •

اتجهت الحملة العثمانية بعد ذلك الى هرمز وبعد حصـار دام عشرين يوما شعر العثمانيون بأنهم تكبدوا خسـائر غادحـة فرفعوا الحصـار واتجهوا الى جزيرة قشم المجاورة وما لبثوا أن انسحبوا منها عندما وردت الأنباء بأن حملـة برتغالية هائلة أقلعت من جواذر فى اتجاه الخليج •

اذن فقد كان العثمانيون أو على الأصح هؤلاء القـادة البحريون يدركون تفاوت القـوى البحرية فى منطقة المحيط الهندى ولذلك تجنبوا المواجهة فى هـذه المناطق مع القوى البرتغالية الرئيسية وتكررت هـذه المحاولات الفردية العثمانية سنة ١٥٥٣ ، ١٥٨١ وفى كل مرة كانت تصـل الى مسقط تستطيع النزول فيها بتعاون السكان أحيانا واتخاذهم مواقف سلبية أحيانا أخرى وفى جميع الأحـوال كانت تنسحب بعد قليل •

وكان العثمانيون يتخذون من السويس أحيانا قاعدة للانطلاق الى المحيط الهندى وأحيانا أخرى ينطلقون من البصرة عبر شط العرب • وقد اضحت هذه المدينة مقرا لمتسلمية تابعة لولاية بغداد سنة ١٥٤٩ ولاشك أن وجود ادارة عثمانية فى البصرة قـد شجع أهل القطيف على الاستنجاد بالعثمانيين مرة أخـرى حتى أن هؤلاء قرروا فى بعض الوقت اقامة حامية ثابتة فى الميناء العربى واتصلوا بقبائل الاحسـاء •

أدرك البرتغاليون خطورة الوجود العثمانى على سواحل الخليج الشمالية ولذلك شنوا غارة مفاجئة على البصرة سنة ١٥٥٦ والحقوا بعض الأضرار بالميناء ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليه •

ومن ثم يمكن القول انه كمـا عجز العثمانيون عن مواجهة البرتغاليين فى القسم الجنوبى من الخليج • فقـد أخفق هـؤلاء أيضـا فى الامتداد نحـو الشمـال • واذا بنا نشهد صـورة مصغرة لمـا سيكون عليـه الصراع بين العثمانيين والبريطانيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشـر •

وبين هاتين القوتين البرتغالية والعثمانية دار صراع حول البحرين وكانت لدى العثمانيين فرصة للنزول الى الجزر . غير أن حاكمها المحلى رغم كونه مسلما . ظل مواليا للقيادة البرتغالية فى هرمز ربما لخلافات مذهبية مع الأتراك وقد شهد عام ١٥٥٩ بهذه المناسبة معارك بحرية كان النصر فيها سجالا بين القوتين وانتهت الى انسحاب العثمانيين الى قواعدهم فى البصرة .

لقد ورث العثمانيون حكم مصر من المماليك ونجحوا فى أن يؤدوا نفس الدور الذى قام به أسلافهم فى الدفاع عن البحر الأحمر ضد الغزاة من الخارج بيد أنهم وقفوا عند هذا الحد . وحينما كانوا يلتفون حول شبه الجزيرة فى اتجاه الخليج أو يواصلون السير جنوبا الى شرق أفريقيا فى مياه المحيط الهندى فانهم كانوا يشعرون بتفوق البرتغاليين البحرى ويرجع ذلك فى تقديرنا الى أن البرتغاليين بنوا امبراطورية ممتدة فى الهند وسيطروا على عدة موان فضلا عن الموارد الطبيعية والأخشاب التى يسرت بناء أساطيل قوية لهم فى البحار الشرقية .

واذن فان الهند وليست موانى البرتغال هى التى كانت منطلقا وقاعدة للأساطيل البرتغالية وبذا كانت أقرب الى مياه الخليج من السويس .

أما البصرة فلم تصلح لكى تكون قاعدة عثمانية منافسة لموانى الهند . هذا فضلا عن أن سكان الخليج افتقدوا الشعور بالوحدة أو التضامن الدينى والقومى ولذلك فان عوامل انهيار البرتغاليين ستأتى من قوى خارجية أو من التدهور الذى أصاب الامبراطورية من الداخل .

من ذلك أن البرتغال فقد استقلاله وضم الى أسبانيا سنة ١٥٨٠ م ولو أن ملوك أسبانيا ظلوا يرعون مصالح الامبراطورية البرتغالية .

كذلك اتصف البرتغاليون بروح التعصب والقسوة فى معاملة السكان المحليين ولم يكترثوا بتنظيم التجارة مع تلك الشعوب .

وفى الخليج على سبيل المثال لم يعمد البرتغاليون الى استغلال مغاصات اللؤلؤ مباشرة بل استمر السكان يقومون بهذا العمل الشاق ويحصل البرتغاليون منهم ضرائب باهظة • وعلى وجه العموم استخدم البرتغاليون سواء فى الأعمال المدنية أو العسكرية أعدادا كبيرة من العبيد والمرتزقة فكان الملاباريون يشكلون نصف حامية هرمز •

كما أن الملك كان يحتكر أهم السلع لحسابه الخاص وبعد تدهر سلطة انتظام الملكى فى البرتغال ، تطلع قواد الحاميات الى أن يرثوا الاحتكار •

اذا كانت الدولة العثمانية قد أسهمت بدور ثانوى لمواجهة البرتغاليين بسبب بعد قواعدها البحرية ، والصفويون انصرفوا الى الحروب فى الشمال وفى العراق ، فلماذا تراخى العرب أيضا خلال القرن السادس عشر ؟؟؟

من المعروف أن ساحل شبه الجزيرة الشرقى كان وما يزال قليل السكان ولم يوجد به فى ذلك الوقت حتى ولو شكل بسيط لدولة منظمة ، يستثنى من ذلك منطقة عمان فهى أكثر سكانا وبها انتاج زراعى يوفر حياة الاستقرار كما أنها عرفت تنظيما سياسيا متقدما نسبيا يتمثل فى نظام الامامة لدى الأباضية غير أن ذلك تغير عند قدوم البرتغاليين إلى دولة ملكية وراثية هى الدولة النبهانية •

وقد اسهب المؤرخون العمانيون مثل نور الدين السالمى فى الحديث عن مظاهر الظلم والجور التى اتسم بها ملوك هذه الدولة ومن ثم لا تتمتع بشعبية تذكر •

والمتوقع فى مثل تلك الظروف أن يقبل ملوك ضعاف التعاون مع الغزاة فاتفقت مصلحتهم احيانا مع البرتغاليين خاصة وأن هؤلاء لم يعمدوا الى احتلال شامل للبلاد بل يتركون حاميات قليلة العدد فى قلاع

حصينة ويفرضون الضرائب الباهظة ونظم التجارة التى تخدم مصالحهم بواسطة القوة ، ويتركون الحكام المحليين ينفذون لهم تلك الخطط • وهكذا ظل أحـــد النبهانيين يحكم مسقط فى ظل الحامية البرتغالية التى وضعت فى المدينـــة سنة ١٥٠٨ •

وحسب احدى الروايات فقد ذهب حاكم مسقط الى أبعد من ذلك ففى سنة ١٥٢١ اتفق حكام البحرين والقطيف وبعض زعماء القبائل العربية على مداهمة الحاميات البرتغالية المبعثرة هنا وهناك على شبه الجزيرة ليلة ٣٠ نوفمبر من ذلك العام •

وكان مقدرا للخطة أن تنجح لولا أن شـــذ حاكم مسقط • ومن الأرجح أن يكون وجـــود الغزو الأجنبى قد دفع بالعمانيين الى محاولة احياء الامامة الا أنهم لم يستطيعوا الاتفاق على زعيم دينى واحد وبويع أكثر من امام فى نفس الوقت وكان ميناء صحار مايزال فى يد الوطنيين يحاول أن يفلت من قيود الملاحة والتجارة التى فرضها البرتغاليون • وحدث أن استنجد حاكم الميناء سنة ١٥٧٢ بأحد النبهانيين لكى ينقذ الميناء من خطر الغزو البرتغالى الا أنه لم يستطع أن يفعل شيئا وسقطت صحار بدورها فى يد البرتغاليين الذين استولوا على عدة موان من الســاحل العربى ، مــن جلفار (رأس الخيمة) شمالا حتى صـــور جنوبا •

فى هــذه الأثناء قضى أحــد المغامرين ويدعى عمر بن حمير علـــى فلول الدولة النبهانية وزادت الانقسامات الداخلية فى عمـــان ، مما أفسح المجال للغزاة كى يفرضوا سيطرتهم العسكرية والاقتصادية ولاشك أن الوجـــود البرتغالى لم يكن قائما على الصراع العســكرى البحت مــع الملوك أو الحكام المحليين وانمـــا أثر تأثيرا مباشرا على مجموع الشعب الذى كان يستمد من التجارة والملاحـــة مصـــدرا رئيسيا لمعيشته ، لهذا لايبدو غريبا أن يتحمس العمانيون ويتحدوا عندما ظهرت دعـــوة الامامة والجهاد على يد ناصر بن مرشـــد اليعربى فى القرن السابع عشر •

الـــدور الفارسى

اختلف الدور الفارسى فى مناهضة البرتغاليين عن الأسلوب العربى وأهدافه ففى حين استهدف العرب أو على وجـــه الدقة العمانيون فكرة الجهاد ضـــد البرتغاليين ، أخـــذ الفرس اعتبارات أخـــرى ازاء هـــذا الموضـــوع فقد شرعوا فى الارتباط بالسياسات الدولية الاوروبية كمـــا أن الشركات الأوروبية نظرت الى فارس من زاوية المصالح التجارية فهى على خـــلاف المنطقة العربيـــة شكلت سوقا استهلاكية لتصريف المنتجـــات الاوروبية وممـــا كانت تجلبه الشركات من منتجات الهند والشرق الأقصى كمـــا كانت مصـــدرا للحرير •

وفيما يخص العلاقات الدولية فيلاحظ أن كلا من العالم الاســـلامى والمسيحى كان منقسما على نفســـه ، وكانت الأطراف المتصارعـــة مستعدة التحالف مع أطراف المعسكر الآخر دون مراعاة لفكرة التضامن الدينى • فاذا كانت الدولة العثمانية فى صراع مع أسبانيا ، فمعنى ذلك أن الصفويين يرون فيهم حليفا صالحا لهم •

ومن المعروف أن أسبانيا صارت مسئولة عن المستعمرات البرتغالية منـــذ سنة ١٥٨٠ ، عندما ضم البرتغال الى العرش الأسبانى • وقد مارست عليها السيادة العليا الا أن ذلك لم يعن وضعها تحت الادارة المباشرة فقد أبقى على التركيب العســـكرى والمدنى للمستعمرات البرتغالية دون تغيير ، وانصبت مسئولية العرش الاسبانى على الجوانب الدبلوماسية فقط ويلاحظ أن الشـــاه عباس كان يميز أحيانا بين فكرة التحالف مع الأسبان وبين معاملته للقواعـــد البرتغالية على حدود بلاده ، فيشـــدد الخناق علـــى هذه القواعد وفى نفس الوقت تستمر اتصالاته مع بلاط مدريد •

يعتبر الشاة عباس من أعظم ملوك الدولة الصفوية وقد ساعدته طائفة

من الجند تعرف بالقازلباش على ارتقاء العرش سنة ١٥٨٧ ولكنه فضل أن يتخلص منهم حتى لا يكون أسيرا لأصحاب الفضل عليه واعتمد على الأرمن المسيحيين ليكونوا الحرس الخاص له ، بينما يرسل المسلمين للحروب الخارجية وبذا يأمن الانقلابات فى الداخل ويستفيد من العاطفة الاسلامية فى حروبه ضد الكفار •

وقد نقل عباس مقر حكمه الى أصفهان ومن شأن ذلك أن تزيد اهتمامات الدولة بمنطقة الخليج القريبة •

وفى تقديرنا أن هذا التحول نحو الجنوب يمثل مرحلة هامة فى تطور سياسة الصفويين نحو الخليج •

ويبدو أنه توفرت لدى حكومة ايران على عهد الشاه عباس صورة واضحة الى حد ما عما يجرى فى أوربا ومما ساعد على ذلك قدوم مغامرين انجليزيين هما الأخوان شيرلى ، وقد توثقت علاقة احدهما بالشاه الذى اختاره سفيرا لدى بلاط مدريد ، ذلك هو روبرت شيرلى •

وهناك فترة طويلة تفصل ما بين أول حملة فارسية ضد البرتغاليين حينما استولت على البحرين سنة ١٦٠١ م وبين الحروب الشاقة الطويلة التى أدت الى سقوط جمبرون ثم هرمز فى سنة ١٦٢٢ م ويمكن القول ان الاستيلاء على البحرين تم بمساعدة ظروف محلية طارئة ولم يتطلب معارك طاحنة كتلك التى دارت فى جمبرون وهرمز ، ذلك أن حاكم البحرين المحلى يعمل لحساب البرتغاليين والذى كان يدعى ركن الدين مسعود كان على علاقة صداقة خاصة بوردى خان حاكم اقليم فارس من قبل الشاه • فاقتنص عباس هذه الفرصة لاجراء اتصالات مع ركن الدين مسعود الذى وافق على نزول قوات فارسية سرا الى الجزيرة وبهذه الطريقة نزل الفرس الى البحرين دون أن يحتاجوا الى مواجهة بحرية مع البرتغاليين وما أن

استقر الفرس هناك حتى عمدوا الى قتل ركن الدين مسعود واعلان ضم الجزر الى حكومة الشـــاه •

ولاشـــك أن فقــدان البحرين كان خســـارة كبيرة للبرتغاليين فى الخليج اذ كانوا يحصلون منها رســوما عاليه علي استخراج اللؤلؤ كمــا ان الجزر تضم أراضى صالحة للزراعة استخدمت لتزويد هرمز بالمؤن • وقد اعتبر البرتغاليون أن البحرين جزءاً من ممتلكاتهم على أســـاس أنهم ورثوا هرمز وان البحرين تابعــة تقليديا لهذه المملكة ولذلك سيطالبون باستردادها خلال الاتصـــالات الدبلوماسية التى ستجرى بعد ذلك مــع فــارس •

حاول الشـــاه عباس قبل اجراء سلسلة من الاتصالات مــع بلاط مدريد أن يستعدى أوربا على المستعمرات البرتغالية فى الخليج فأوفد بعثة خاصـــة تحمل تقارير عن مساوىء ادارة البرتغاليين لهذه المستعمرات وكيف أنهم يضرون بمصالح التجارة العالمية •

ولم تسفر بعثة حسين بك عن أى نتيجة تذكر لذلك لم تجر اتصـــالات هامـــة الا بعد سقوط البحرين واهتمام البلاط الأسبانى باسترجاعها • فقد كانت حكومة مدريد تظن أن الفرس فى حاجة ملحة للتحالف مع أسبانيا فى صراعهم مع العثمانيين لذلك كانت شروطهم دائمـــا متشددة ، ومطالبهم الاقتصادية كبيرة بحيث يتعجب المرء امام قبول الشـــاه مبدئيا لهـــذه الشروط •

وحينما وصـــل المبعوث الأسبانى دى جوفيا لمقابلة الشاه فى مازندران، كان الفرس قد ضربوا حصارا حـــول القلعة البرتغالية فى جمبرون ، فتضمنت العروض الأسبانية الشروط التالية :

أولا : رفع الحصار المضروب حول جمبرون •

ثانيا : اعادة جزر البحرين للبرتغاليين •

ثالثا : أن يكون للامبراطورية الأسبانية البرتغالية حق إحتكار الحرير الفارسى فلا يجوز بيعه لأية جنسية أخرى •

رابعا : عقد تحالف بين مدريد وأصفهان ضد العثمانيين •

رضى الشاه بهذه التنازلات مبدئيا ورفع الحصار بالفعل عن جمبرون وصدرت الأوامر للقائد الفارسى فى البحرين ليسلم الجزر للبرتغاليين وقد كبر عليه أن ينفذ هذا الأمر وبرر موقفه بأنه لم يلحظ فى أوامر الشاه حزما كافيا وبالفعل لم يلح الشاه فى تنفيذ هذا الأمر واغفله تماما •

انتهز قليب الثانى ملك أسبانيا فرصة احراز انتصار فارس على العثمانيين فأوفد دى جوفيا فى سفارة ثانية سنة ١٦٠٨ م الى فارس بقصد تهنئة الشاه بهذا النصر •

وقد شكا المبعوث الأسبانى من أن حاكم البحرين لم يلتزم بأوامر الشاه فى تسليم الجزر للبرتغاليين ثم كرر المطالب الاقتصادية المشار اليها آنفا طالبا احتكار جميع السلع التى تصدرها فارس •

رد الشاه عباس على هذه المطالب بارسال وفد فارسى الى أسبانيا حتى يستطلع امكانات التحالف ، ولابد أنه شعر بأن التضحيات التى تطلبها أسبانيا تزيد كثيرا على قيمة التحالف المحتمل فالأسبان لايستطيعون ان يقدموا مساعدات فعالة مباشرة لأنهم يوجهون اهتماماتهم الرئيسية الى مستعمراتهم فى العالم الجديد ويتركون للبرتغاليين مهمة الشئون العسكرية فى البحار الشرقية •

والخلاصة أن فقدان الثقة استمر طوال هذه الاتصالات حتى أن الشاه

لم يقابل مبعوثيه بعد عودتهم من مدريد وكان قد صمم منذ سنة ١٦١٥ على تغيير سياسته ازاء البرتغاليين فى الخليج .

ولما كان الفرس يشعرون بتخلفهم عن البرتغاليين فى مجال الحروب البحرية ، فقد آثروا البدء بتحرير ميناء جمبرون من القلعة البرتغالية المشرفة عليه فأمر الشاه حاكم لار بضرب حصار عليها واستطاع امام قلى خان قائد القوات الفارسية الاستيلاء عليها سنة ١٦١٥ م وأمر بهدمها واقامة قلعة أخرى الى الداخل بعيدة عن مرمى المدافع البرتغالية . ولاشك أن سقوط جمبرون قد ترك هرمز دون قاعدة تستند اليها فى الحصول على الامدادات .

تحرير هـرمز :

اعتبرت جزيرة هرمز تالية فى أهميتها لمدينـة جوا الهندية عاصمـة الامبراطورية البرتغالية فى الشرق • والواقع أن هرمز استمدت كما رأينا أسباب ازدهارها من كونهـا محطة لتجـارة العبور بين الشرق والغرب • أو على الأقل بين الدول المجاورة ، لذلك فانها تفقد ميزاتها اذا كان المسئولون فيها على عـلاقات سيئة مـع جميع الشعـوب المجاورة (الفرس والعرب وسكان الولايات العثمانية) وهكـذا كان الحال خاصـة بعد ان انقطعت الاتصـالات بين الدولة الصفوية وبين العرش الأسبانى بل ان أسبانيا نظرا لحروبها المستمرة أصدرت الأوامر بمنع التجارة بين هـرمز وبين الولايات العثمانية ولاشـك أن تجار العراق قد تضرروا من هذه المقاطعة على الأقل لأنهم كانوا يستخدمون مضيق هرمز للعبور الى الهند اذا لم يتبادلوا السلع فى نفس الجزيرة •

على أن حكام هرمز من البرتغاليين لم يكونوا يلتزمون دائمـا بأوامر الحظر فكانوا يرسلون قوافل بحرية الى البصرة ولمـا ساءت علاقاتهم بالعرب وبالفرس كثرت المشاحنات البحرية مما أضر بالتجارة عموما فى الخليج • والظاهر أن البرتغاليين مارسوا أعمال القرصنة قبل ان يمارسها العرب ولم يتوقف البرتغاليون طوال هـذه الفترة عن محاولاتهم لاسترداد البحرين عن طريق القوة حتى قيل أن خطة الفرس فى حصـار جمبرون انما كانت تستهدف تخفيف الضغط على البحرين فتشتت القوات البرتغالية ما بين الدفاع عن جمبرون وما بين تدبير الخطط للهجوم على البحرين •

فلما سقطت جمبرون ، وهى تبعد نحـو ستة عشر كيلو مترا عن هرمز ، فقدت الجزيرة مصـادر تموينها من الغذاء والمياه ، وقل استخدامها لنقل تجارة العبور لأن قسما كبيرا من هـذه التجارة كان يرد من جمبرون •

والواقع أن اضطراب الملاحـة فى الخليج حتى من قبل نشـوب

انصراع البرتغالى الفارسى جعل التجار يفكرون فى طريق بديل عن الخليج ، وشرع بعضهم فعلا فى استخدام الطريق البرى بين الهند وفارس وهو الطريق الذى يمر بمدينة قندهار الأفغانية .

وقد لفت استيل ، أحد التجار الانجليز ، نظر شركة الهند الشرقية الى هذا الطريق ، ومن جهة أخرى فان شيوع استخدام طريق رأس الرجاء الصالح كمحطة لتجارة العبور بين أوربا والشرق قلل من أهمية هرمز ، ويتضح من ذلك كله كيف أن هرمز فقدت ميزتها التجارية بالتدريج على عهد الحكم البرتغالى . واذا كان البرتغاليون قد تشبثوا بها فذلك راجع الى أسباب تتعلق بالهيبة ، وبمصالح القواد الذاتية ولأن البرتغاليين بعد أن أساؤا معاملة أهالى الخليج على مختلف جنسياتهم أدركوا أن مصيرا مظلما سوف ينتظرهم اذا ما سقطوا فى يد أعدائهم ويمكن القول بأن عوامل التدهور كانت تنخر فى عظام البرتغاليين فى الخليج من الداخل بسبب أساليبهم الوحشية فى معاملة السكان من جهة وطريقتهم فى ادارة التجارة والملاحة من جهة أخرى ، بل أن علاقاتهم بدولتهم كانت أبعد ما تكون عن مراعاة الولاء والمصلحة العامة لحكوماتهم .

لقد انتهز القواد المحليون ضعف حكومة لشبونة وتبعيتها للأسبان لكى يديروا المستعمرات لحسابهم الخاص وكونوا ثروات ضخمة وامتلك بعضهم أساطيل خاصة . ولما كانت مدة ولايتهم لا تزيد عن ثلاث سنين حسب العرف السائد فى ذلك الوقت فان كل حاكم كان يجتهد فى أن يجمع أكبر قدر من الثروة خلال هذه المدة القصيرة فلا غرو بعد ذلك أن يحاول الذين يتطلعون الى هذه الوظائف الوصول اليها بأية وسيلة ، وكان اسلوب الرشوة هو أيسر تلك الوسائل .

وحسب ما رواه أحد حكام هرمز سنة ١٥٥١ م وكان يدعى الفارودى نورنها ، أن سلفه جمع أثناء عمله فى حكم الجزيرة ١٤٠ ألف بردوسه من العملة البرتغالية . أما هو فقد جمع ضعف هذا المبلغ .

وعندما تكونت شركة الهنـد الشرقية البريطانية ، ترددت فترة فى استخـدام موانى الخليج لتصريف بضائعها بسبب اضطراب الملاحـة ووجود البرتغاليين فى هرمز لمـا وصلتها التقارير عن أهمية تجارة فارس •

اختارت شركة الهند الشرقية ميناء جاسك على الطرف الجنوبى من الساحل الفارسى لتقيم فيه وكالتها ومعنى ذلك أن الشركـة الانجليزية أرادت أن تبتعد عن مضيق هرمز حيث يوجـد المعقل البرتغالى الكبير ، ويبدو أن حكومـة مدريد ما كادت تسمع عن بدء النشـاط التجـارى الانجليزى فى فارس حتى احتجت على ذلك مستندة الى مشاريع التحالف التى لم تتم بين البلدين •

ومما يسترعى الانتباه أن السفير الفارسى فى مدريد «روبرت شيرلى» أيد وجهة النظر الأسبانية مما يدل على عدم ولائه للدولة التى يمثلها ، فليس غريبا بعد ذلك الا يستمع الشـاه الى احتجاج حكومة مدريد ولا الى توصيات سفيره هناك فقد ورد فى رده على هذه الاحتجاجات قوله اذا كنتم تريدون اخراج الانجليز من الخليج فعليكم ان تفعلوا ذلك بأنفسكم •

رغم تعرض السفن الانجليزية لمضايقات الأسطـول البرتغالى فى الخليج ، فقد تواصلت أعمال الوكالة الانجليزية فى جاسك ، ودفع التجار الانجليز مبالغ أعلى فى شراء الحرير الفارسى ، مما جعل التجار المحليين يقبلون على التعامل معهم ، ولم يلبث الهولنديون أن ظهروا أيضا على مسرح التجارة الفارسية • حينئذ شرعت حكومة مدريد فى التفكير فى اتخـاذ مـوقف متصلب •

ففى سـنة ١٦١٨ بعث فيليب الثالث ملك أسبانيا بتعليماتـه الى « جوا » لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهة محتملة مع فارس •

وفى نفس الوقت حاول ملك أسبانيا مواصلة الحوار مع الشـاه على

أساس الحلول الدبلوماسية وازالة الخلافات بالتراضى ، بيد أن هـذه الحلول فى نظر الشـاه كانت تنطوى على الشعور بالتعالى • فالمطالب الأسبانية مازالت تردد مبدأ اعادة البحرين وجمبرون للحكم البرتغالى • واذا كان الفرس قد ترددوا من قبل فى اعادة البحرين فقـد صـارت الاستجابة لمثل هـذه المطالب أبعد عن التحقيق بعد تحرير جمبرون •

والظاهر أن ملك أسبانيا كان مايزال يعتقد أن الصراع بين الفرس والعثمانيين سيدفع الشـاه الى التساهل ، لذلك جـدد فكرة التحالف بين البلدين وطلب الى حكومة أصفهان ان تؤيد مرابطة أسطول برتغالى عند باب المندب لمنع مرور التجارة بين مصر والولايات العثمانية من جهة والبحار الشرقية من جهة أخرى ويدل هذا المطلب على عدم وضوح رؤية الأسبان للأوضاع فى جنوب شبه الجزيرة العربية فلم يكن للفرس أية قوة أو سلطة فى خليج عـدن تجعل موافقتهم أو عدمها أمرا ضروريا لتحقيق مطالب الأسبان •

ومن بين الاقتراحات التى قدمها فيليب الثالث الى الشاه سنة ١٦١٨م ما يتعلق باحتكار بلاده لتجارة الحرير • (فينبغى على التجار الايرانيين سـواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أن ينقلوا كل ما يصدرونه من حرير الى هرمـز أو جـوا • فاذا نقلوا بضائعهم الى مكان آخر ، فسـوف نتخذ الاجراءات الضرورية لمنعهم من ذلك) •

نسبت رسالة الملك الأسبانى تلك الاقتراحات الى روبرت شيرلى ، والراجح أن يكـون ذلك صحيحا ، لأن ذلك السفير لم يتأخر فى ابلاغ الشـاه بأن الأسطول الأسبانى قادم الى الخليج لمساندة البرتغاليين ، ويحثه على تجنب الصـدام مع الاسبان ، وعدم الاعتماد على الانجليز لأنهم لا يصلحون لمحالفة الفرس بسبب ما بينهم وبين العثمانيين من صلات •

غضب الشـاه لهذا الأسلوب ، ولم يكن يفكر بعد فى تحالف مـع

الانجليز وانمـــا استاء من التهديد ، ورد بلهجة عنيفة قائلا أنه لن يتخلى عن شبر واحد من بلاده وأن البحرين اذا كانت تابعة لهرمز فان هرمز نفسها تابعة لفارس ، وأردف قائلا « أما المســـاعدة الإسبانية ضـــد العثمانيين فلسنا بحاجـــة اليها لأننا عقدنا الصلح مع الباب العالى » •

تحرك الأسطول الأسبانى من أوربا سنة ١٦١٩ تحت قيادة روى فرير ومقصده المعلن هو اقفال باب المندب فى وجـــه السفن العثمانية • أمـــا الحقيقة فهى أولا : تخويف الشـــاه عباس من القيام بأى عمل عـــدائى ضـــد البرتغاليين فى الخليج • والقضـــاء على التجارة الانجليزية هناك قبل أن تثبت أقدامها فى فارس • تدل على ذلك التعليمات التى حملها روى فراير فى رحلته • فهى تقضى بأن يكرر المطالب الأسبانية على الشاه بما فى ذلك حق احتكار الحرير الفارسى فاذا نجح فى مهمته فيمكنه بعد ذلك أن يتوجه الى البحر الأحمـــر لتنفيذ خطة اغلاق باب المندب • أما اذا رفض الشـــاه ، فعلى القائد الأسبانى أن يتدخل لاسترداد جمبرون والبحرين ، ومساندة الحامية البرتغالية فى هرمز بانشاء موقع جديد فى جزيرة قشم •

مـــر روى فراير بمدينـــة « جـــوا » قبل أن يتوجه الى الخليج ، وحينمـــا وصـــل الى هرمز ، حدث انشقاق فى القيادة البرتغالية الأسبانية حول الخطط التى يجب اتباعها نحـــو فارس فممثلوا الطوائف التبشيرية نزعوا الى الحرب ، ربمـــا لأنهم كانوا يشعرون بالغضب لاخفاقهم فى أعمال التبشير فى بـــلاد اســـلامية كفارس ، على عكس النجاح الجزئى الذى حققوه فى المناطق الهندوسية •

وكان الآباء الكرمليون والأوغسطينيون هم الذين يحاولون ممارســـة النشاط التبشيرى فى فارس والعراق وبعض مناطق الخليج •

ومن المفارقات أن يكون القواد العسكريون أميل الى الصلح ، ورجال الدين هم دعاة الحرب •

أمـا القائد الأسبانى فقد حدد موقفه على ضـوء المنافسات الأوربية واعتبر ظهور السفن الانجليزية فى الخليج واستمرار تجارتها مع فارس خطرا كبيرا يهدد المصالح البرتغالية وبقاء هرمز بيد الامبراطورية ونبه ن سقوط هذا المعقل سيكون له أثر بعيد على الممتلكات البرتغالية بأسرها ى الشرق •

لاحت نذر الحـرب بين الايبيريين من جهـة والانجليز من جهـة أخرى فوق مياه الخليج قبل أن يدخل الفرس كطرف فى هذا النزاع الأوربى ذلك أن الشـاه فضـل سياسة الحذر والانتظار حتى يرى نتيجة القتال ثم يحدد موقفه بعد ذلك •

وفى نهاية سنة ١٦٢٠ دارت معركـة بحرية بمحاذاة ميناء جاسك حيث توجـد الوكالة الانجليزية ، وكان البرتغاليون قد منعوا سفينتين انجليزيتين من الدخول الى الميناء فوجـد المبرر لكى يشن الانجليز على خصـومهم هجوما بحريا ، ورغم تفوق البرتغاليين من حيث عدد السفن الحربيـة ، فقـد الحق الانجليز بهم خسـارة فادحة فيمـا يمكن تسميته بمعركـة جاسك ، ويرجع الفضـل فى ذلك الى أن السفن الانجليزية التجارية كانت مسلحة تسليحا جيدا •

أصبح مندوب شركة الهند الشرقية فى فارس بعد الانتصـار فى هذه المعركـة يتطلع الى ماهـو أبعد من الأهداف التجارية البحتة ولو أنـه باعتباره ممثلا لشركة كان يضرب على نغمـة المصالح التجارية فهو يقرر لدى مركز الشركـة الرئيسى فى سـورات بالهند بأن ازدهار التجـارة الانجليزية فى فارس يتطلب طرد البرتغاليين من هرمـز أو حتى احتلال البريطانيين لهذه الجزيرة •

أمـا الشـاه عباس فلم يتحول مباشرة الى فكرة التحالف مع الانجليز أثر انتصارهم فى جاسك فهو حين اجتمع بمندوبى شركة الهنـد الشرقية

فى ذلك الوقت ، اقتصرت مباحثاته على الشئون التجارية ، ولم يتطرق الى موضـــوع التحالف العســكرى • والذى دفع بالشـــاه الى فكــرة التحالف مع الانجليز كان اجراءاً أسبانيا اتخذه روى فرابر بعد معركـــة جاسك الا وهو احتلال جزيرة قشم ، وذلك لتعويض جمبرون التى كانت تمد هرمز بالمياه والمؤن •

اعتبر الشـــاه هــذا الاحتلال عملا عدائيا ، لأنه بعد أن تطلع الى تصفية الوجـــود البرتغالى من الأراضى التابعة له • لم يعد من المعقول أن يتقبل احتلال منطقة جديدة من ممتلكاته مثل قشم فعلى أثر ذلك الحـــدث فاتح الشـــاه « موتكس » مندوب شركة الهند الشرقية فى أمر التحالف ، واعدا الانجليز بمزيد من الإمتيازات التجارية • وحث المنـــدوب على أن يطلب من ادارة الشركة وضع قوة بحرية انجليزية ترابط فى الخليج بصفة دائمـــة •

ويبدو أن الشاه عباس أراد أن يكسب الوقت الى أن يعقد التحالف مـــع الانجليز بصـــورة رسمية فبينما كانت الاتصالات جارية مع شركة الهند الشرقية ، استقبل الشـــاه بعض الاساقفة الاغسطونيين ، ووضح لهم كيف أن احتلال قشم يعد عملا عدائيا ، الا أن ذلك لا يعنى حتميـــة الحرب فمن الممكن التباحث حـــول الصلح مع القيادة فى هرمز • وقد حمل أحـــد الأساقفة رسالة الشـــاه واستغل ظروف هذه الوساطة لكى يوغر صـــدر روى فرابر على الفرس •

وعلى العكس أراد القواد البرتغاليون الذين يعيشون فى هرمز منذ زمن بعيد الاستجابة لدواعى الصلح ، موضحين أن احتلال قشم لا يستهدف الاعتداء على فارس وانما تتخذ الجزيرة كنقطة للتموين فقط ومما لاشك فيه أن القادة العسكريين لم يشاءوا التضحية بمصالحهم ، وأعمالهم التجارية فى مقابل مغامرة حربية غير مضمونة العواقب غير أن رسالتهم الى الشـــاه جاءت متأخرة •

وهناك عوامل مختلفة حسمت فى نهاية الأمر موقف الشاه عباس باتخاذ قرار الحرب ضـد الأسبان والبرتغاليين والاستيلاء على هرمز ، من ذلك الغارات التى أخذ المغامرون البرتغاليون يشنونها على السواحل الفارسية فيقتلون السكان وينهبون الثروات ثم يعودون الى معقلهم فى هرمز ، ومنها أيضـا رؤية الشـاه للعرب فى ساحل عمان يستولون على حصن برتغالى سنة ١٦٢٠ ، وقـد كان تعاون السكان على الشاطىء المواجـه عنصرا هاما فى خطة الهجوم على هرمز لأن الجزيرة صارت تستجلب جزءا من حاجياتها من المياه من الشاطىء العربى القريب .

ولعل أهم عامل فى قرار الشـاه لعقد التحالف مع الانجليز هـو أن الفرس لم تتوفر لديهم قوة بحرية قادرة على احتلال الجزيرة فضلا عن الوصـول اليها ، واذا كانت البحرين قد سقطت فى يد الفرس سنة ١٦٠١ فان ذلك تم بالتعاون مع الحاكم المحلى ، ولم تكن حكومـة مدريد حينذاك قـد أخذت على عاتقها الدفاع عن الممتلكات البرتغالية فى الخليج كمـا فعلت عند ارسال حملة روى فراير لحماية هرمز . وتطلب الأمر أن يستخدم الشـاه الضغط على ممثلى شركة الهند الشرقية حتى يقنعهم بالتحالف فبين لهم أن الامتيازات التى تمت ، انمـا تحققت بعد مفاوضات شـاقة واذا لم تقدم الشركة معونتها ، فهو لن يسحب هذه الامتيازات فقط بل سيغلق طريق القوافل البرى أيضـا .

وفى سـورات تردد المسئولون عن الشركة حـول التورط فى الحرب ومـا ستكلفه من نفقات . صحيح أن الشركة تملك امتياز اعلان الحرب وعقد الصلح فى بلاد الشرق ولكنها قبل كل شىء مؤسسة تجارية ولا تتوسع فى نفقات الحرب الا عند الضرورة .

وكان مونكس مثـل الوكلاء المحليين أكثر حماسـة لعقـد التحالف الانجليزى الفارسى . فذكر أن الضرورة تقتضى فعلا محاربة البرتغاليين الذين يهاجمون السفن الانجليزية فى الخليج .

أمـا رياسـة الشركة فى لندن فلم توافق على هذه المغامرة الحربية ونظرت الى المسـألة من زاوية العلاقات الأوربية ، ففى تلك الفترة كان الهدوء يسـود العلاقات بين أسبانيا وانجلترا • وحينما وصـل رأى انرئاسـة الى سـورات كان التحالف قد تم وخرج الأسطول الانجليزى فى اتجاه الخليج •

تم عقد التحالف الانجليزى الفارسى فى يناير سنة ١٦٢٢ وفى أثنـاء المباحثات حـول هذا الموضوع ، قدم الانجليز طلبا بأن يكـون لهم حق تحصيل الضرائب التى كانت تدفعها هرمز لاقليم « لار » الفارسى فيمـا مضى • كمـا أرادوا أن يكون لهم حق تسلم القلعة •

وتم الاتفاق على الشروط الآتية :

١ ــ عندما يتم احتـلال هرمز ، تقسم الغنائم بالتسـاوى بين الطرفين المتحالفين •

٢ ــ يشترك الطرفان فى احتلال القلعة البرتغالية •

٣ ــ تقسم العوائد بالتساوى بين الطرفين ، وتعفى البضائع الانجليزية الى الأبد من الرسوم الجمركية عند دخولها هرمز •

٤ ــ بعـد انتهاء الحـرب يسلم الأسرى المسلمون للفرس والمسيحيون للانجليز وسيطلب الفرس استثناء القائد الأسبانى من هذا الشرط ولكن الانجليز لن يسمحوا بذلك •

٥ ــ تدفع فارس نفقات تموين السفن ، ومرتبات الجند وثمن البارود المستهلك •

كلف الشـاه امام قلى خان ، حاكم اقليم « لار » بقيادة القـوات الفارسية فى الهجوم على هرمز • فتعاون مع الأسطول الانجليزى فى العبور

الى الجزيرة واتجهت الحملة أولا الى جزيرة قشم ، وكانت تضم عـددا كبيرا من البحارة العرب الذين ينتمون الى القبائل النازلة على الساحل الفارسى ، فاحتلتها دون أن تتحمل خسـائر تقريبا ٠

ثم أعيد تجمع قوات الحلفاء ، واستطاعت النزول الى ساحل هرمز دون صعوبة وذلك فى أبريل سنة ١٦٢٢ م ٠

أما القلعة فقـد كان من الصعب اقتحامها فدارت حـولها معارك حامية ولوحظ أن بعض المسلمين حاربوا مـع البرتغاليين ، داخل القلعة ، وسـيعدم جميع هـؤلاء المرتزقة ومن ضمنهم حاكم محلى كان البرتغاليون يستخدمونه فى بعض الأمـور الثانوية ٠

وعندما سقطت القلعة ، وجدت بها ثروات هائلة كان قـد كدسها البرتغاليون ، ففى أحد المخازن فقط احصى نحو مليونى كورونة ٠

وقـد تسلم الفرس القلعة وما فيها من معدات حربية حسب التعديل الذى ادخل على اتفاقية التحالف ٠ وستظهر بعض المدافع البرتغالية فى الحملـة التى سيشنها الفرس على العثمانيين فى العراق بعد سنة واحدة من سقوط هرمز ٠ أمـا الغنائم فقـد قسمت بين الطرفين المتحالفين بما يتراوح بين عشرين وخمسـة وعشرين ألف جنيه ٠

تقلص الدور الفارسى :

لعل أهم انجاز حققه الفرس فى عملية تحرير الخليج هو الاستيلاء على جزيرة هرمز وانتزاعها من البرتغاليين ، ثم تقلص الدور الفارسى بعد ذلك لتنتقل حركة التحرير الى العرب العمانيين •

وقد كان لسقوط هرمز نتائج متشعبة على المستوى الدولى والمحلى فعلى المستوى الدولى أدركت الامبراطورية البرتغالية أنها لا تستطيع الاعتماد على اسبانيا ، وعندما يسترد البرتغال استقلاله سنة ١٦٤٠ سيدخل فى مرحلة تحالف مع بريطانيا ، وبالمثل لم تعر الحكومة البريطانية أهمية للعملية العسكرية التى تمت بالتحالف مع الفرس ، بل فرضت غرامة على شركة الهند الشرقية مقدارها عشرون ألف جنيه لتورطها فى مغامرة حربية أثرت على علاقاتها بأسبانيا ، ولم تعد جزيرة هرمز مفيدة للانجليز لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية التجارية ، فلم يقبل الشاه انشاء وكالات أو قلاع على أرض الجزيرة ، بل هدم القلعة البرتغالية وترك ٣٠٠ جندى ايرانى للدفاع عن الجزيرة ضد أية محاولة قد يقوم بها البرتغاليون لاستعادتها •

غير أنه على المدى البعيد حقق الانجليز مكاسب تجارية هامة ، فقد حل ميناء بندر عباس محل هرمز كمركز لتجارة العبور ، وحصل الانجليز هناك على امتيازات عديدة ونمت تجارتهم باطراد •

ولا شك أن موقع هذا الميناء أفضل من جاسك التى استخدمها الانجليز فى بداية الأمر عند افتتاح تجارتهم مع فارس •

وعلى المستوى المحلى اكتسب الشاه عباس ثقة بقواته فلم يشأ التوقف عند الاستيلاء على هرمز ، بل حاول ملاحقة البرتغاليين فى عمان ،

مذكرا بأن العرب وقفوا مع الفرس فى تحرير هرمز ، وبالتالى فان تدخل الفرس لتحرير بعض الموانى العمانية من البرتغاليين نوع من رد الجميل •

وكانت الخطة الأولى تقضى باستمرار التعاون مــع الانجليز فى هذه المهمــة وذلك طبقا لتحالف يناير سنة ١٦٢٢ م فقــد اشتمل على نص تعهد الانجليز بمقتضاه بتطهير مياه الخليج من الأسطول البرتغالى على أن تدفع ايران نصف تكاليف تلك الاجراءات ، وبنــاء عليه طلب امام قلى خــان مســاندة الانجليز فى البحر ريثما يقــوم الفرس بالحملــة على صحار وخورفكان •

ولم يشــأ الانجليز أن يرفضــوا صراحة هــذا المطلب فوضعـــوا شروطا صعبة للتعاون بحيث يتعذر على الفرس قبولها • وهكــذا طالبوا بالاستيلاء على هرمز والمرابطة فى قلعتها وتقسيم عوائد الجمارك فى الجزيرة بالتساوى وترابط أربع سفن انجليزية أمــام ســواحلها بصورة دائمــة •

ومجمل القول هو أنه لم يكن من المعقول أن يستمر التعاون العسكرى بين الانجليز والفرس فى الخليج ، على حين أن شركة الهند الشرقية عوقبت على تعجلها فى حملة هرمز •

وقد حاول البرتغاليون بعد ذلك أن يعوضوا ضعفهم فى البحـــر بتقوية مواقعهم المنتشرة على سواحل عمان ، الا أن هــذه المواقع بــدون عمق داخلى ووسط شعب معاد ، لم تكن قادرة على البقاء طويلا أو تعويض الموقع الاستراتيجى الهام فى الجزر •

وبمناسبة المعركــة البحرية المشــار اليها أراد البرتغاليون اصلاح السفن المعطوبة فى مسقط ، الا أنه تبين أن الميناء لا يحتوى على المعدات اللازمــة لهذه العمليات •

ومن الأساليب الجديدة التى حاول البرتغاليون التعويض بهـا عن فقدان هرمز ، فتح باب الاتصـال مع حاكم البصرة المستقل مـن أسرة افراسياب التى حكمت المنطقة منذ سنة ١٦١٢ م فاتصـل روى فراير بعلى باشـا الافراسيابى سنة ١٦٢٣ عن طريق طائفة الآباء الكرمليين •

وقد تردد الحاكم فى بداية الأمـر ، ثم رأى أن مصلحته الشخصية تتفق وفتح باب الاتصالات مـع البرتغاليين لأنه بات بعد الغزو الفارسى سنة ١٦٢٣ يجـد صعوبة فى المحافظة على مركزه أمـام القوتين الاسلاميتين الكبيرتين ، ولذلك وافق على فتح شط العرب للسفن البرتغالية ، ولاحـظ الرحالة تردد هذه السفن على البصرة وشرع البرتغاليون فى استخـدام الطريق البرى عبر العراق فالبحر المتوسط الى أوربا لنقل البضائع •

ولـما توسـع البرتغاليون فى استخـدام طريق القوافل البرى بين البصرة وحلب لنقل التجارة الى أوربا ، أخذ المندوبون التجاريـون مـن الانجليز والهولنديين ينظرون بقلق إلى هذه المنافسة التجارية •

ويبـدو أنهم بالغـوا فى تقاريرهم الى حكوماتهم فى أهميـة الطريق البـــرى •

وعلى أية حال فان البرتغاليين لم يتمكنوا من استخدامه لفترة طويلة ، فبعد تصـاعد حركة الجهاد العمانى ، لم تعد الملاحـة البرتغالية آمنـة فى الخليج •

ومن جهة أخرى حاول الشـاه عباس أن يعرقل استخدام البرتغاليين للطريق البرى بأن حرض شيوخ القبائل الضاربة حول هذا الطريق لكى تمنع مرور القوافل ، غير أن هؤلاء الشيوخ غلبوا مصلحتهم الذاتية وهى تحصيل الأتاوات مع مرور القوافل •

فلما يئس الشـاه من هذه الطريقة ، اتجـه مرة أخـرى الى شركة

الهند الشرقية طالبا مساعداتها العسكرية فى الاستيلاء على البصرة فاعتذر ممثلوا الشركة على أساس أن التعليمات تقضى بعدم تجاوز منطقة هرمز ، ولأن تدخلا فى البصرة بالتحالف مع الفرس يسىء انى العلاقات الانجليزية العثمانية ومهما اكتسب حاكم البصرة من مظاهر الاستقلال فان المدينة نبقى خاضعة رسميا للباب العالى •

وعندما تغيرت علاقة البرتغاليين بالفرس بتوقيع معاهدة الصلح سنة ١٦٢٥ م تعهد الأولون بسحب سفنهم من البصرة ومع أنهم نفذوا هذا التعهد الا أن محاولات الفرس المتجددة للاستيلاء على البصرة باءت بالفشل • وتوقفت هذه المحاولات بعد وفاة الشاه عباس •

ويمكن القول أن من مظاهر تقلص الدور الفارسى فى تحرير الخليج بعد سقوط هرمز ، انغماس الشاه عباس من جديد فى الحرب ضد العثمانيين •

ومن المعروف أن الشاه الكبير احتل فى سنواته الأخيرة ولاية بغداد بين عامى ١٦٢٣ ، ١٦٢٩ وانصرف خلال هذه الفترة الى اضطهاد أهل السنة فى الولاية تاركا وراء ظهره مهمة الصراع ضد البرتغاليين •

واستفاد الافراسياب من هذا الوضع لكى يفتح لهؤلاء الغزاة مجالا جديدا للعمل ، وبعد استرداد العثمانيين للعراق قضى الشاه عباس نحبه ، ولم تتح للدولة الصفوية شخصية تضارع الشاه الكبير فى قدرته على مواجهة البرتغاليين فضلا عن استقرار النظام فى الداخل •

الــدور العربــى

اذا تحدثنا عن الدور العربى فى مناهضــة السيطرة البرتغالية فان الأمــر يكاد يقتصر على ما حققته الدولة اليعربية .

وعلى امتداد ساحل شبه الجزيرة لم تظهر قــوى عربية تستحق الذكر فكان السكان اذا اشتد عليهم الضغط استنجدوا بالعثمانيين أحيانا ، أو استسلموا للغزاة أحيانا أخــرى ، وانقلبت هــذه الأوضــاع رأســا على عقب حينما حقق الامام ناصر بن مرشــد وحدة عمان تحت زعامته ، والســؤال الذى يرد على الأزهان فى هذه المناسبة هو : هل تحقق توحيد عمــان عن طريق تجمع زعماء القبائل وقبولهم بالطاعة لشخص واحــد ؟ أم انها تحققت نتيجة حركة احياء دينى ، وهو العامل المؤثر فى قيام الوحدات فى شبه جزيرة العرب .

فالحركة السلفية هى التى وحــدت نجد ، والامامة الأباضية هى التى حققت وحــدة عمــان .

وفى تقديرنا أن العامل الدينى كان هو الأســاس فى حركة الوحــدة العمانيــة .

وقد اقترن فى ذلك الوقت بعامل اضافى ، وهو الدعوة للجهــاد لتحرير المسلمين من الاحتلال البرتغالى المسيحى .

كما أن العامل الاقتصادى لعب دوره فى حركة توحيد عمــان ، وهو يتمثل فى الأضرار البالغــة التى لحقت بالتجارة والملاحة العمانية من جراء وجود البرتغاليين فى الموانى الهامة وتدخلهم فى حرية الملاحــة العربية .

ومن المعروف أن العمانيين منذ العصور الوسطى يستمدون قســطا

عظيما من ثروتهم من الملاحـــة والاتجار مع شرق أفريقيا والهند ، وحتى جـــزر الهند الشرقية •

وتتضح أهمية هذا العامل الاقتصادى من صياغة الشروط التى ستتم بين العمانيين والبرتغاليين فى المراحل الأولى من حـــرب التحرير ، فحين لم يكن يتم الاستيلاء على ميناء مسقط كان يكتفى مؤقتا بالنص على عـــدم الاضرار بالتجارة والملاحة العربية كما سيرد ذكره بعد قليل •

أمـــا القبائل فلم تدرك دائمـــا قيمة الوحدة وأهميتها فى حركة تحرير البلاد ويلاحظ عند ذكر تفاصيل المعارك أن النزعة الذاتية تغلبت على بعض زعمـــاء القبـــائل ، فرفضـــوا الولاء للامامـــة بل استعانوا بالبرتغاليين للمحافظة على مراكزهم •

والذين بايعوا الامام ناصر بن مرشـــد سنة ١٦٢٤ هم أهـــل الحـــل والعقد ، أو النخبة اذا ما استخدمنا لغة العصر ، وهذه النخبة غالبا من المثقفين ثقافة دينية ، والذين يجمعون أحيانا شرف النسب الى وقار العلم ، وهى على كل حال فئة محدودة ، ومن ثم صادف الامام ناصر صعوبة فى عملية توحيد عمان ، وأمضى فيها وقتا قبل أن يشرع فى محاربة البرتغاليين •

ولم تكن ظروف الجهاد اذن سهلة عندما بدأ الصراع بين اليعاربة وبين الغزاة ، هـــذا الصراع الذى امتد على طول ساحل عمان وشمال مناطق تقع الآن فى دولة الامارات العربية المتحدة •

ومن الناحية الدبلوماسية حارب العمـــانيون فى ظروف أصعب مـــن الفرس فهم لم يتحالفوا مع أية قوة خارجية ، وبينما وجدنا العرب يتعاونون مع الفرس أثناء عملية تحرير هرمز ، نلاحظ أن حركة التحرير العمانية تمت أثناء مصالحة بين البرتغاليين والفرس ، وقـــد سمح للبرتغاليين بمقتضاه باقامة وكالة على الساحل الفارسى بل ان جماعات فارسية تعاونت مـــع

البرتغاليين فى بعض مراحل الصراع كما فعل ناصر الدين الفارسى قائد قلعة «صور» المجاورة للقلعة فى جلفار ، كذلك عاصر اليعاربة عهد استرداد البرتغال لاستقلالها عن أسبانيا ، وتقارب حكومة لشبونة مع حكومة لندن . ولم يتوقف اليعاربة عن مناهضتهم للبرتغاليين عند منطقة الخليج بل تابعوهم الى الهند وانتزعوا منهم جزءا كبيرا من ممتلكاتهم فى شرق أفريقيا .

بدأت الاشتباكات بين قوات ناصر بن مرشد وبين البرتغاليين من خلال منازعات قبلية فقد اتجه حاكم « سمايل » مانع بن سنان العميرى الى القيادة البرتغالية فى صحار ، طالبا مساندتها ضد الزعامة الأباضية الصاعدة ، فأرسل الامام ناصر بن مرشد أحد قواده لقمع الفتنة وهو مسعود بن رمضان فألحق بالبرتغاليين خسائر فادحة وعلى أثرها وافق البرتغاليون على صلح ينطوى على شروط توحى بقرب نهايتهم فى عمان من ذلك :

١ — يتنازل المسيحيون عن كل الأراضى والمبانى لهم حول صحار .

٢ — يتعهد البرتغاليون بدفع جزية سنوية للامام .

٣ — يعامل البرتغاليون المسلمين معاملة حسنة فى مسقط ومطرح .

ويدل ذلك الشرط على اهتمام الامام بأحوال السكان سواء أكانوا تابعين له أم خاضعين لقوة أخرى .

شجع هذا الانتصار ناصر بن مرشد على متابعة الجهاد ويلاحظ أنه لم يضع خطة معينة لانتزاع الحصون البرتغالية المتناثرة من جلفار حتى صور ، وانما كان يقيم فى عاصمته « نزوى » فاذا وجد أن هناك تجمعات قبلية فى موقع ما تساند الامامة ولديها استعداد للجهاد بادر الى تلك الجهة لمحاصرة القلاع والحصون البرتغالية .

ويمكن القول أن حرب العمانيين فى هـذه الفترة كانت هى معـارك الحصون والقلاع •

ولا شك أنها كانت مهمة عسيرة لأن البرتغاليين كانوا يبنـون الأبراج العالية ويثبتون فوقها المدافع الثقيلة والتى كانت بعيدة المرمى بمقياس ذلك العصر ، وتتطلب أحيانا بناء حصـون عربيـة فى مواجهة تحصينات العدو •

وكانت الخطوة التالية بعد المعارك التى دارت قرب صحار ومسـقط هى مهاجمة جلفار حيث أقام البرتغاليون قلعة حصينة فى « دبا » علـى مقربة من حصن « صـور » الذى يعسـكر فيه ناصر الدين الفارسى ، وقد سقط الحصن الأخير أولا وبعد حصار محكم لدبا ، وقد وافق العرب على ترك البرتغاليين يرحلون الى مسقط فى مقابل تخليهم عن الحصن ، ويعتبر الاستيلاء على صحار سنة ١٦٣٣ م أكثر أهمية فى تاريخ حرب التحرير العمانيـة •

وكان ميناء صحار قد سقط فى وقت متأخر فى يد البرتغاليين سنة ١٦١٦ ونشبت معركة صحار نتيجة طلب تقدم به أحد شيوخ القبائل الى القيادة البرتغالية لتسانده ضـد التبعية للامام • وكان على ناصر بن مرشـد أن يكسب ولاء قبائل أخرى مجاورة ، بل انه استطاع أن ينفذ الى أهالى صحار وبذا انحصر البرتغاليون فى قلعتهم كالعادة ولجأوا الى قذف المدفعية مما أحدث خسائر بين صفوف العمانيين •

ورأى الامام بعد أن طال الحصار أن يخفف الضغط عن رجاله وذلك بفتح جبهة ثانية عنـد ضـواحى مسقط مثل مطرح وروى ، وتعلل بأن البرتغاليين امتنعوا عن دفع الجزية •

وقد افادت هذه الخطة من جهتين :

الأولى : ان قلعة صحار اضطرت الى التسليم •

الثانية : ان القيادة البرتغالية فى مسقط ثبتت اتفاقية الصلح السابقة بما فيها دفع الجزية وأضافت اليها تراجعا جديدا فى المجال العسكرى وهو تسليم الحصون البرتغالية الواقعة خارج أسوار مسقط •

ويستخلص من قبول البرتغاليين دفع الجزية للامامة ، كيف أنهم قد صاروا فى مركز مهين بعد أن كانوا لا يرضون الا بأن يكونوا متبوعين •

اتجهت حركة الجهاد الى الموانى الصغيره فى الجنوب فتمكن العمانيون من انتزاع صور وقريات فى سنة ١٦٤٠ ولا ريب أن هذه الانتصارات تؤثر على السكان المسلمين فى مسقط فهؤلاء الذين تحملوا تعسف الحكم البرتغالى أكثر من مائة سنة انفتح أمامهم باب الأمل للتحرر من الحكم الأجنبى • هكذا كتب بعض المسلمين الذين يعملون لدى البرتغاليين فى جمرك مسقط الى الامام يستحثونه على مهاجمة المدينة ومؤكدين ولاءهم له ، كما أغروه بأن الحامية البرتغالية تضاءل عددها ، وبناء عليه أرسل الامام حملة تمكنت من الاستيلاء على حصن « روى » أما بقية القلاع فقد تعذر اقتحامها ، ولذلك قفل الامام راجعا الى « نزوى » ولم يكن لديه جيش نظامى ، فتتجمع القبائل عند نشوب المعركة ، ثم تتفرق عندما يعود الامام الى عاصمته •

وفى سنواته الأخيرة جدد ناصر بن مرشد محاولاته لتخليص البلاد من آخر أثر من آثار الوجود البرتغالى الا أن المنية وافته سنة ١٦٤٩ قبل أن يحقق حلمه فى تحرير مسقط •

ومع ذلك فقد حقق خلال هذه المحاولات الأخيرة خطوات الى الامام وازداد البرتغاليون انكماشا بفقدانهم حصن « مطرح » وتهديمه ، وفرضت عليهم شروط جديدة فتعهدوا بعدم التعرض للملاحة العمانية ، فلايطلبون —

كما كانوا يفعلون فى الماضى — أن تحصل السفن العمانية على تصريح منهم الا فى حالة ما اذا كانت السفينة تدخل أو تخرج من ميناء مسقط •

كذلك اعفى المسلمون فى مسقط من جميع الضرائب والرسوم على البضائع الواردة والصادرة لحسابهم • وبعد عهد الاحتكار فرض على البرتغاليين فى هذه السنة الأخيرة من وجودهم نظام المدينة الحرة بالنسبة لمسقط وحظر عليهم أيضا بناء تحصينات جديدة •

عندما أبلغت لشبونه بهذه الشروط اعتبرت قائد الحامية الذى وقعها خائنا ، واستدعته الى العاصمة حيث أجرى تحقيق معه ، وعين قائد آخر كلف بالتخلص من هذه الشروط ويبدو أن المسئولين فى لشبونه لم يكونوا على دراية بحقيقة الأوضاع فى مسقط والخليج • فكان من بين التعليمات التى حملها القائد الجديد عدم السماح للعمانيين بالاقامة فى مسقط عدا سكانها الأصليين •

كانت القلاع البرتغالية فى مسقط تلفظ أنفاسها الأخيرة حينما تمت البيعة لسلطان بن سيف اماما • فحاز فخر تحرير عمان من آخر المعاقل البرتغالية ولو أن معظم الانجاز قد تم فى عهد سلفه فجاء سلطان بن سيف والثمرة ناضجة فدخل العمانيون مسقط سنة ١٦٥٠ م •

وسلطان بن سيف هو ابن عم ناصر بن مرشد ، اختير على أساس الكفاءة وليس على أساس توارث الحكم ابنا عن أب • وقد ساد أسلوب الاختيار على عهد اليعاربة ، وان كان هذا الاختيار مقيدا بأسرة معينة •

وتعزو الروايات المحلية حادث الاستيلاء على مسقط الى قصة شخصية مؤداها أن قائد الحامية البرتغالية أراد أن يرغم مساعده الهندى ويدعى نيراتن على ترويج ابنته منه ، وأمام التهديد تظاهر نيراتن بالقبول وانتظر الفرصة المواتية للخروج من المأزق وكان الحصار العمانى

مضروبا حــول القلعة • فتفتق ذهن نيراتن عن حيلة ونصح القائد البرتغالى بتفريغ الميــاه والبارود لاستبداله بمــاء وبارود جديد ، وبينما كانت المدافع مجردة من الذخيرة أرســل الى القيادة العمانية يبلغها بأن الظروف مهيأة للهجوم المباغت •

ويستخلص من تلك القصــة أن سلطان بن سيف قد اقتحم المدينــة بفضــل خديعة هذا المساعد الهندى •

ومهما يكن فان مصير مسقط كان محتوما ، وقد دارت معركة حاميــة قبل سقوط المدينــة ، ولم يبق بعدها على قيد الحياة ســوى ستين برتغاليا اعتنقوا الاســلام وذابوا بعد ذلك فى المجتمع العمانى •

وثمت دلالة أخرى لهذه القصــة وهى أن العناصر المختلفــة التى تعايشت فى المستعمرات البرتغالية لم تتنصهر مع الغزاة حتى وان اعتنقت الكاثوليكية دينــا واصطنعت البرتغالية لغــة ، فقــد بقيت روح الاستعلاء مسيطرة على الغزاة ولذا لم يكن ولاء العناصر الآسيوية والأفريقية مضمونا •

لم تدرك حكومة لشبونة عمق التغيرات الاجتماعية والسياسية التى شهدتها عمان باحياء نظام الامامة وقيام الدولة اليعربية وربمــا اعتقــد البرتغاليون أن وفاة ناصر بن مرشد ستعود بعمان الى حالة من التفكك ولذلك دبروا خطــة لاسترجاع مسقط ســنة ١٦٥٢ م ، ولم يكن ثمت دواع اقتصادية لمثــل هذه المحاولة لأن مسقط صارت عبئاً على الامبراطورية منذ أن حرم البرتغاليون من تحصيل الجمارك والرســوم على التجار العمانيين والملاحــة العربية ، لذلك يمكن القول ان محاولة استرجاع مسقط لم تزد عن كونها تشبثا بأهداب ماض تليد ولى •

وعلى أية حال لم تكن هناك فرصــة لنجاح الحملة التى خرجت من جــوا وعادت ادراجها سنة ١٦٥٢ م ولم يبق للبرتغاليين فى منطقة الخليج

ســـوى أثر بسيط هو عبارة عن وكالة تجارية فى بلدة كنج على الســـاحل الفارسى ، قد احتفظوا بها بفضل علاقتهم الطيبة مع الحكومات الفارسية أحيانا ونتيجة الفوضى التى تعرضت لها فارس على فترات متقطعة أحيانا

وقد تطورت العلاقات البرتغالية الفارسية لدرجـــة التواطؤ علـــى خطة تستهدف الهجوم علي مسقط سنة ١٦٩٦ م ٠

ويبدو أن الفرس نظروا باستياء الى تصـــاعد قوة عمان فى الخليج فاتجهوا الى طلب مساعدة بريطانية ولـــا لاحظوا أن بريطانيا تلتزم الحياد تحولوا الى فكرة التعاون مع البرتغاليين ٠

وعندما بلغت أنباء هـــذا التحالف سيف بن سلطان لم يشـــأ أن ينتظر الهجوم على مسقط ، بل بادر هو بارسال قواته البحرية الى شواطىء الهند حيث ضربت ميناء منجالو وبينما كانت الامبراطورية تتقلص أمـــام غيرها من القوى الأوربية قامت حكومة لشبونة بمحاولة لاحياء وجودهـــا فى الخليج ، وذلك بالعمل على اقامة حصن فى كنج ، غير أن هذه الحصون كانت تتطلب حماية بحرية ، ولذلك اخفقت المحاولة ومالبثت وكالة كنج أن اندثرت بدورها سنة ١٧٢٢ م ٠

امتداد الدور العربى

اذا كان انجاز ناصر بن مرشد يتمثل فى تطهير عمان من فلول البرتغاليين ، فان خلفاءه انطلقوا الى ما وراء الحدود ووسعوا دائرة الصراع ضد البرتغاليين لتشمل الخليج والهند وشرق أفريقيا •

وما من ريب فى أن هذه المواجهة العربية لم يجابه البرتغاليون مثلها من أية قوة محلية فى منطقة المحيط الهندى •

ومع أنه كان يتوفر للفرس قوة بشرية أعظم وتقدم نسبى فى انتاج وسائل للتبادل التجارى فانهم لم يفعلوا شيئا بعد تحرير شواطئهم وبعض جزر الخليج •

ويرجع الفضل فى امتداد الدور العربى لهذه الميادين البعيدة الى تقدم العمانيين فى فن الملاحة ولو أنهم لم يطوروا أساليب بناء السفن فلم تتغير أنواع المراكب المشيدة محليا كثيرا عن الأنواع المعروفة فى العصر العباسى : بيد أن دولة اليعاربة حرصت على امتلاك قطع بحرية متطورة تقارب ما كان يمتلكه الأوربيون ، وقد آلت اليها بعض هذه القطع من غنائم الحرب • ومن بينها سفن برتغالية أسرت أثناء معركة هرمز ، مما يدل على مشاركة العمانيين فى هذه المعركة •

كذلك كان أئمة عمان يوصون على بناء السفن الكبيرة فى بعض الموانى الهندية التابعة لأمراء مسلمين ، ثم قبلت شركة الهند الشرقية بناء بعض هذه السفن فى سورات لصالح اليعاربة •

وحرص المسئولون العمانيون على اخفاء مصادر تزويدهم بالسفن حتى يتمكنوا من اقناع مختلف الأطراف بتقديم الخدمات لهم • وهكذا صار الاسطول العمانى يضم عدة مراكب كبيرة قيل ان بعضها حمل ثمانين مدفعا ،

ولابد ان يكون هذا الاستعداد الحربى قد كلف كثيرا من النفقات ويبدو أن دولة اليعاربة غطت هذه النفقات عن طريق الغارات التى نظمت على المواقع البرتغالية وفيها وكالات ومخازن تجارية تحتوى على غنائم عظيمة •

أضحت جزر الخليج هدفا من أهداف دولة اليعـــاربة فى تطلعاتهـــا الى ما وراء الحدود • وفى هـــذا المجال اصطدم اليعاربة بالدولة الصفوية التى تعاونت مع البرتغاليين ، والواقع أن هذه الجزر لم تكتسب فى ذلك الوقت سمـــة قومية محددة ، وتداخل العرب مع الفرس فى معظم الحالات ، وقد تكررت هجمات العمانيين على هرمز والبحرين ، ولم ينجحوا الا فى احتلال قشـــم •

وكان طبيعيا أن تتأثر التجارة الفارسية والبرتغالية على وجـــــه الخصوص من جراء تصـــاعد قوة الأسطول العمانى حتى قيل أن التجار البرتغاليين أخذوا يغادرون كنج على التوالى ، ثم اتفق الفرس مع البرتغاليين على دعـــوة الانجليز لمساعدتهم فتردد هؤلاء بين عدة عوامل ، فمن جهة كانوا يخشـــون من أن يطلب الفرس مساعدة الهولنديين فتتاح الفرصـــة لكى يتفوقوا عليهم فى المنافسة التجارية • ومن جهة أخرى لم تكن شركة الهند الشرقية راغبة فى الاصطدام مع اليعاربة ولذلك انتهى الأمر بتفضيل الانجليز الحيـــاد فى هـــذا الصراع •

لم يمنع هذا الحياد البرتغاليين من ترويج الشائعات بأن الانجليـــز يساعدون العمانيين سرا ، وربمـــا حملهم هـــذا الاعتقاد مما شاهدوه من تطـــور الأسطول العمانى بسرعة فائقة •

ومن الراجح أن يكون بعض الانجليز والهنود التابعين لشركة الهند الشرقية قد عملوا بحارة فوق المراكب العمانية خاصـــة فى حملات شرق أفريقية ولو صحت هذه الحقيقة فمن المؤكد أن عدد هؤلاء البحارة ظـــل محـــدودا •

ومما ينفى وجود اتصـــال وثيق بين اليعاربة والانجليز تلك النغمة المعادية التى غلبت على مراســلات وكيل شركة الهند الشرقية فى بنـــدر عباس ، فقد تحدث عن نمـــو الأسطول العمانى وكأنه خطر يهدد المصالح الانجليزية .

ومن جهة أخرى ظهرت روح التضامن بين الأوربيين فى مناسبات عديدة ، ورغم الاختلاف والتنافس فى الهند فقد حـــدث أن التجأ بحارة برتغاليون الى بومباى فرارا من غارة عمانية فمنحتهم السلطات البريطانية الحماية اللازمـــة .

ولم تخل العلاقات بين اليعاربة والانجليز من بعض الأزمات وخاصة فى أوائل القرن الثامن عشر حينما اتســـع نشاط الأسطول العمـــانى فى المحيط الهندى ، فقـــد سجلت حوادث استيلاء العمانيين على سفن انجليزية مثل السفينة « لندن » سنة ١٦٩٧ وسفينة بنغالية تابعـــة لشركة الهنـــد سنة ١٧٠٥ م ومن المحتمل أن يكـــون سبب هـــذه الحوادث هو عـــدم القدرة على التمييز بين الجنسيات الأوربية المختلفة ، ومن الجائز أيضـــا أن الحكومات فى ذلك الوقت لم تكن تملك السيطرة التامـــة على ربابنـــة السفن فكان هؤلاء يتصرفون من تلقاء أنفسهم عندما تلوح لهم الغنائم يسيرة المنال .

امتنع الانجليز اذن عن تقديم يد المعونة للفرس ضـــد العمانيين وكان الهولنديون منصرفين الى الشئون التجارية البحتة والامبراطورية البرتغالية تعانى من الشيخوخة ، ومن ثم فكر الصفويون فى حليف حديث العهد بالهند وأعنى بذلك فرنســـا .

ولا بد أن ملوك فارس سمعوا عن عظمتها فى عهـــد لويس الرابع عشر ، فأوفدوا سفارة الى باريس فى أوائل القرن الثامن عشرة وتوصـــل

الطرفان الى عقد معاهدة ، اشتملت فى أحد بنودها على التعاون من أجل احتلال مسقط •

ولا نعتقد أن فرنسا أخذت هذا التحالف مأخذ الجد ، فلم يكن لها مصلحة فى مثل هذه المغامرة البعيدة ، فضلا عن أن التجار الفرنسيين الذين يتعاملون مع الفرس كانوا يستخدمون الطريق البرى عبر ولاية بغداد فموانى الشام •

امتد الصراع ضد البرتغاليين الى شواطىء الهند حيث تتناثر جيوب برتغالية بدون عمق داخلى الا أن هذه الجيوب كانت مكدسة بالثروات المنهوبة أو التى اجتذبت اليها الأنظار باعتبارها مركزا تجاريا •

كان العمانيون يشنون الغارات المفاجئة على هذه الجيوب مدفوعين أحيانا بدافع الثأر وأحيانا تحت اغراء الحصول على الغنائم الوفيرة باسم الجهاد • ولم يفكر العمانيون فى احتلال هذه المواقع باستثناء حالة واحدة حينما تركوا حامية فى جزيرة سلست الواقعة الى شمال بومباى •

ومن أشهر الغارات التى عادت بغنائم وفيرة تلك التى وجهت الى ديو سنة ١٦٧٠ فقد استخدمت هذه الغنائم لبناء قلعة ضخمة فى نزوى استمر العمل فيها لمدة اثنى عشر عاما •

تخلل هذا الصراع معارك بحرية عديدة ، كان العمانيون يعتمدون فيها على خفة الحركة أما المعارك التى التقت فيها الأساطيل فى حرب مكشوفة فان النصر كان حليفا للبرتغاليين فى معظم الأحوال ، ذلك أن السفن الحربية الكبيرة كانت متوفرة فى يد البرتغاليين الذين كان لهم التفوق فى صناعتها ، ومن أشهر هذه الوقائع معركة رأس الحد قرب شواطىء عمان •

وقد بلغت البحرية العمانية ذروتها على عهد سيف بن سلطان اليعربى (١٦٩٢ — ١٧١١ م) وصـار بوسعـه أن يقسـم القطع البحرية الى أسطولين احدهما يعمل بين الخليج والهند ، والآخر خصص لتتبع البرتغاليين فى شرق أفريقيا ، ويختلف أسلوب العمل والأهداف بالنسبة لهذين الميدانين فالهدف فى الهند هـو الثأر من البرتغاليين والأسلوب هو الغارة المفاجئة والعودة بالأسلاب والغنائم ، أما الهدف فى شرق أفريقيا فهو مد يد المساعدة للمسلمين الذين اخضعوا للحكم البرتغالى وتوثيق الروابط بين هذه البلاد وعمـان وتحويلها الى نوع من التبعية حيثما أمكن لسلطة الامامة •

وكان المسلمون من عرب وسواحلية وافريقيين يئنون من أسلوب البرتغاليين فى حكمهم وقسوتهم ووحشيتهم فى معاملة السكان بالإضافة الى ما عرف عنهم من تعصب دينى بغيض ، ولذلك ما أن سمع السكان بسقوط هرمز حتى تطلعوا الى الدولة الفارسية التى لم تستطع أن تفعل لهم شيئا •

استطاع اذن البرتغاليون رغم عوامل ضعف الامبراطورية أن يدعموا سلطتهم فى شرق أفريقيا خلال هذه الحقبة فأعادوا بناء حصن يسوع فى ممبسة سنة ١٦٣٩ وحرموا على الأمراء المسلمين تلقى مهاجرين جددا من شبه الجزيرة العربيـة بل ان البرتغاليين عمدوا الى الادارة المباشرة فى بعض المناطق على نفس الأسلوب الذى كان متبعا فى موزمبيق •

ولا شـك أن تطهير عمان من الوجود البرتغالى أتاح فرصـة لليعاربة لكى يستجيبوا لنداء مسلمى شرق أفريقيا ، ورغم الامدادات المتواليـة التى كانت ترسلها لشـبونة فقـد حاول سلطان بن سيف الاسـتيلاء على ممبسـة سنة ١٦٦٠ ونزلت قواته بالمدينة وحاصرت قلعتها نحـو سنة الا أنه اضطر الى العـودة بعد ذلك الى عمـان بسبب قلاقل داخلية •

ويلاحظ أن خصـومة البرتغاليين انصبت بصفة خاصـة على الأمراء

الذين ينتمون الى أصـول عمانية ، ففى سنة ١٦٧٨ حمـل حاكم بانا الى جـوا حيث أخـذ عليه تعهد بعدم السماح للعمانيين بدخول الامارة .

وكان البرتغاليون مسـتعدين لترك الحـكام المحليين من سواحيلية وافريقيين يمارسـون سلطاتهم بشرط أن يقطعوا صلاتهم بحكومة مسقط .

ولعل أعظم انجاز حققه العمانيون فى شرق أفريقيا هـو حصـار قلعة يسـوع والاستيلاء عليها سنة ١٦٩٨ على عهد سيف بن سلطان ، وعلـى خـلاف المعتاد تميز هـذا الحصار بطول النفس على الرغم من النجدات المتوالية التى انهالت من جـوا فقد صمد العمانيون مـدة ٣٣ شهرا مـن مارس ١٦٩٦ م حتى ديسمبر ١٦٩٨ حينما فنى المدافعون عن القلعة بالطاعون نتيجـة إحكام الحصار .

وبالاستيلاء على ممبسـة تمكن اليعاربة من المحافظة على السمـة الاسلامية للقسم الشمالى من ساحل أفريقيا الشرقى .

استغل البرتغاليون الانشقاقات الداخلية التى أصابت الدولة اليعربية لكى يحاولوا استرداد مواقعهم فى شرق أفريقيا فاستطاعوا احتلال ممبسة لمـدة سنتين غير أن تأثير العمانيين لم يتوقف على الأسرة الحاكمـة فقد كان يحسب حسابهم فى شتى المناسبات .

ففى سنة ١٦٢٨ على سبيل المثال طلب البرتغاليون من حليفهم حسب ابن فاطمة حاكم زنجبار التدخل لقمع ثورة فى جزيرة بمبا المجـاورة فامتنع عن تلبية هذا الطلب خوفا من ثأر العمانيين .

واذا لم تكن الدولة اليعربية قد ثبتت سيطرتها المباشرة على شرق أفريقيا ، فانها على الأقل جددت صلات القرابة وتداخل العنصر العربى مع

العناصر المحلية ، وبذرت نواة أسر حاكمـــة عربية اشتهرت فى تاريخ شرق أفريقيا مثـــل أسرة المزروعى ومهدت السبيل فيمـــا بعد لأسرة البوسعيد لكى تخضـــع شرق أفريقيا لسيـــادتها فى ظـــل الراية العمانية كما أن تدخل اليعاربة فى شرق أفريقيا انقذها من احتمال محـــو شخصيتها العربيـــة الاســـلامية بواسطة الحكم البرتغالى الـــذى فرض لغته وثقافته علـــى الجزء الجنوبى من هذا الســـاحل وأعنى به موزمبيق ٠

مصادر يمكن الرجوع اليها

١ ــ جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ــ ترجمة يعقوب بكر القاهرة ١٩٥٨ •

٢ ــ حميد بن محمد بن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين القاهرة ١٩٧٧ •

٣ ــ سعيد بن على المغيرى : جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار القاهرة ١٩٧٩ •

٤ ــ صلاح العقاد : (١) التيارات السياسية فى الخليج ــ القاهرة ١٩٧٤ •
(٢) زنجبار ــ القاهرة ١٩٦٠ •

٥ ــ عائشة السيار : دولة اليعاربة (عمان وشرق افريقيا) (١٦٢٤ ــ ١٧٤١) بيروت ١٩٧٥ •

٦ ــ عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ــ بغداد ١٩٦٦ م •

٧ ــ محمود على الداود : (١) تاريخ العلاقات البرتغالية فى الخليج العربى (١٥٠٧ ــ ١٦٥٠) بغداد ١٩٦٠
(٢) تاريخ العلاقات الهولندية فى الخليج (١٦٣٠ ــ ١٧٦٠) بغداد ١٩٦١ •

٨ ــ نور الدين السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان ــ القاهرة بدون تاريخ •

سادساً :

الصناعات المحلية في عمان



اشتهرت عمان بمجموعة من الصناعات تعد مفخرة للانسان العمانى الذى سكب فيها دقته ومهارته ، وأثبت بها أنه موهوب وأنه حريص على سمعة بلاده ، اذ أدرك أن هذه الصناعات عنوان الذكاء والمهارة •

ومن أهم الصناعات التى عرفتها عمان صناعة السفن ، ولعمان فيها شهرة عالمية ارتبطت بالطرق البحرية التى أشرفت عليها عمان ردها مـــن الزمـــان •

وهناك كذلك صناعة المنسوجات ، وقد انتجت هذه الصناعة تحفا رفيعة القدر من الصـــوف والقطن وغيرهما •

ولعمان كذلك شهرة عظيمة فى الصناعات المعدنيـــة ســـواء فى ذلك الصناعات الفضية أو النحاسية أو الحديدية ، وقد حقق العمانيون فى ذلك أروع درجات الابداع •

ومثل هذا يقال عن صناعة الجلود والسعف والحصر والفخار والهك ، وفى كل منها حقق الانسان العربى حذقـــا ودقة ومهارة تظهر فى اللمسات الأخيرة وفى الزخرفة بالاضافة الى القوة والمتانة •

وفى الصفحات التالية سنذكر بعض التفاصيل عن أهم هذه الصناعات :

السـفن

عرفت عمان صناعة السفن منذ أقدم الأزمنة ، فالروايات القديمة تحدثنا عن أول اتصال بين الجزء الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين فى عهد السومريين القدماء فقد أطلق على عمان فى ذلك الوقت اسم مجان التى تعنى أرض السفن أو ميناء السفن •

وقد أحضر « جوديه » أمير لجش الخشب من عمان لصناعة السفن ، والى جانب شهرة أهل عمان فى صناعة السفن فقد نشطوا كملاحين مهرة حيث وصلوا الى سواحل الخليج والمحيط الهندى وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا واستوطنت جاليات منهم هذه المناطق منذ العهود الاسلامية الأولى ، فقد سجلت لنا المدونات التاريخية عن أول رحلة بحرية عمانية للصين قام بها أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذى وصل الى مدينة كانتون التى يسميها العرب الأوائل « خانقو » كما وصل أهل عمان الى قنبلو « مدغشقر » وسفالة « موزمبيق » وسرنديب « سيلان » وغيرها من المدن التجارية القديمة •

ولاريب بأن شهرة عمان فى صناعة السفن والملاحة ظلت بعد ذلك بفترة طويلة كسابق عهدها وازدهارها ، فقد ذكر الملاح العمانى المشهور أحمد بن ماجد الذى عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى بأن بناء السفن يرجع إلى عهد نوح وقال أيضا ان سيدنا نوح قد بنى سفينته على شكل النجوم الخمسة التى تؤلف برج الدب الكبير •

ومما لا شك فيه أن لفظة سفينة أو الفلك بصورة خاصة تعبر عن سفينة نوح الوارد ذكرها فى قصة الطوفان •

هذا وقد اشتهرت بعض المدن العمانية الساحلية بصناعة السفن مثل صحار وصــور ومطرح ، ولكن صناعة السفن التى كانت مزدهرة فى هذه المدن فى السابق قد انقرضت أو كادت تختفى تماما فى الوقت الحاضر ، وبعد أن كانت هناك صناعة السفن الكبيرة الحجم حلت محلها صناعة السفن الصــغيرة مثل قوارب الصيد التقليدية القــديمة (الشــاشة) أو سفينة « الشويعى » أو «الشوعى» أما الغنجة والبوم والسنبوك والبدن والجالبوت والبتيل والشاجوف فهى لا تصنع فى الوقت الحاضر فى هذه المدن الثلاث .

ومما لاشك فيه بأن العمانيين كانوا فى سابق الأزمنة يتبعون فى صنع سفنهم التقاليد السائدة فى صناعتها فى المحيط الهندى . اذ كانت السفن فى ذلك الوقت تخرز بالألياف وتشد ولا تسمر بالمسامير الحديدية . أمــا الأخشاب المستخدمة فى الصناعة فهى الســاج والفينى والعينى والفنس الذى كان يجلب من الهند لصناعة هذه السفن ، وكان بعض العمانيين فى الماضى يذهبون فى بعض الأحيان إلى الهند ليصنعوا سفنهم فيها نظرا لتوفر هذه الأخشاب هناك أمــا بعض السفن فتصنع فى عمان نفسها وفى كلتا الحالتين كان أهــل عمان هم الذين يصنعون هذه السفن . وتذكر المصادر التاريخية أن فى عمان من يقصــد الجزر التى تنتج جوز الهند ومعهم آلات النجارة وغيرها فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوا فاذا جف الخشب يستعملون منه مركبا وينحتون منه ادقالا وينسجون من خوصه شراعا ومن لبفه خرابات وهى القلوس فاذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل فقصــد بها عمان للبيع .

أمــا خشب الساج الذى تصنع منــه السفينة التقليدية فهــو يتميز بصلابته ومتانته ومقاومته للعوامل والتأثيرات الجوية والبحرية القاسية ، ولكن يؤخذ على هذه السفينة عيوب أخرى مثل سرعة التداعى والغرق فى المياه عندما تبدأ فى الهبوط .

وفى وقتنا الحاضر تصنـــع السفن من الألواح الخشبية التى تثبت بمسامير حديدية بدلا من الحبال ، فالصانع العمانى يبدأ أولا بوضع الهيراب والميلين الخلفى والأمامى والشريرات الثلاث والاضلاع حتى نهاية بنـــاء السفينة بتثبيت الدقل والحبال والأشرعة .

ولايزال الأهالى يستخدمون نفس الأدوات القديمة لصناعة السفن مثل القدوم والمنقر والمقدح والقوس .

وفى الحقيقة أن لبناء السفينة الجديدة طقوس تتبع فمع بداية العمل تذبح ضحية « ماعز » وعند الاقتراب من نهاية البناء تقام احتفالات الرقص الشعبى لأبناء الحرفة الواحدة ويشترك فيه الرجال والنساء وتقوم النسوة بعمل بقلادة حبال قطنية تسلم للرجال لتثبيتها بين المسامير منعا لتسرب المياه داخل السفينة .

ومما لاشك فيه أن أغلب السفن العمانية الكبيرة تحمل ثلاثة أشرعـــة باستثناء الشاله والهورى والشاشة اذ تعتبر هذه السفن الصغيرة لصيد الأسماك التى تسير بمجاديف .

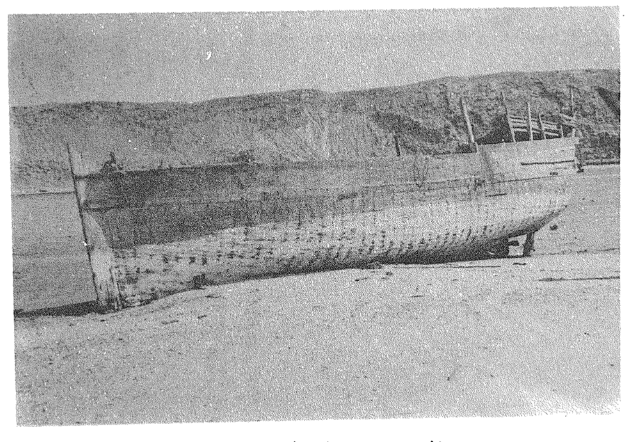
أمـــا أنواع السفن العمانية فهى تعرف من أشكالها وخاصة مقدمتها فمقدمة الغنجة شبيهة برأس طير النورس البحرى ، وسفينة البوم مقدمتها أطول من مقدمة السنبوك .

وقد لاحظنا فى مدينة « صور » وجود بعض السفن العمانية القديمة التى كانت تستعمل فى الماضى وعلى هذه السفن نقوش وزخارف فنية بديعة الصنع وخاصـــة تلك المحفورة على الخشب كالزهور بالاضافـــة الى آيات قرآنية كريمـــة .

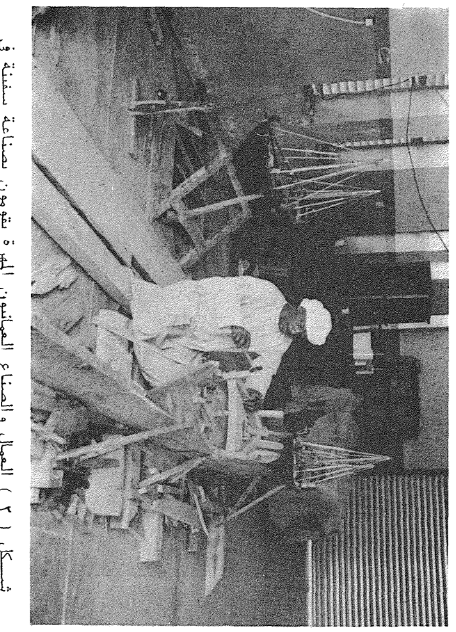
وتخليدا لذكرى شهرة أهل عمان فى الملاحـــة وبناء السفن منذ أقدم الأزمنة فقد وافق صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله وأبقاه على مشروع السفينة العمانية « السندباد » على نفقة جلالته الخاصـــة حيث تم بناء السفينة فى مدينة « صور » على الطريقة التقليدية القديمـــة فى بناء السفن أى بتثبيت الخشب بواسطة حبال جـــوز الهند ، وقامت برحلتها الى كانتون على نمط الرحلات السابقة .

وفيما يلى بعض نماذج من السفن العمانية :

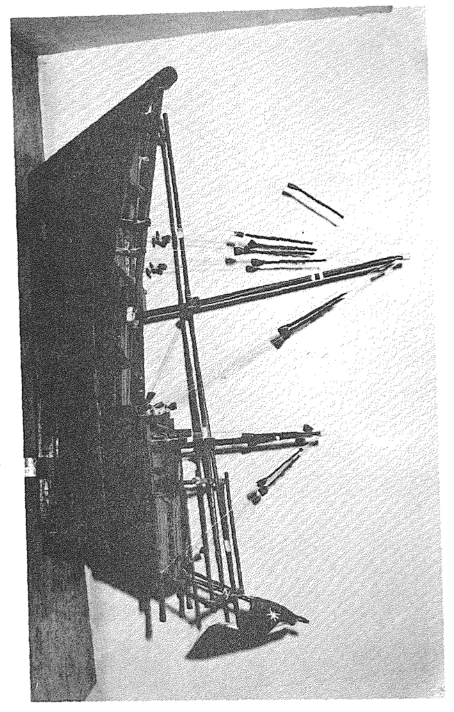




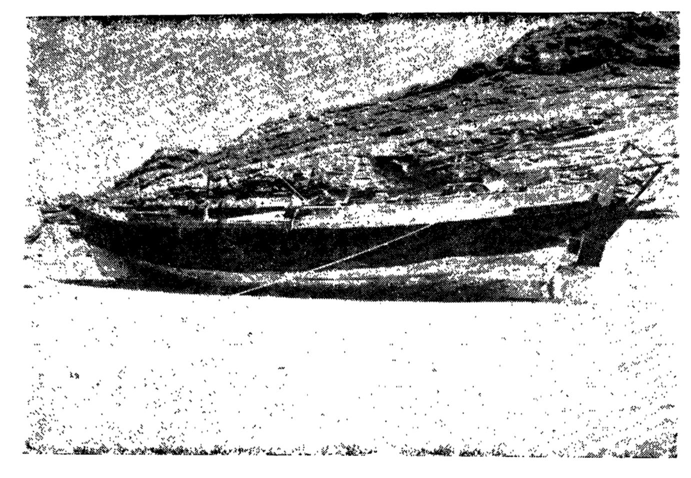
شكل (١) نموذج لمركب عمانى قديم



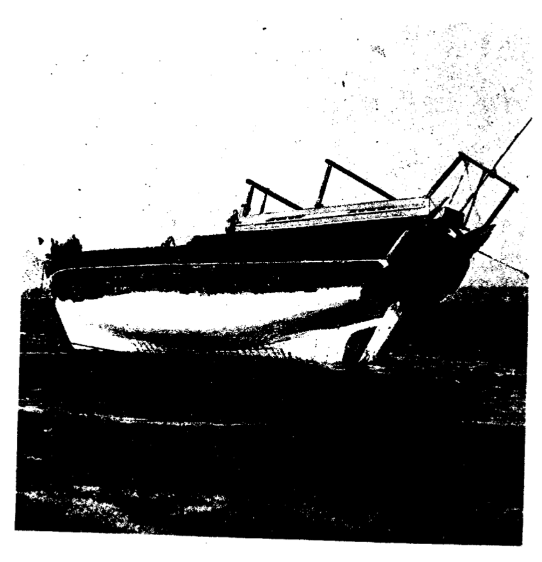
شكل (٢) العمال والصناع العمانيون المهرة يقومون بصناعة سفينة فى دقة وبراعة



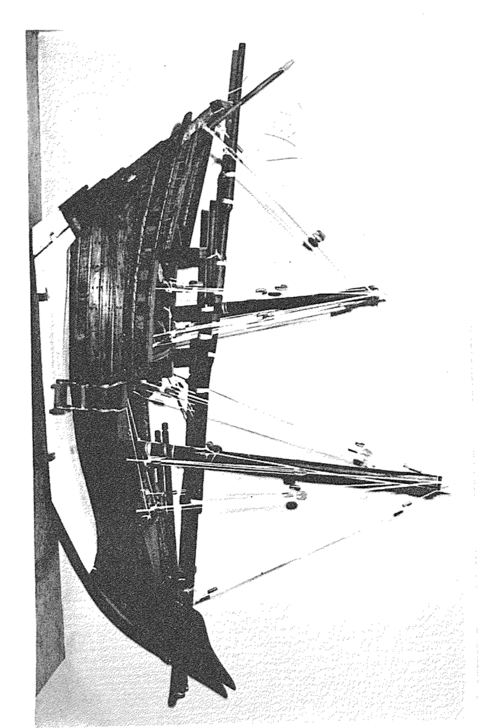
شكل (٣) نمـوذج مركب الجـالبوط



شـكل (٤) نموذج لمركب عمانى يظهر فيه الدقة والمهارة فى الصنع وجمـال التناسق



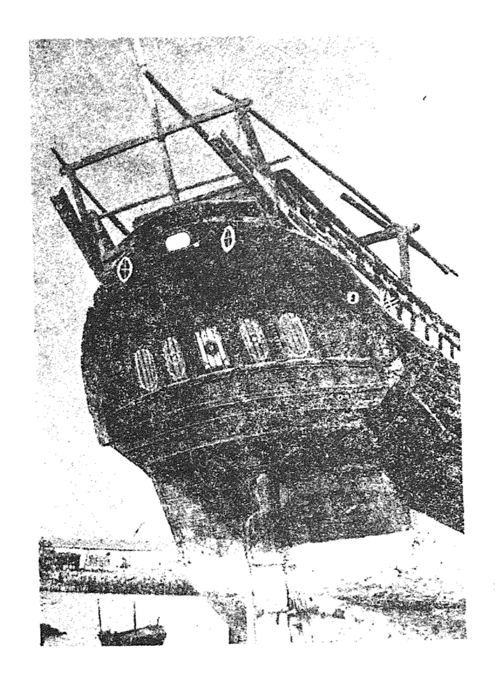
شـــكل (٥) نموذج جميل لمركب عمانى يظهر فيه الدقة والتناسق والمهارة فى صناعة السفن العمانية



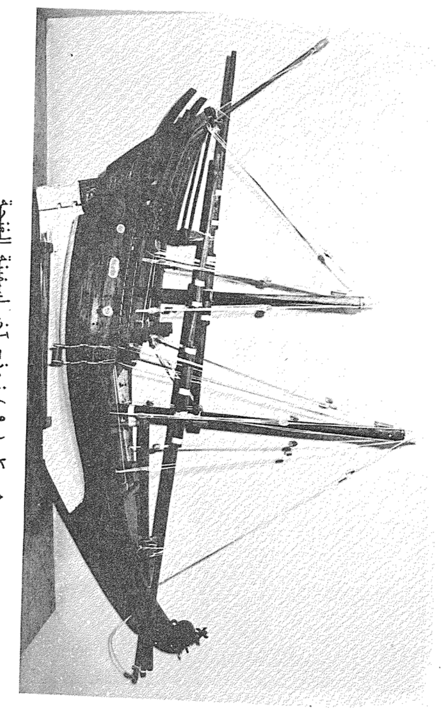
شكل (٦) نموذج مركب السنبوك (مركب اللؤلؤ)



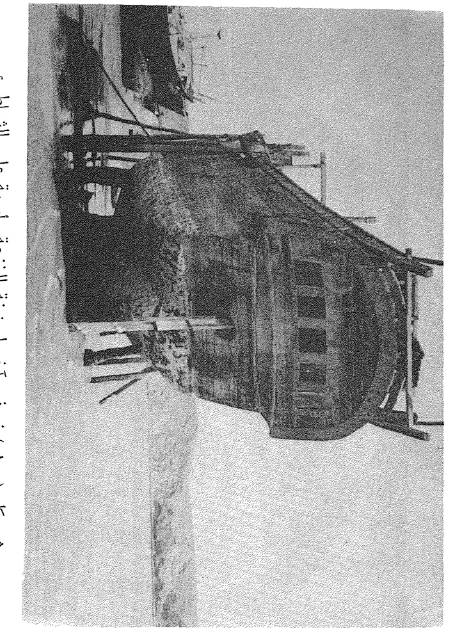
شكل (٧) نموذج مصغر لمركب السنبوك



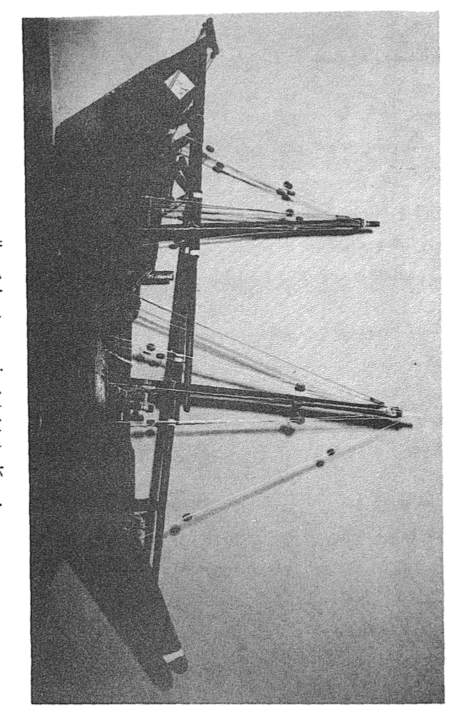
شـــكل (٨) سفينة الغنجة فى مينـــاء مطرح



شكل (٩) نموذج آخر للسفينة الفنجة



شكل (١٠) نموذج آخر لسفينة الفنجة راسية على الشاطىء



شكل (١١) نموذج مصغر لمركب البوم

صناعة الغـــزل والنسيج

صناعة الصوف من شعر المـــاعز :

يعتبر الماعز فى عمان مصـــدرا هاما من مصادر غذاء البدوى ، والى جانب ذلك يعتبر صوفه من أجود الأصواف اذ يحركه الصانع العمانى مع صوف الأغنام لاشـــباع احتياجاته المعيشية فيصنع منـــه الخيام « سكن البدوى » والمفارش لفرشها حيث يقيم • كما تستخدم كفرش للدواب مثل السيح والخروج والبده والمحاوى الى جانب الأربطة كالمحاقب والخطم والغرض والقلايد • فى حين يستخدمها البدوى كاللباس مثل المنسول •

أمـــا الشويميات « الوطايا » فيستخدمها سكان الجبل الأخضر وهى مصنوعة من شعر المـــاعز وتلبس أسفل الجزء الأمامى من القدم •

ومما لاشك فيه بأن عملية صناعة الصوف فى عمان تمر بعدة مراحل اذ تبدأ بجز الصـــوف وغسله ونفشه وتلوينه ثم صناعته على النول اليدوى

فمع بداية شهر أبريل يتم جز الصوف واعداده للصناعة وتتم عملية الصناعة فى بيوت من سعف النخيل ، ولايزال الأهالى يستخدمون نفس الأنوال اليدوية التقليدية القديمة التى كان يستخدمها الآباء والأجداد ، وبخاصـــة فى بلدة سيح القمحـــه بوادى السرين ، وبلدة دن بالمنطقة الداخلية من البلاد •

ففى سيح القحمة نرى المرأة العمانية تقوم بهذه الصناعة التى تعتبر جزءا مكملا لحياة الرعى • فبعد جز الصـــوف يتم غسله ، وغزله فى خيوط رفيعة بواسطة مغزل يدوى ثم تســـدى الخيوط المغزولة طوليا حسب طلب الصنعة المراد انجازها • والنول اليدوى هنا عبارة عن قسمين خشبيين على

شكل العصى الأولى لصناعة الحرفة حولها • والأخرى لتجميع الخيــوط المغزولة وتصنع هنا بعض الصناعات الصوفية الخفيفة مثل الخطم ، والمرة ، الغرض وصدار الجمال والربق بالاضافة الى المكاحل وتقوم الصانعة عند الانتهاء من الصناعة بتزيين أطراف هذه الصناعات بألوان زاهية وعلــى الخصوص باللون الأحمــر •

أما النول التقليدى اليدوى لصناعة المفارش والسيح والخروج والبده والمحاوى فيعتبر أكثر تعقيدا من النول المذكور أعلاه وأقل تعقيدا مــن الكارجه التى تصنع الوزره •

وتتم الصناعة هنا بتسدية الخيوط المغزولة على النول بعد تلوينها بشجر المهتدى الموجود فى البلاد الذى يعطى اللون الأصفر ، وشجر الفوا الذى يعطى اللون الأحمــر وغيرها من الألوان الطبيعية الأخرى للشعر مثل اللونين الأبيض والأســود • وذلك بتمديدها بين مسداتين حيث تمر بالحافة والنير والحف •ويقوم الصناع بعد التسدية بالصناعــة التى تتم بجلب الخيوط المغزولة بواسطة الحف الذى يقوم بمصرها — أى رصها بعضها مع البعض وذلك بعد رفع خيوط الصوف بالتناوب وتمريرها مــن الجهة اليمنى الى اليسرى فوق وتحت حتى الانتهاء من العمل •

والملاحظ لهذه الصناعات مثل المفارش نجــد أن الصانع العمــانى عرف صناعة الزخارف الفنيــة بألوانها الزاهية بأشــكال مختلفة ، فهناك المستطيلات والمربعات والمثلثات المتقابلة كما أدخل حديثا صناعة شــعار السلطنة الذى يرمز الى قوة عمان وعزتها •

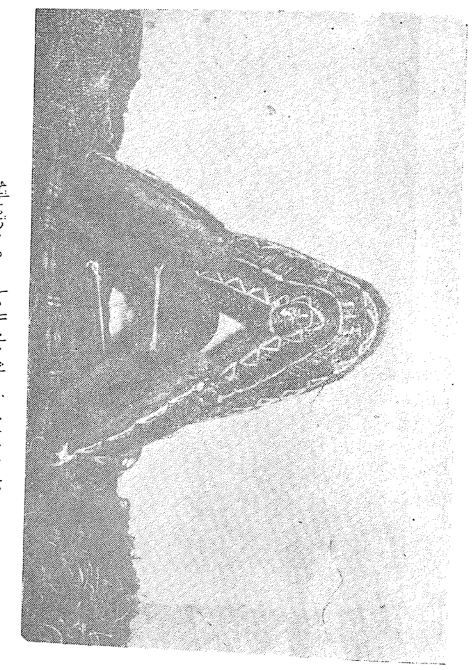
بالاضافة الى أشكال أخرى تمثل واقع البيئة العمانية مثل المشــط والمقص وهى تمثل الاحتياجات الهامة للمرأة البدوية •

ولا ريب بأن هذه الصناعات الحرفية بدأ الاهتمام بها أخيرا اذ توجد

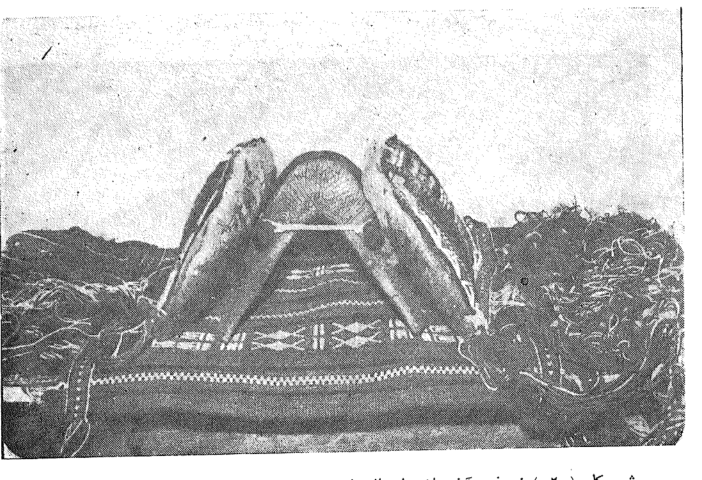
هناك جهود من قبل حكومة السلطنة لاحياء هذه الصناعات الى سـابق عهدها باعتبارها أحـد مصـادر الرزق لقطاع من المواطنين العمانيين • وقد اتخذ هذا الدعم أشكالا مختلفة ، فبعد انشـاء وزارة التراث القومى والثقافة بدىء باقامة المعارض لبيع الصناعات الحرفية وذلك بشراء هـذه الصناعات من الحرفيين العمانيين وبيعها فى معارضها حيث توجد فى الوقت الحاضر ثلاث معارض أنشئت لهـذا الغرض فى كل من بيت السيد نادر وفندق انتركونتننتال وفندق الفلج •

وهناك دراسة تجرى لاقامة مجمعات للصناعات الحرفية فى العديد من قرى السلطنة وتأمل الوزارة البدء بمجمع لهذه الصناعات فى فنجا فى المستقبل القريب بهدف احياء هذه الصناعات فى أماكنها الأصلية وتثبيت المواطنين العمانيين فى قراهم وايجاد مصدر من مصادر الرزق لهم •

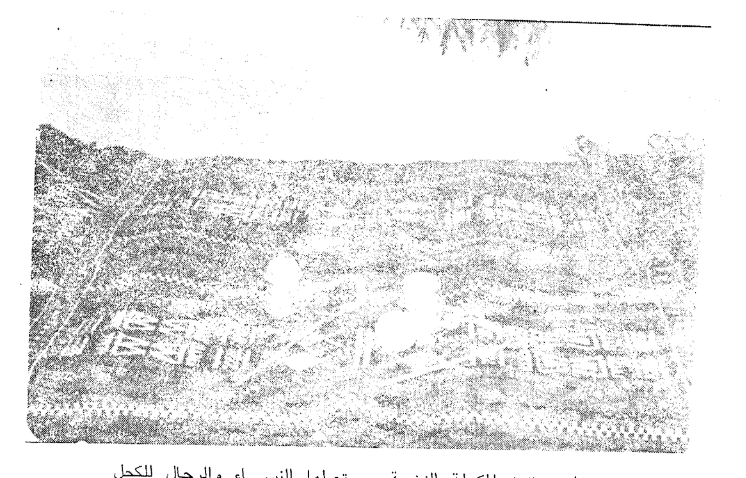
وفيما يلى صور لبعض المنسوجات العمانية :



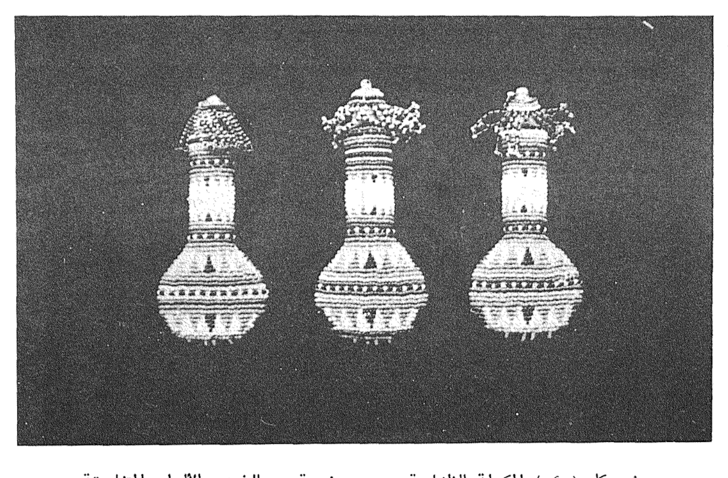
شكل (١) نموذج لشداد الجمل مع محتوياته



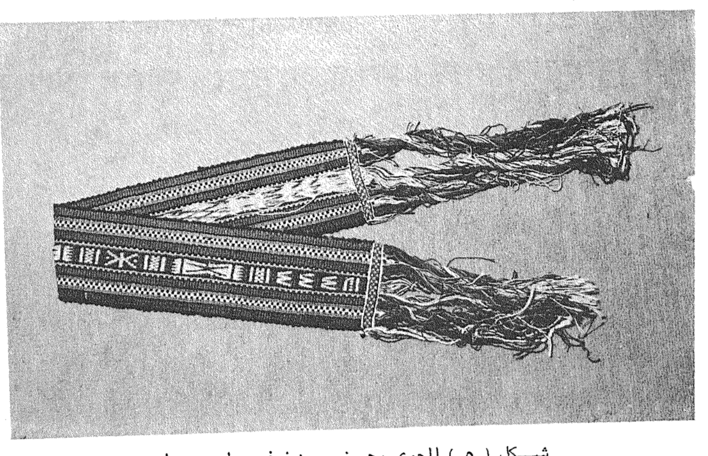
شـــكل (٢) نموذج آخر لشداد الجمل وهو مجموعة كاملة (شداد ومهداد ومحوى ويمتاز بصناعته البدو وأهل عبرى)



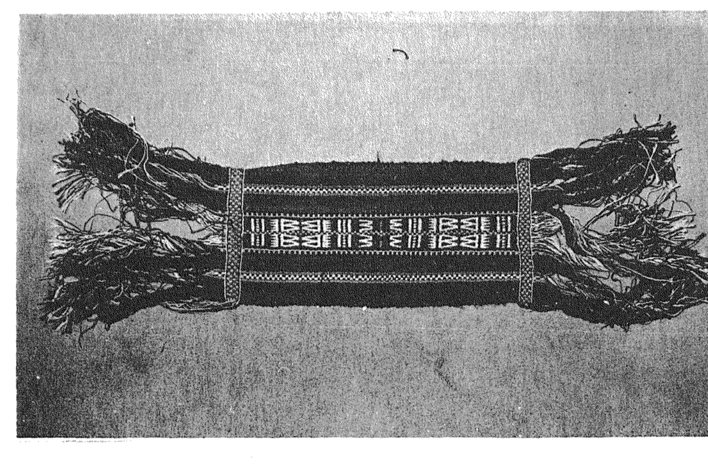
شكل (٣) المكحلة الفضية ويستعملها النساء والرجال للكحل
وهى موضوعة على قطعة جميلة من النسيج الملون بأشكال هندسية بديعة



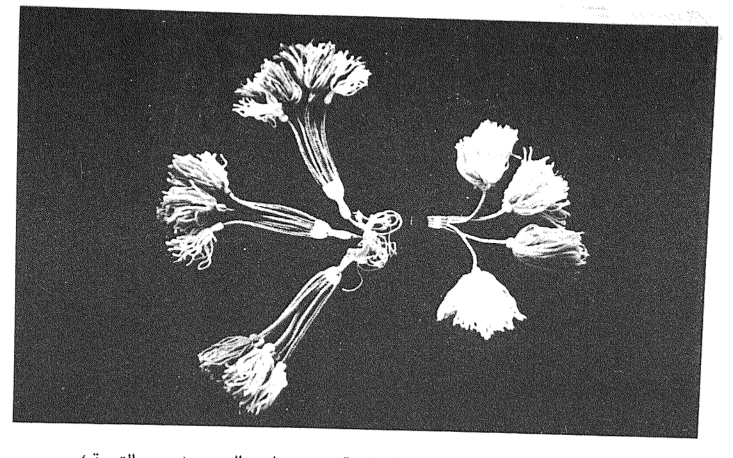
شـــكل (٤) المكحلة الظفارية وهى مصنوعة من الخرز والألوان المتناسقة وموضوعة على قطعة نسيج ملونة ومزينة بأشكال هندسية جميلة متناسقة



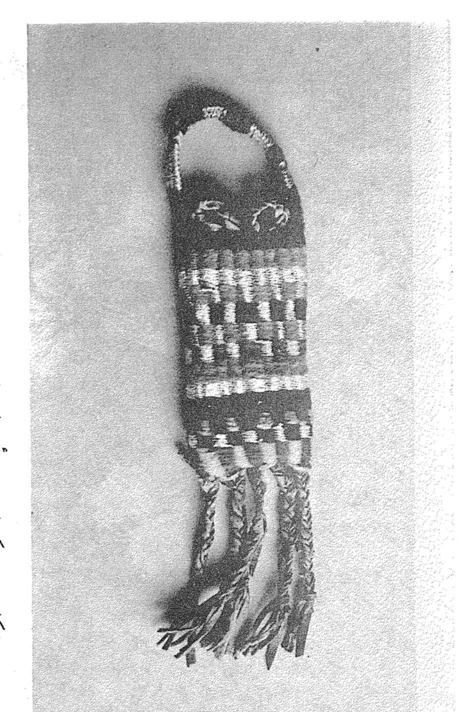
شكل (٥) المحوى وهو نسيج زخرفى جميل يستعمل
فوق ظهر الابل



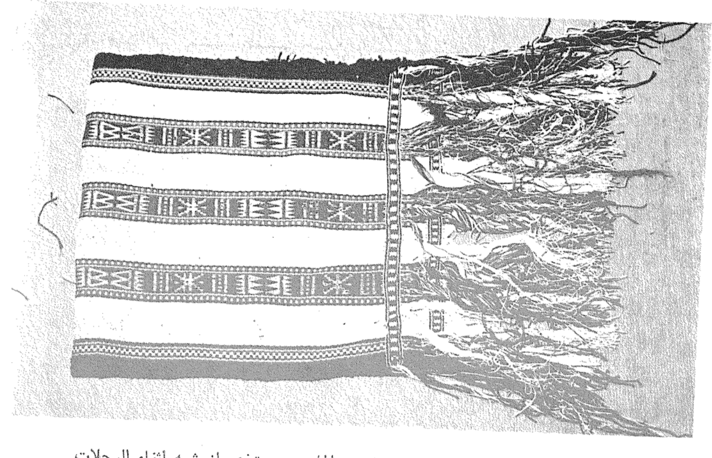
شـــكل (٦) البداد وهو نسيج مشابه للمحوى ولكنه أقصر طولا وأكثر عرضا من المحوى ويستعمل لشداد الابل



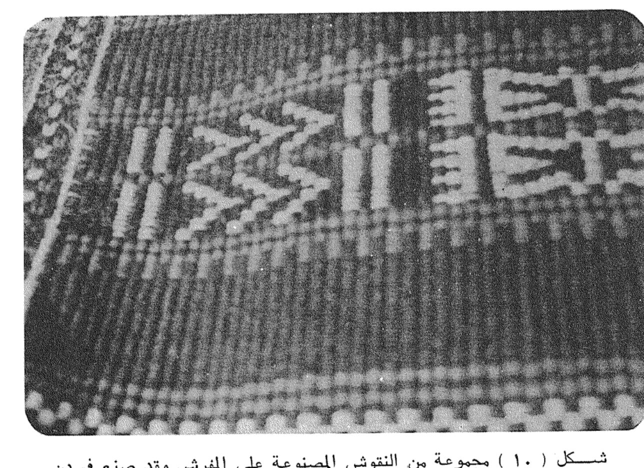
شـــكل (٧) مكاحل مزينة بأشرطة جلدية تصنع بوادى السرين (سيح القحمة)



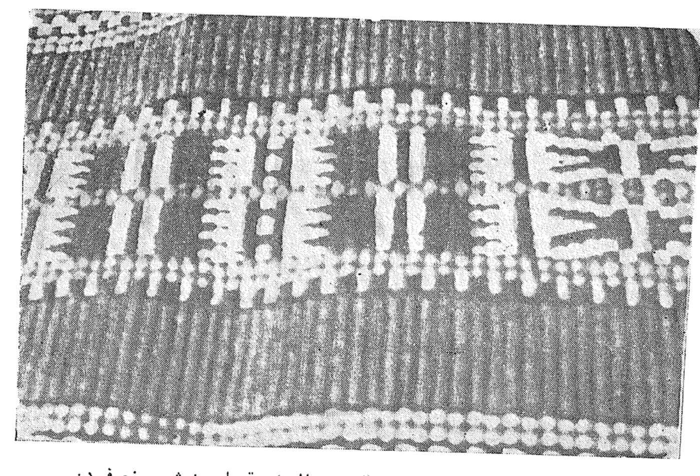
شكل (٨) مكحلة مزينة بأشرطة قطنية تصنع بوادى السرين وسيح القمحة



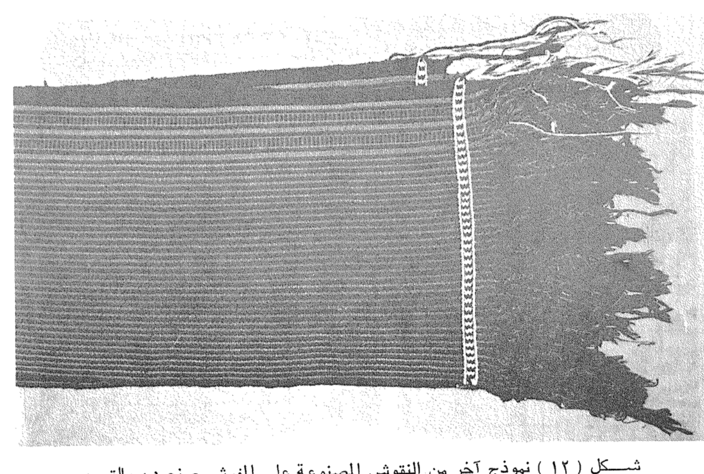
شكل (٩) مفرش مصنوع من شعر الماعز ويستخدم لفرشه أثناء الرحلات وخاصة لعلية القوم وقد قيل عن مهارة الصانع العمانى بأن العمانيين قد زاوجوا بين اليد والعين



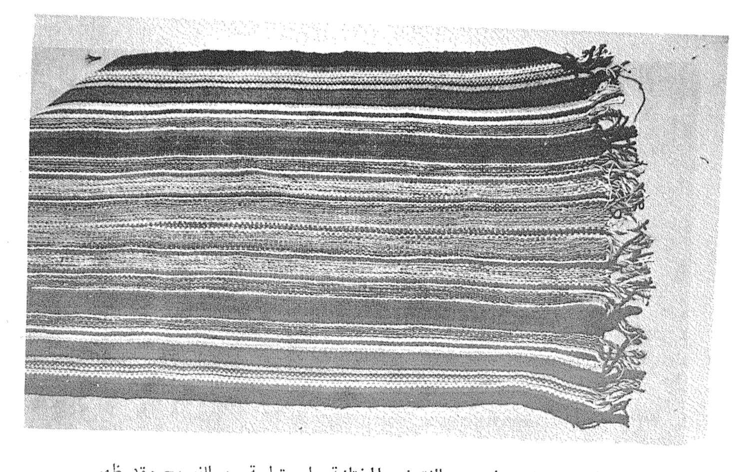
شكل (١٠) مجموعة من النقوش المصنوعة على المفرش وقد صنع فى دن بالقرب من جبل الكور ويلاحظ وجود أشكال هندسية مختلفة على الجوانب تسمى معاريض



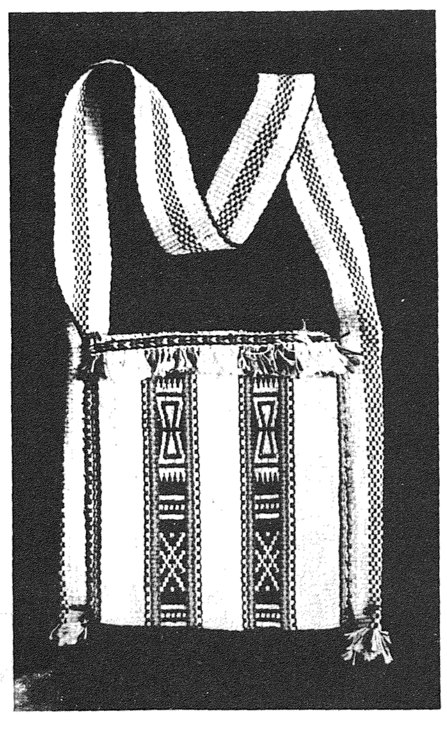
شـكل (١١) مجموعة أخرى من النقوش المصنوعة على مفرش صنع فى دن بالقرب من جبل الكور ويلاحظ وجـود أشكال هندسية مختلفة وقد ظهر فيها خطوط عرضية تسـمى محاريب



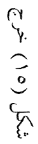
شـــكل (١٢) نموذج آخر من النقوش المصنوعة على المفرش صنع دن بالقرب من جبل الكور ويلاحظ وجـــود أشكال هندسية مختلفة وقد ظهر فيها خطوط عرضية تســـمى معاريض



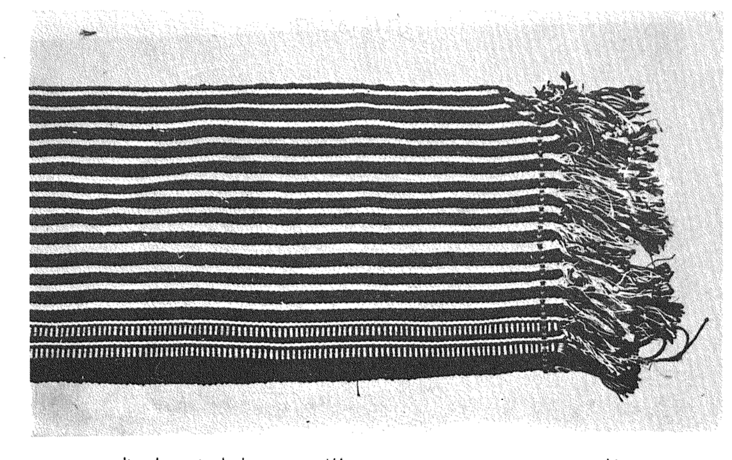
شكل (١٣) نموذج من النقوش المختلفة على قطعة من النسيج وقد ظهر في الصورة رسم شعار السلطنة (الخنجر والسيفان المتقاطعان)



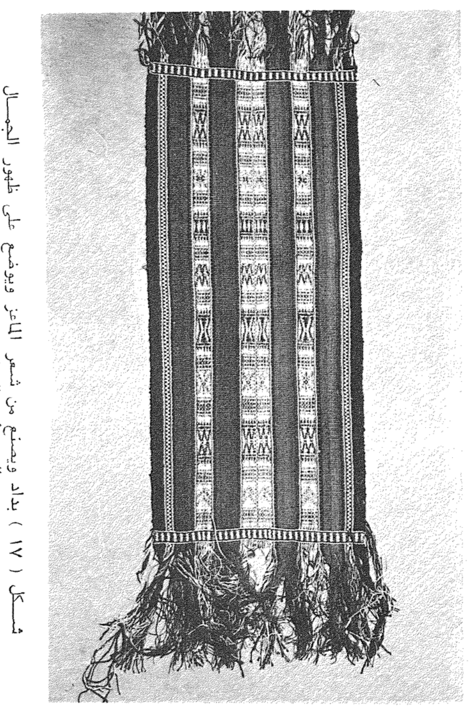
شكل (١٤) حقيبة يد نسائية



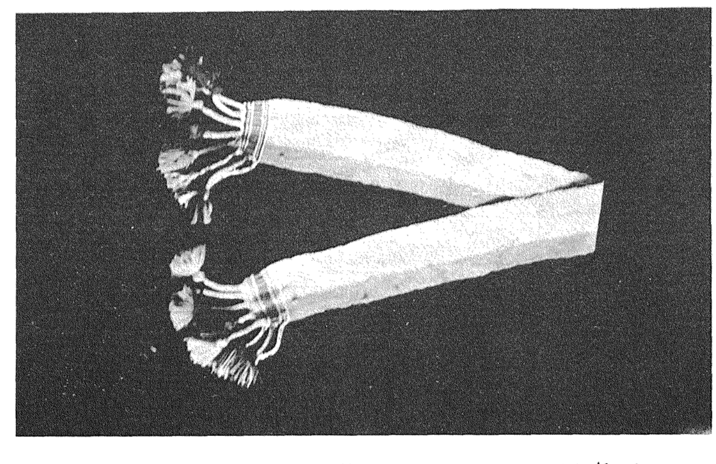
شكل (١٥) خرج



شـــكل (١٦) نسيج مصنوع من صوف الماعز ويستعمل لفرشه على ظهور الجمال والحمير فى أثناء الرحلات أو التنقل من مكان لآخر



شكل (١٧) بداد ويصنع من شعر الماعز ويوضع على ظهور الجمال
والحمير أثناء التنقل والرحلات للزينة



شـــكل (١٨) محوى ويصنع من شعر الماعز ويوضع على شداد الجمل حيث تتدلى أطرافه من الجانبين ويستخدم المحوى للزينة

زراعة القطن وغزله ونسجه

ومما لاشك فيه بأن الانسان العمانى عرف منذ أقدم الأزمنة زراعة القطن ، حيث كان يوجد اكتفاء ذاتى فى البلاد ، أما فى الوقت الحاضر فأصبح من المحاصيل النادرة زراعته وتشير الكثير من كتب الرحالة والمؤرخين الى ذكر القطن بأنه من المحاصيل التى كانت موجودة فى عمان •

والقطن كما هو معروف من أصل نباتى وقد تعلم العمانى منذ القدم زراعته بعد استقراره فى المدن فكان أكثر المحصولات جودة وحتى عهد قريب كان يوجد منه نوع نادر يسمى الخظرج الذى اشتهرت به داخلية عمان وعلى وجه الخصوص الجيله ومنح وسمائل وغيرها من القرى •

وقد نجح العمانى فى جعل القطن خيوطا استعملها فى نسج ملابسه وذلك بعد أن تمر بعدة مراحل منذ اقتطاف الثمرة وحتى غزل الخيط •

وقبل النسيج يندى الغزل المجلوب من السوق بالماء ويدق بملكد ثم يخمر لمدة يوم واحد ويخلط بالطحين فى اناء فخارى أو لوح من الصخر ، وللحصول على خيوط رفيعة صالحة للنسيج تغزل هذه المواد الخاصة بواسطة مغزل خشبى يتكون من عدة قطع تسمى دالوب تلف عليه الخيوط المغزولة وتترك حتى تجف من الماء ، وفى بعض الأحيان تتم عملية صباغة خيوط الغزل قبل لفها على الدوار ، وتوجد هناك العديد من الدواليب الصغيرة التى يلف حولها الغزل والتى تقوم بدورها فى تحويل الخيوط المغزولة الى الدالوب الكبير •

وبعد اتمام عملية غزل المواد الخام تصبح جاهزة للنسيج وهنا يأتى دور النول اليدوى التقليدى المصنوع من خشب السدر والقرط ، ويباشر النساج عمله حيث يجلس فى حفرة خاصة وأمامه النول ووراء النول

تنتشر الخيوط المغزولة على مسافة عشرين قدما تقريبا والمعروف ان هــذه الحفرة تسمح للنساج أن يدخل رجليه حتى وسط جسمه ثم ينصب النول فوق هذه الحفرة بوضع يسهل على الحائك أن يصل خيوط النسيج المراد نسجها .

ويقوم الصانع بنسج الخيوط اسداء فى الطول والحاما « مصر » فى العرض حتى نهاية العمــل .

أمــا النول اليدوى المستخدم فى مناطق عديدة من البلاد فهو النوع الأفقى ، الذى عرف لدى الحضارات القديمــة الفرعونية ، والسومرية ، والآشورية ، والبابلية وغيرها من حضارات البلاد المجاورة .

ويتكون النول من ٢٣ جزء ، وتسمى الكارجة اذا كانت مفردا أما فى حالة وجــود العديد من الأنوال فى مكان واحــد فيطلق عليها مجتمعة عرصه ، وقــد شاهدنا احداها فى بلدة الأخضر بالمنطقة الشرقية القريبة من سمــد الشــان .

أما النــول العمودى فهو نادر وقد إدخلته حديثا وزارة التراث القومى والثقافة فى المصنع التابع لها فى سمائل .

وكما هو الحــال بالنسبة لصناعة حصر الرسل فان صناعة النسيج توجد فى بيوت خاصــة تعرف باسم الكارجة أو بيت النسيج وتقع ضمن قطاعات سكنية خاصــة .

ويذكر الأهالى أن صناعة النسيج كانت صناعة منزلية أكثر تطــورا يقوم بها الصانع لســد احتياجات الرجل والمرأة على حــد ســواء من الثيــاب .

ويعتبر الشريك « معلم الصنعة » أولى درجات الحرفة ثم المعاقب « المعاون » وأخيرا الشاغرد — الذى يندى خيوط الغزل بالمـــاء ويعمل على الدالوب والمعروف أنه لايوجد هناك رئيس أعلى للمصانع الذى يطلق عليه شيخ مشايخ الصنعة والذى يعاونه نقيب كما هو الحـــال فى بعض البلاد الاســـلامية .

وفى مجال التدريب يقضى المتدرب على صناعة النسيج فترة للتمرين من ٦ أشهر الى سنة كاملة تحت اشراف صانع ماهر حتى يصبح المتمرن فى عداد النساجين كما يشترط أن يتحلى النســـاج بالصبر وحدة البصر والمثابره فى العمـــل وهى صفات أساسية للنجاح فى هذا العمـــل وفى حالة الترقى من رتبة الى أخـــرى فان ذلك يتبعه مراسيم وطقوس خاصة كانت تقام فى احتفالات عامـــة يحضرها سائر أبناء الحرفة الواحدة .

صناعة النسيج (من القطن)

اشتهرت عمان بصناعة النسيج منذ ظهور الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، فكانت تصـــدره الى العديد من الجهات ، ومن الأقاليم التى كانت تصدر اليها المنسوجات العمانية هى : الحجاز فيروى ابن سعد ان النبى (ص) « كان له برده ••• وازار من نسيج عمان طوله أربع أزرع وشبر فى ذراعين وشبر ، فكان يلبسها فى الجمعة ويوم العيد ثم يطويان » ويروى أيضا أن الرسول (ص) أعطى فروة بن مســيك المرادى حله من نســيج عمــان •

وقد كانت صحار من أهم مراكز النسيج فى عمــان التى اشتهرت منسوجاتها وانتشرت وكانت تسمى الصحارية ، فيذكر الواقدى فى غزوة الحديبية عام ٦ هـ أن رسول الله (ص) خرج من المدينة يوم الاثنين ••• فاغتسل فى بيته ولبس ثوبين من نسج صحار •

ويذكر ابن هشــام ان النبى (ص) •• كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرده أدرج فيهــا ادراجا « وقد ترك النبى (ص) بعد وفاته ثيابا منها ثوبان صحاريان وقميص صحارى أمــا سعد بن معاذ فقد كفن بثلاثة أثواب صحارية •

ويتضح مما تقدم أن المنسوجات الصحارية كانت تنتج بكميات كبيرة تكفى للتصدير ، وأنها كانت تصدر الى الحجاز ومن المحتمل الى بــلاد أخــرى •

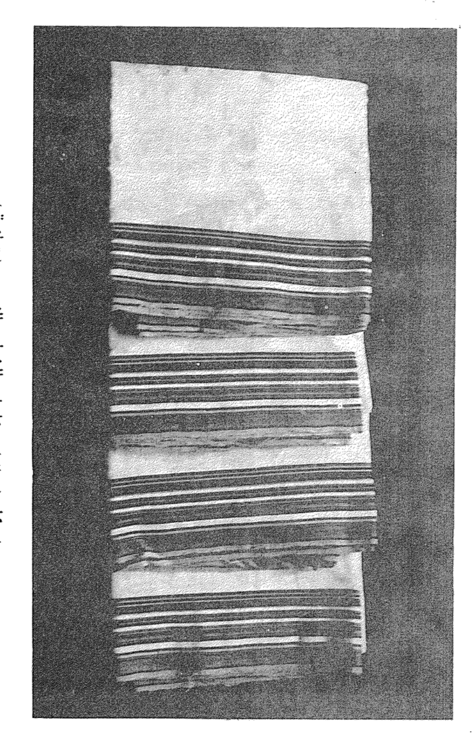
ومازالت صحار معروفة الى اليوم بحياكة الأقمشة الصوفية والقطنية وصناعة الوزرة والعمائم والعباءات •

ويذكر ياقوت الحموى مركزا للنسيج فى نزوى التى كانت تنتج نوعا من الثياب وصفها بأنها منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل فى شىء من بلاد العرب مثلها وميازر مـن ذلك الصنف يبالغ أثمانها وقـد رآها ياقـوت واستحسنها ٠

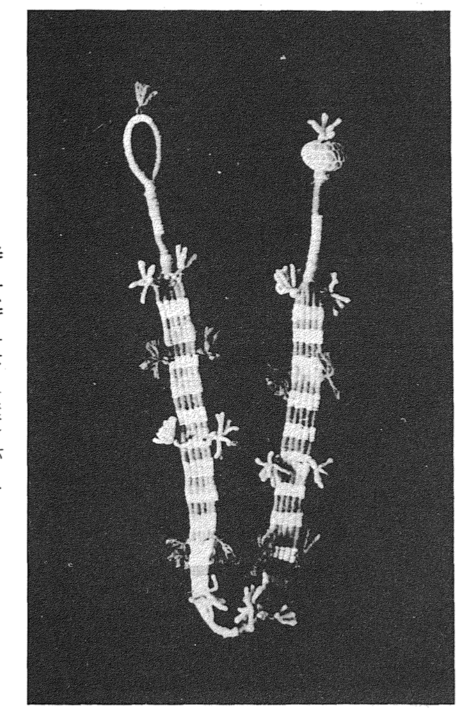
ومما لاشك فيه بأن المنسوجات الآنفة الذكر مشهورة فى التجارة والاستعمال وهى موجودة فى قرى أخرى من البلاد مثل : الأخضر ، وبهلا ، وعبرى ، وبركا ، وصور ، المصنعة ، وسمائل وغيرها من القرى العديدة وهذه المنسوجات تسـد فى الوقت الحاضر بعض الاحتياجات فى عمان بعد أن كان هناك فائضا يصدر الى العديد من دول العالم الخارجى ٠



شكل (١٩) صناعات الغزل والنسيج (قطنية)



شكل (٢٠) صناعات الغزل والنسيج (قطنية)



شـكل (٢٢) صناعات الغزل والنسيج
(صناعات قطنية)

الصناعات المعدنية

كثرت الصناعات المعدنيـــة فى عمان ، وشملت الصناعات الفضيـــة والنحاسية والحديدية .

ومن الفضة صنع الإنسان العمانى ألوانا من الحلى ومجموعات كثيرة من أدوات المـــائدة والزينـــة .

وصنع من النحاس أباريق القهوة والمباخر بدقة تسترعى الأنظار .

أما الصناعات الحـــديدية فجـــديرة بكلمة أوســـع لارتبـــاط هذه الصناعات بحياة الانســـان العمانى فى البادية والحضر .

فمنذ أقدم الأزمنة دفعت الحاجة الانسان الى استعمال المعـــادن فى الحروب والزراعة فصنع من الحديد الحراب والرماح والسيوف والخناجر والدروع . كمـــا أعـــد للمزارع الأدوات التى تستعمل فى حرث الأرض مثل المسحاة والمحراث ، وغيرها من الأدوات التى تستخدم فى الحقل .

وقد اشتهر بهذه الصناعات الحديدية أهل المـــدن العمانية « الحضر » أمـــا البدو فلبساطه حياتهم لا يمارسون صناعة الحديد وانما يطلبون هذه الصناعة من أهل المدن عندما يشعرون بالحاجة اليها .

ومما لاشك فيه بأن البدو يحتقرون العاملين بهذه الصناعات ويعدونهم أقل منهم درجة .

ويستعين الحداد بأدوات لطرق الحديد وتغيير شكله على النحو المطلوب فهناك السندان الذى يطرق عليه الحديد بعد اخراجه من النار ويتم طرق الحديد بواسطة مطرقة ليأخذ الشكل المطلوب .

ومن الأدوات الأخرى التى تستعمل فى صناعة الحديد الكور وهى كلمة تعرف أيضا عند العبرانيين وقد وردت اللفظة فى التوراة • والكور هو مجمرة الحداد ، مبنية بالطين والحجارة وتوقد فيها النار ويسلط عليها الملهاب « المنفاخ » الذى هو عبارة عن قربة جلدية ينفخ فيها الحداد بواسطة يده ويستعملها لاثارة النار وايقادها لكى ترتفع درجة حرارتها فتؤثر فى الحديد وتجعله لينا قابلا للتشكيل •

ومن الملاحظ أن أماكن صناعة الحديد فى نزوى منفصلة عن المنازل ، أما صناعة النحاس فأصبحت بداخل منازل الصناع بعد أن كانت فى محلات خاصة ، وفى قديم الأزمنة يقال بأن الحداد هو السجان أى لأنه يمنع من الخروج •

والى جانب صناعة الأدوات الزراعية والحربية يصنع أيضا من الحديد الأدوات المنزلية التى تدخل فى المطبخ ولا يزال يحتفظ بيت السيد نادر فى مسقط بمقدحة حديدية قديمة كان يستخدمها البدوى فى الماضى وهى عبارة عن أداة لايجاد النار حيث يقدح بها حجر يوضع عليه مادة قابلة للالتهاب ولأخذ النار مثل الصوف فيورى منها النار •

وهناك أيضا بعض الصناعات الحديدية الأخرى التى تدخل فى لباس الرجل مثل الابزيم الذى يربط فى نهاية الحزاق وهو عبارة عن حلقة لها لسان يدخل فى الحزق ثم تعض عليها حلقتها ••

الصناعات المعدنية (الفضية)

تعتبر صناعة الفضة من أقـدم الصناعات فى التاريخ ، فقد عرف المصريون الفضة منذ عهد الفراعنة واتخذوها أداة من أدوات الزينة وصنعوا منها المكاحل والعقود والأقراط وغير ذلك .

وعرفت صناعة الفضة فى آسيا الصغرى أيضا منذ نحو خمسة آلاف سنة ، وانتقلت هذه الصناعة من عيلام فى الشرق الى سومر فى العراق .

وكان انتاج الفضة فى فارس وفى غربى مدينة مشهد وأصفهان بالذات ، انتاجا وفيرا ، وكانت بلاد الفرس عامة أكثر بلاد آسيا احتفـالا بصناعة الفضة ، ومن المحتمل أن تكون هذه الصناعة قد انتقلت من ايران الى عمان فى تلك العصور القديمة من التاريخ .

وكانت صناعة الذهب والفضة فى تنافس ملحوظ منذ عرفت هاتان المادتان اللتان كانت التجارة فيهما خاما أو مصنعة ، وكان الذهب مرتبطا فى أذهان القوم بالشمس ، وكانت الفضة مرتبطة فى أذهانهم بالقمر ، وكان معظم الناس يفضلون الفضة اذ كانوا يعتقـدون أن الحلى الفضية تحمى الانسان من العين الشريرة .

ثم أخذت الحضارة فى التطور ، ونضجت الأفكار وانصرف الناس عن التفكير فى الخرافات المنتشرة آنذاك والتى كانت تزعم أن الفضة تحمى الانسان من الحسد ، ثم أخذوا الفضة على أنها مادة مجزية اذا بيعت ، ووسيلة للترف فى البيوت ، ولانزال نرى فى عمان الى اليوم قطع الخشب والنوى وأغطية القنانى والعظام والقرون مثبتة فى أنواع من القطـع الفضـية .

وعلى أى حال فان صناعة الفضة تعتبر من أهم الصناعات التى تشتهر بها عمان ، ومن العسير تحديد أسماء الأوانى والحلى الفضية التى تشتهر عمان بصناعتها نظرا لكثرتها ، والى أن أسماء هذه الحلى والأوانى تختلف من منطقة عمانية الى منطقة أخرى •

فالتسمية التى يطلقها أهل مسقط على آنية أو قطعة من الحلى قد يوجد لها تسمية أخرى فى نزوى مثلا وهكذا دواليك •

وان الباحث ليواجه صعوبة فى محاولته الوصول الى معرفة أصل أية حلية أو آنية ، وربما يحصل المرء على اجابات عدة ومختلفة عن أسماء وأصول الحلى والأوانى العمانية والمدن المشهورة بها اذ أن معظم الأدوات الفضية متشابهة فى مدن عمان ، ومن أهم هذه المدن ، بهلا ، وعبرى ، ومطرح ، وصلالة ، ومسقط ، وصور ، والرستاق •

والأدوات والأوانى الفضية التى تنتجها عمان كثيرة ، وتتميز بزخارف مختلفة ، وخاصة تلك الأدوات والأوانى التى تصنع من الفضة الخالصة •

وانك لتجد أنواع البنادق التى تتحلى بالنقوش الفضية فى أعقابها أو على مواسيرها ، ثم ترى محافظ البارود الخشبية المصنوعة على شكل قرون الحيوانات وأطرافها محلاة بنقوش فضية •

ومن الأدوات الفضية المستعملة فى عمان علب لحفظ النقود ، والبيبات ، وخلالات الأسنان ، وأدوات وابر التطريز ، وهى كلها محلاة بنقوش وزخارف غاية فى الذوق والابداع ، وتعبر فى الوقت نفسه عن مهارة الصانع العمانى فى تشكيل الأدوات والأوانى ، واضفاء لمسات من الذوق والجمال عليها •

ومن الأدوات الفضية واسعة الانتشار فى عمان المكاحل الفضية التى يحفظ فيها الكحل الذى يستعمله كثير من الرجال والنساء على السواء ، ويتزين النسوة بالقلائد الفضية كثيرة الخرز ، والعقود ذات النقوش الهندسية البديعة التى تمثل أوراق الشـــجر والأزهار ، وهذه العقود فى الواقع رجع الصدى للحلى التى كانت منتشرة فى مصر على عهد الفراعنة منذ خمســـة آلاف سنة •

وتغلف المصاحف أحيانا بجيوب من الفضة أو توضع فى علب من الفضة عليها نقوش غاية فى الدقة والابداع ، كما ترى فى مدن عمان حليا للرأس جميلة تزين بها رؤوس النساء •

أما صناعة الخناجر والنصال والسيوف فى عمان فهى أول ما يلفت نظر الوافد على السلطنة ، فالخناجر يرتديها العمانيون ، وهى تستعمل خاصة فى المناسبات الرسمية وهى تلبس فوق (الدشداشة) ، والخنجر العمانى أكثر الخناجر وجاهة فى منطقة الخليج ، ومقبضه مزخرف وتغطيه شبكة من أسلاك الفضة التى تكسو قرابه أيضا ، ويكون القراب أحيانا من الفضة الخالصة •

وفى عمان أنواع ممتازة من السيوف التى تستخدم فى مواقع النزال ، ولهذه السيوف مقابض من الفضة ، وجراب السيف يكون عادة من الجلد ومزخرف بالفضة ، ولكن هذه السيوف لا تظهر الا فى الاحتفالات الرسمية ، ولا يقتنيها الا الأثرياء من القـــوم •

وأبرز ما يلاحظه الزائر من الأدوات الفضية فى عمان ، أباريق القهوة والمباخر ورشاشات ماء الورد ، وهى أدوات واسعة الانتشار والاستعمال فى كافة المدن والمناطق العمانية ، ويستعملها السراة فى بيوتهم وفى مآدبهم ، فبعد تناول القهوة من الأباريق الفضية ، يقدم للضيف ماء الورد فى

رشاشات من الفضة فيتناوله فى يديه ثم فى وجهه ، وبعد ذلك تدور المباخر الفضية فى أرجاء الحجرة ، فيستنشق الضيوف دخانها المعطـر المتصاعد من خشب العود أو اللبان •

وتشتهر عمان بصناعة الأساور والخلاخل ، وهى فى كثير من الحالات من الفضة الخالصة ، وهذه صناعة يشتهر بها أيضا كثير من بلاد الشرق العربى ، غير أن خلخال عمان وأسورته يتميزان بالدقة وبروز النقوش الفضية التى يمكن رؤيتها بوضوح •

ويكون (الخلخال) العمانى أحيانا أكثر سمكا من أى خلخال مصنوع فى المنطقة العربية ، ويسمى هذا الخلخال « نطل » وتختص بصنعه مدينة نزوى ، وان كان يصنع فى مدن عمانية أخرى أهمها الرستاق ، كما أنهم يسمونه فى بعض مدن عمان « حجل » أو « خلخال » وترتديه الفتاة بعد بلوغ سن الرشد ، وتستمر فى ارتدائه حتى فترة الزواج حيث يصبح جزء من المهـر •

ويتفنن العمانيون فى صنع السوار تفننهم فى صنع الخلخال ، ويطلقون على هذا السوار اسم « بنجرى » ولعله لفظ من الألفاظ الأوردية التى يتحدث بها فى الهند ، ويرتدى أهالى مسقط ومطرح نوعا محفورا من الأساور قطره نحو ثلاثة أرباع البوصـة ، ويكون هذا النوع مرصـعا بالفصوص غالبا ، وهو كثير الاستعمال فى مسقط ومطرح وساحل الباطنة •

وفى عمان نجد صناعة الأقراط والخواتم تغرق أسواق الزينة الفضية ، وأكثر أنواع الأقراط شهرة ما يسمى منها « الشغاب » وأحد أجزاء هذه الحلية أملس بينما الأجزاء الأخرى مضلعة ، ويضم القرط عادة قلادة أو قلادتين من الفضة تتدليان منه ، وتعتبر هذه الأقراط رمزا لكمال الأنوثة ، ومن المألوف أن تلبس الفتيات عددا من الأقراط فى آن واحد من خـلال ثقوب متراصة فى الأذن ، الا أن البعض منهن ترتدينها فى مقدمة الرأس •

أما عن الخواتم فانها تلبس فى كل أصابع اليد وأصابع القدم على السواء ، وبالرغم من أنه لا يوجد عادة تقـديم « دبل » أو خواتم زواج فى عمان الا أنه يتم تقديم ما لا يقل عن عشرة خواتم عند عقد الزواج •

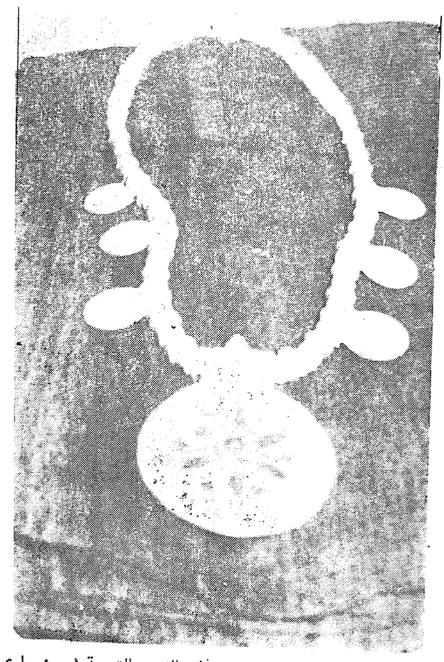
ويهتم العامة فى عمان بأن يكون لكل اصبع خاتم ، فالخواتم التى تسمى « الشواهد » فتخصص للاصبع الأول وتحتوى على زخارف ونقوش فى الواجهة وتستدق عند الأطراف ، أما خاتم الاصبع الثانية فيسمى خاتم « أبوفصوص » ويتكون عادة من قطعة مستديرة منقوشة ، أما خاتم الاصبع الثالثة فيسمى خاتم « أبوست المربع » وعليه زخارف مربعة الشكل ، وخاتم الاصبع الرابعة يسمى « خيسة » وقد يزين بفص أو بحجر ملون أو زجاج وشكله يشبه شكل ورقة التوت المصـــنوعة من الخـــرز الفضى ، أما اصبع الابهام فيحلى أحيانا بحجر صغير فى وسطه ، وكلها من الفضة الخالصة •

* * *

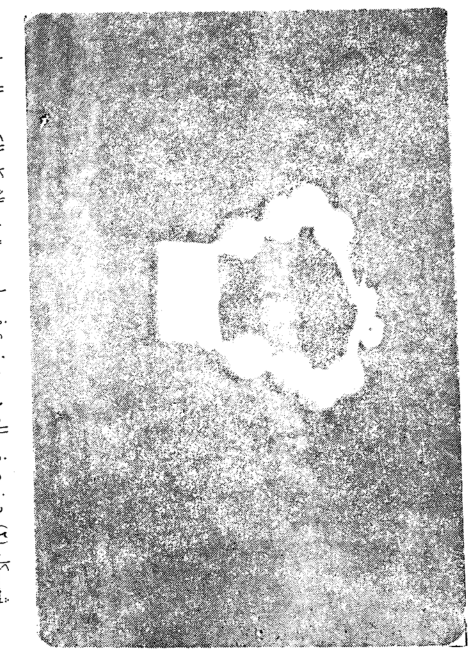
هذه لمحة سريعة عن صناعة الفضيات فى عمان ، وتجدر الاشارة فى ختام هذه السطور الى أن صناعة الفضة تختلف من مكان الى آخر فى هذه البلاد ، وهى شديدة التشابه فى المدن التى تصنعها ، وان كان الخلاف واضحا جدا بين هذه الصناعة فى معظم مدن عمان وبين صناعتها فى المنطقة الجنوبية من البلاد •

وتبين الرسوم والصور التى نسجلها فى نهاية هذه الدراسة المختصرة الجمال والروعة فى هذه الصناعة التى تتميز بها سلطنة عمان •

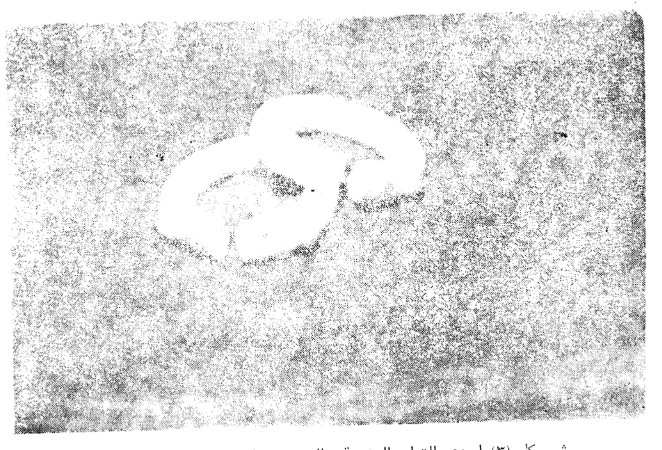




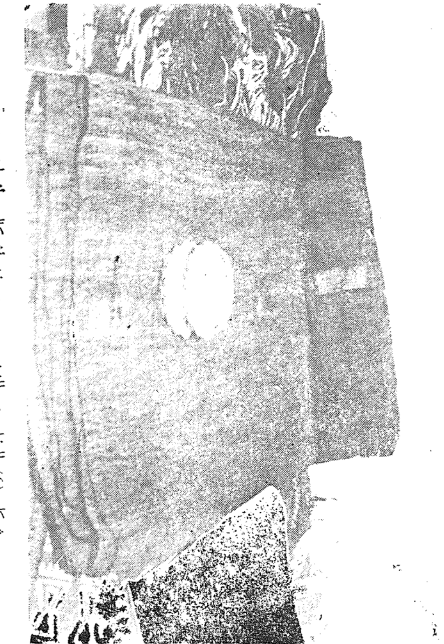
شكل (١) حرز للصدر مصنوع من قطع النقود القديمة (حرز مارى تريز)



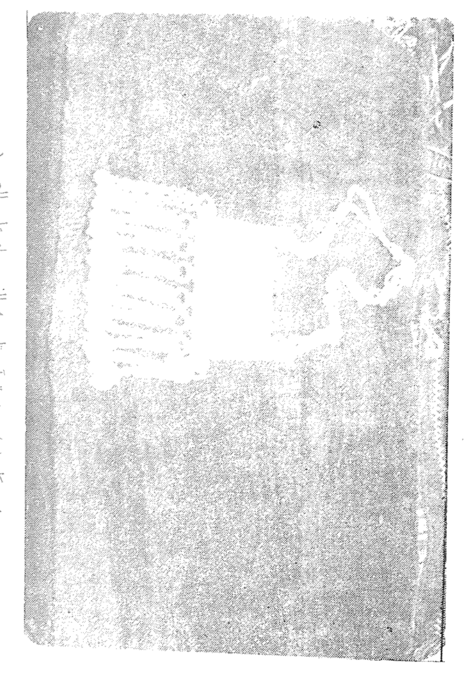
شـــكل (٢) حرز صغير للصدر مصنوع فى مطرح ويتميز بالشكل الكروى الجميل



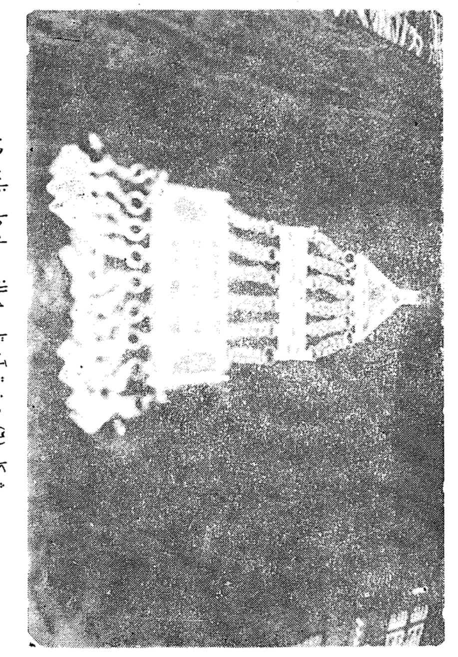
شكل (٣) احدى القطع الفضية (البريم) ويلبسه الاطفال فى أرجلهم



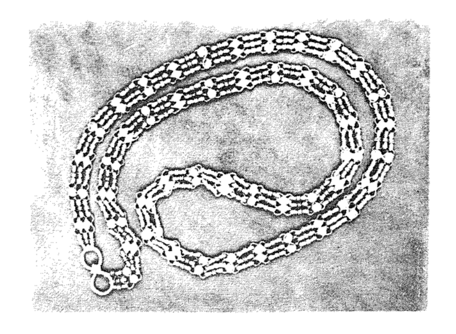
شكل (٤) البناجري الفضي ويوجد منه أشكال وأنواع عديدة



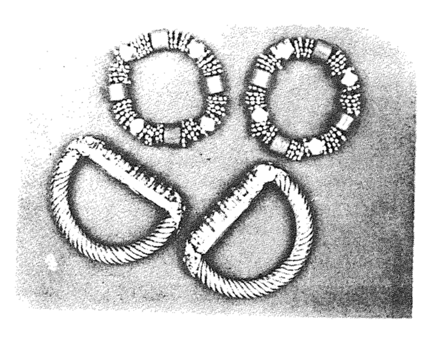
شـكل (٥) حرز قرآن تلبسه النساء على الصدر



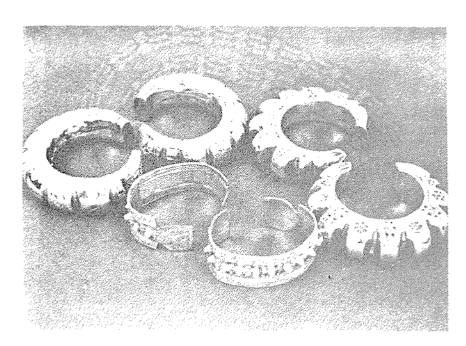
شكل (٦) حرز قرآن تلبسه النساء على ظهورهن



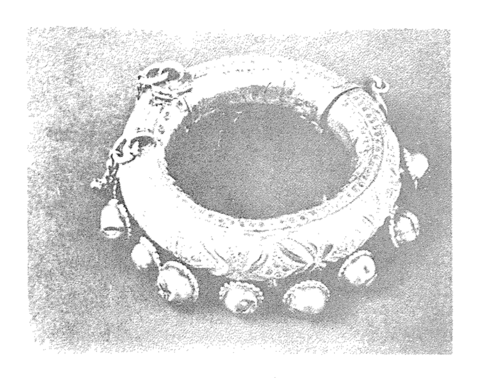
شكل (٧) حلية المثلوث ، وتحليها مجموعات من خرز المرجان



شكل (٨) زوجان من الأساور والحلية المسماة المحدبية على شكل حرف D في الانجليـــزية



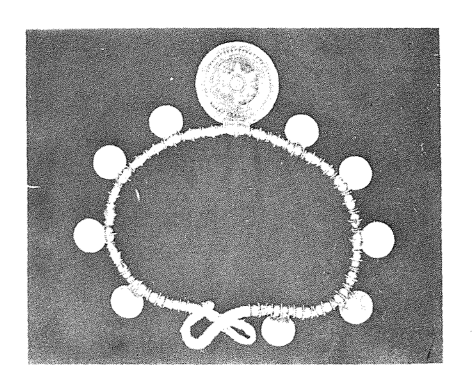
شكل (٩) مجموعة من الخلاخيل التى تشتهر بصناعتها منطقة الباطنة



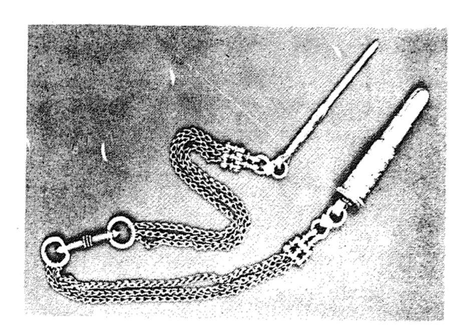
شكل (١٠) نموذج آخر من الخلاخيل من أعمال منطقة الباطنة



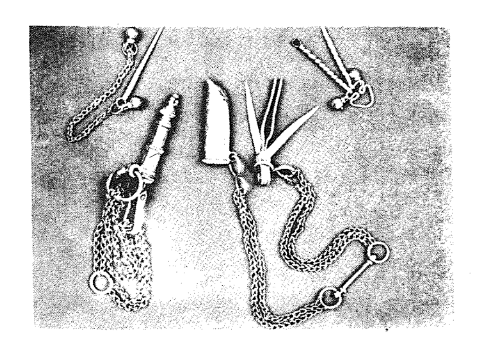

شكل (١١) ريال ماريا تريزا



شكل (١٢) قلادة مدلى منها الريال النمساوى

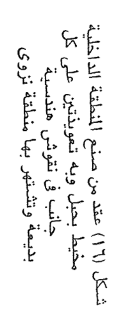


شكل (١٣) نماذج من المكاحل والنتافات

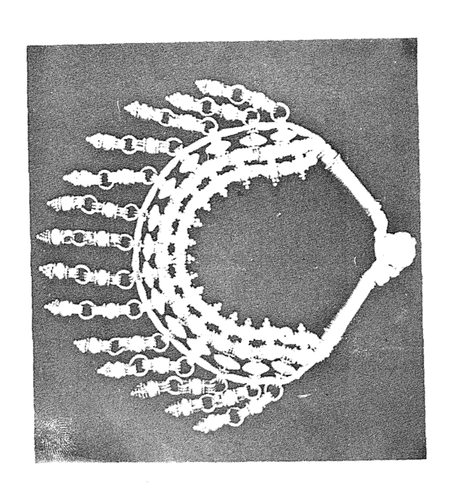


شكل (١٤) نماذج مختلفة من المكاحل والنتافات

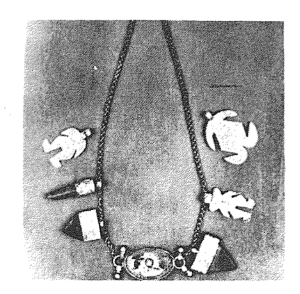




شكل (١٦) عقد من صنع المنطقة الداخلية مخيط بحبل وبه تعويذتين على كل جانب فى نقوش هندسية بديعة وتشتهر بها منطقة نزوى



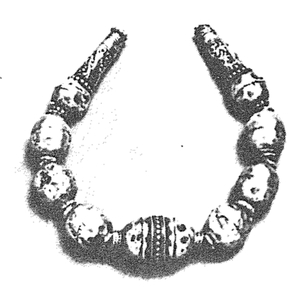
شكل (١٥) قلادة عمانية من ثلاثة صفوف محاطة بحبل من الغزل وهى من صنع منطقة الباطنة



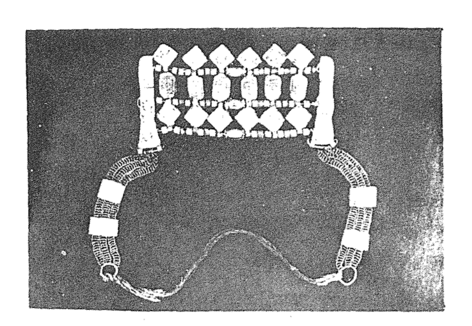
شكل (١٧) عقد مربوط بطلاسم من صنع الداخلة والرسم على اليمين يلبس كحرز وبه تميمة عبارة عن قطعة من لوح الكتابة عليه صورة وردة مدينة عبرى



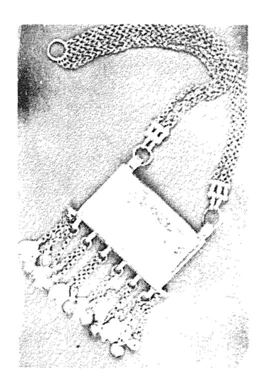
شكل (١٨) طوق وبه نقوش كثيرة على هيئة أشكال هندسية جميلة



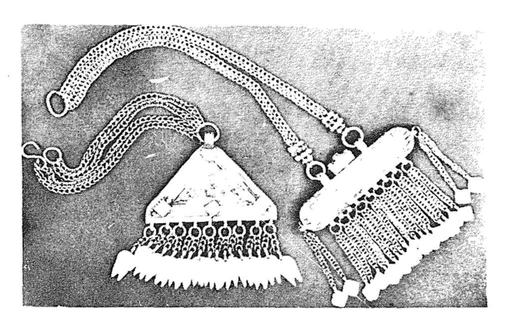
شكل (١٩) عقد بسيط يتكون من خرز فضى مجوف لعله من صنع الباطنة



شكل (٢٠) وجد هـــذا العقد فى منطقة بركة الموز ويعتقد أنه من صنع مدينة نزوى وقد غرست القطع المربعة والمستطيلة بشكل أفقى وكلها من الفضـــة المطلية بالذهب ومخيطة بأسلاك فضية وموصولة بخيوط من الفضة وخرز المرجـــان



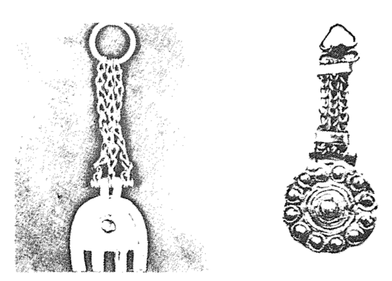
شكل (٢١) حرز أو غلاف مصحف وهو من صنع نزوى ويفتح من جهة واحـدة والسلاسل التى فى القاعدة تحدث أجراساً لها صوت جميل وتستعمل للزينة



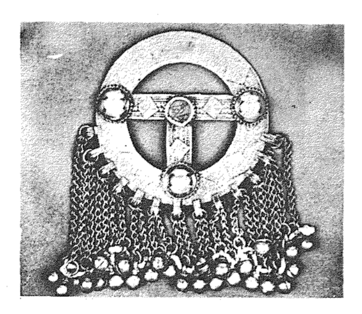
شكل (٢٢) فى يسار الشـكل عقد من صنع نزوى وعلى وسط المثلث الفضى صور أوراق من الذهب والمربعات الفضية قد حفرت فى القاعدة — وفى الجهة اليمنى حرز من صنع نزوى كذلك وتبدو عليه نقوش على شكل وردة



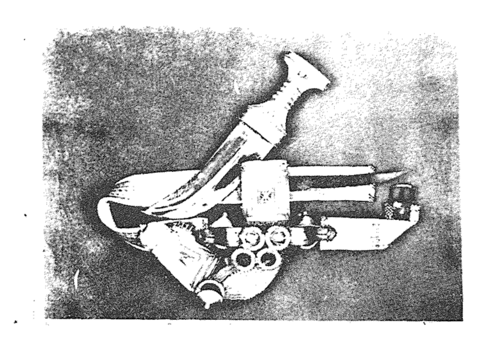
شكل (٢٣) نوع آخر من حلى الرأس ذات الأجراس وربما تنتمى الى مدينـــة الرستاق



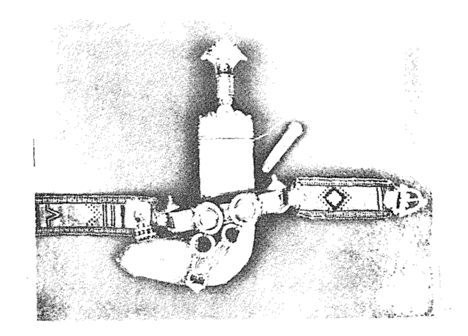
شكل (٢٤) حليتان للشعر وقد صممتا للاستعمال فوق الجبهة اما مثبتتان بسلسلة حاملة للأقراط أو مدببة فى طرحة الرأس



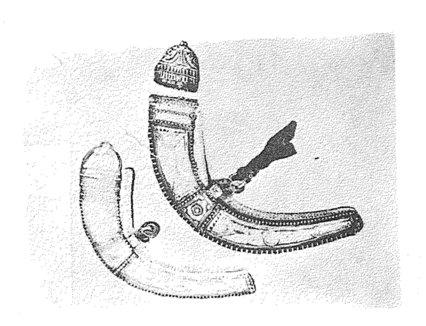
شكل (٢٥) حلية لشعر الرأس (من المنطقة الداخلة) وهى محلاه بمربعات ذهبية ورقية الشكل وفى الوسط ختم أحمر من البلاستك وتستعمل خلف الرأس فى منطقة بهــلا وجبرين



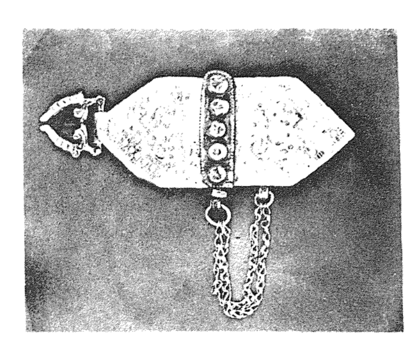
شكل (٢٦) خنجر تقليدى عليه نقوش رائعة ويظهر النصل عاريا وهو من منطقة الشرقية والمقبض كله مغطى بالذهب كما توجد كتابة خلف الخنجر



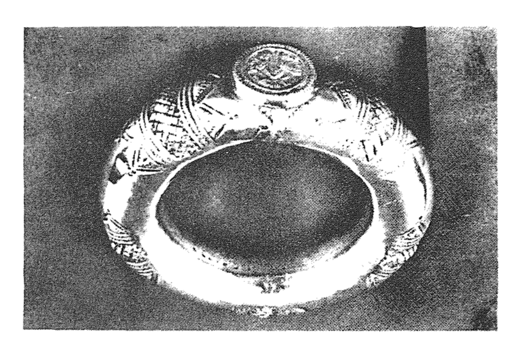
شكل (٢٧) نموذج للخنجر الذى يرتديه افراد أسرة البوسعيد الحاكمة فى عمان وهو نوع مميز فى الخناجر العمانية فى تصميمه ونقوشه وعلى الأخص المقبض . والحزام فهو مثبت بعقفه الخنجر بسلسلة معقدة



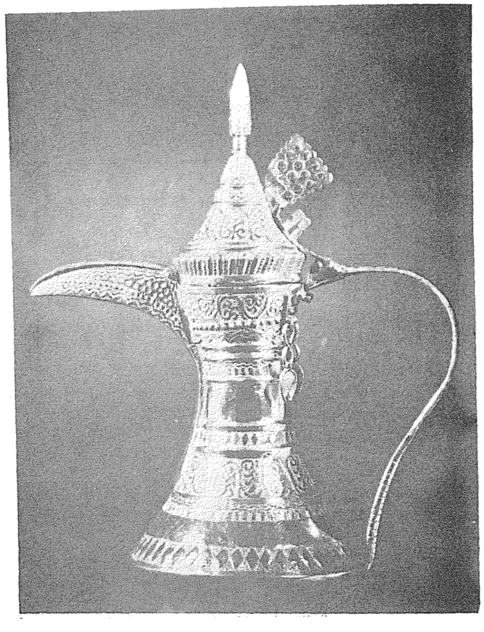
شكل (٢٨) صور لمـــا يسمونه فى عمان بالتلاحيق وهو نوع من القراب مصنوع من الفضة ويتكون من عظام القرن وهـــذا النوع من صنع مدينة صور



شكل (٢٩) أبزيم مزخرف من صنع احدى مدن داخلية عمان ولعلها الرستاق وحزام منجد ومنسوج يثبت بشريط خلف الابزيم كما تخيط قطعة من الجلد على الطرف الآخر من الحزام والأبزينات يرتديها الصبيان العمانيين



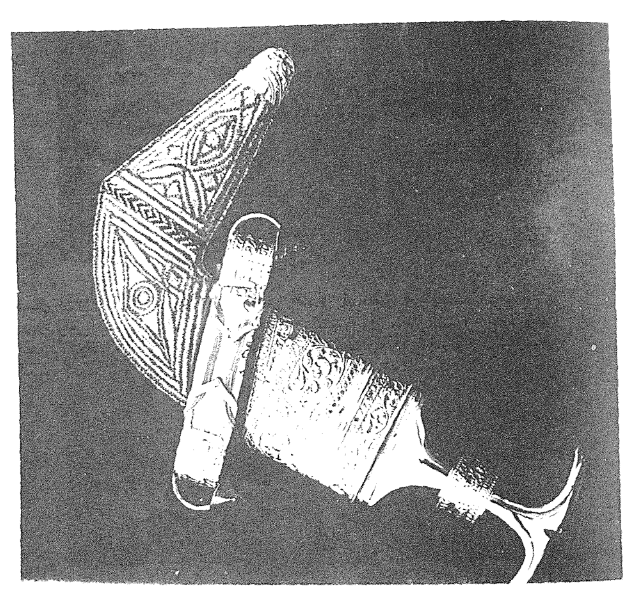
شكل (٣٠) ان الختم على هذا السوار يدل على الدقة وهو من صنع مدينــة الرستاق وهذا النوع من الأساور يوجد فى جميع انحاء البلاد أما الختم فهــو علامة على منشــأ الحلية



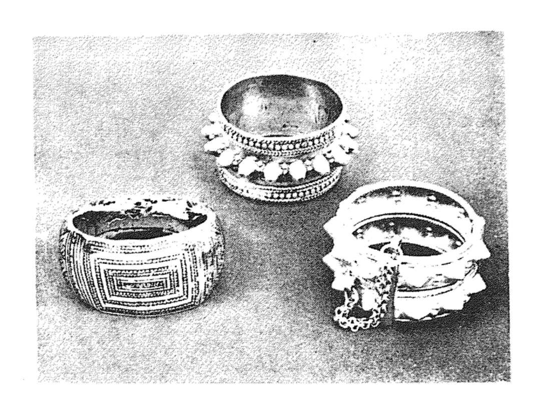
شكل (٣١) الدلة العمانية (أبريق القهوة) التى تشتهر عمان بصنعها وهى من أعرق فنون الصناعات اليدوية كما أنها تصنع من النحاس أو الفضة حسب المستويات وتظهر عليها النقوش المنحنية والبارزة وروعة الفن الصناعى العمانى .



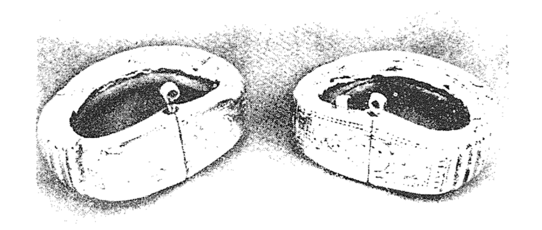
شكل (٣٢) المبخرة العمانية النموذجية المصنوعة من الفضة وتبرز عليها النقوش والزخرفة معبرة عن ذوق الصانع العمانى ودرجة تحكمه فى تشكيل الفضيات وتوشيتها بالنقوش الجميلة والأشكال الجذابة .



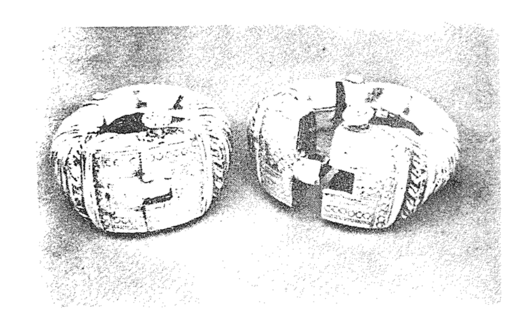
شكل (٣٢) الخنجر العماني من أشهر الصناعات الفضية في عمان



شكل (٣٤) السوار فى أعلا الصورة من النوع المستعمل فى المنطقة الداخلة من عمان وهى تصنع من الذهب فى الغالب أو الفضة وفى يمين الصورة نموذج من أساور مزينة بصور يحيط به صفان من النقوش مع فتحة ، أما السوار على شمال الصورة فهو من صنع مدينة عبرى وهو مستدير من الخلف واسع من الأمام ومفرطح قليـــــلا .



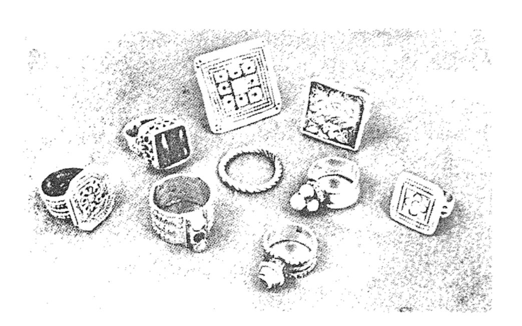
شكل (٣٥) خلخال ثقيل من صنع نزوى وتشاهد فيه الفتحة التى يتم اغلاقها بمسمار فضى



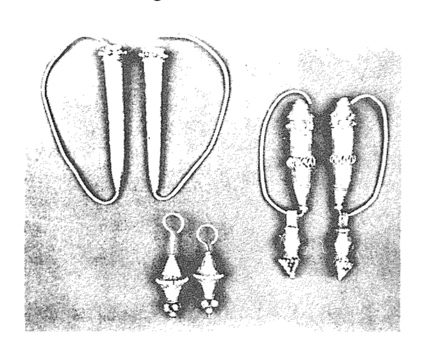
شكل (٣٦) خلخالان من صنع نزوى أو مدينة صور وهما محليان بالفصوص والنقوش الجميلة



شكل (٣٧) أنواع مختلفة من الخواتم العمانية المخروطية الشكل تستعمل على التوالى للاصبع الأول وللابهام وللاصبع الرابع والاصبع الأوسط وهى محلاة بالخرز والنقوش المحفورة



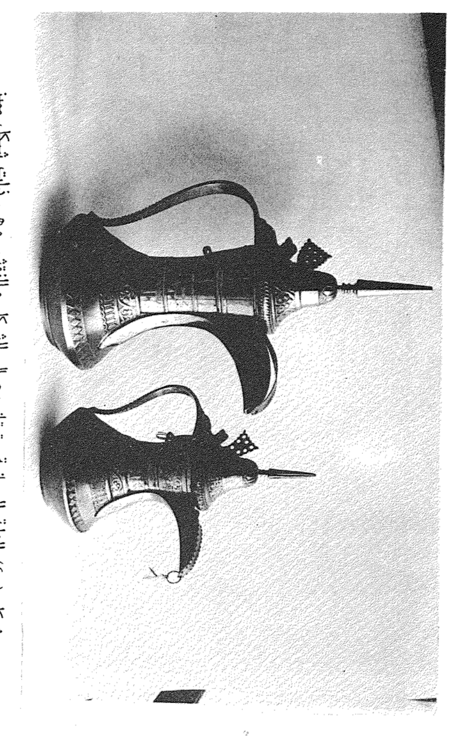
شكل (٣٨) مجموعة أخرى من خواتم الابهام والأصابع الأخرى والتى تخصص لبعض المناسبات بعضها عليه تلبيسة من المعظم وبعضها الآخر عليه نقوش جميلة مختلفة بارزة ومحفورة وهى من صنع مدينة نزوى وعبرى



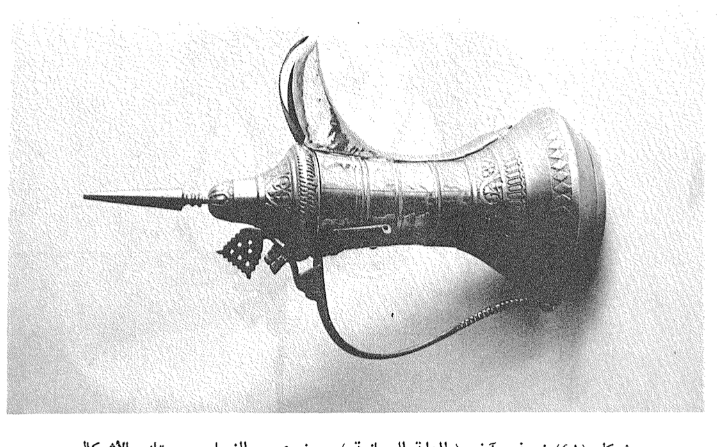
شكل (٣٩) ثلاثة نماذج من أقراط ظفار وهى منطقة الجنوب من عمان ومنطقة الظاهرة والقلادة التى على شكل هرم مقلوب يتكون من حبيبات من نقــوش الفضة الجميلة المتناسقة

الصناعات المعدنية (النحاسية)

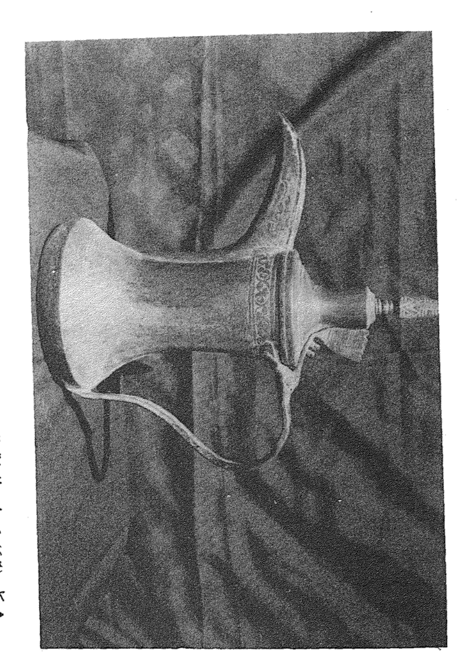




شكل (٤٠) الدلة العمانية وتمتاز بجمال الشكل والنقش وهى ذات شكل مميز
عن باقى الدلال العربيـة وهى مصنوعة من النحاس



شكل (٤١) نموذج آخر (للدلة العمانية) مصنوع من النحاس ويمتاز بالأشكال الهندسية الجميلة والزخرفة المحفورة والبارزة على جوانبها



شكل (٤٢) نموذج للدلة العمانية (ابريق القهوة) مصنوع من النحاس ويمتاز بالجمال والتناسق فى الزخرفة

صناعات الجلود

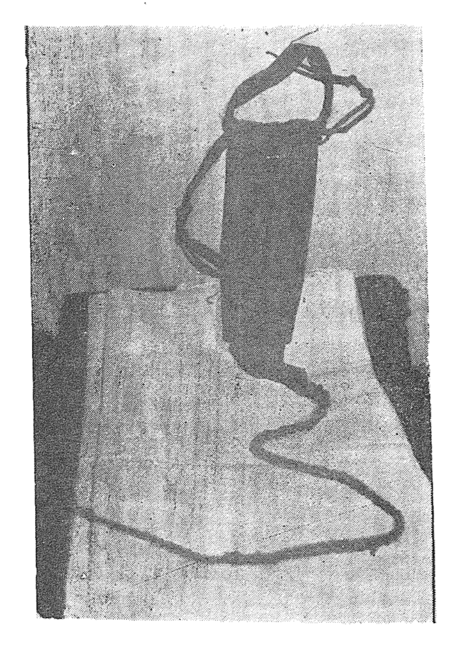
اشتهرت عمان منـذ أقدم الأزمنة بتربيـة الحيوانات وعلى وجـه الخصوص الماعز الذى يوجـد منه أعداد كبيرة فى السـهول الساحلية ، والأودية ، والمناطق الجبلية ، والمعروف أن أهل عمان كانوا يصدرون أعدادا هائلة من المـاعز الى مختلف الأقطار ، ويربى حاليـا هذا الحيـوان من أجل الاستفادة من لحمه ولبنـه وجـلده ، ويفضـل الأهالى لحـم الماعز عن غيره من اللحـوم حيث يذبح فى المواسـم والأعياد والاحتفالات الدينية ، والاقبال عليه يفوق الاقبال على لحوم الأغنام •

ونظـرا لتوفر هذه الحيوانات عـرف أهل عمـان دباغة الجلود ، والصناعات الجلدية المختلفة •

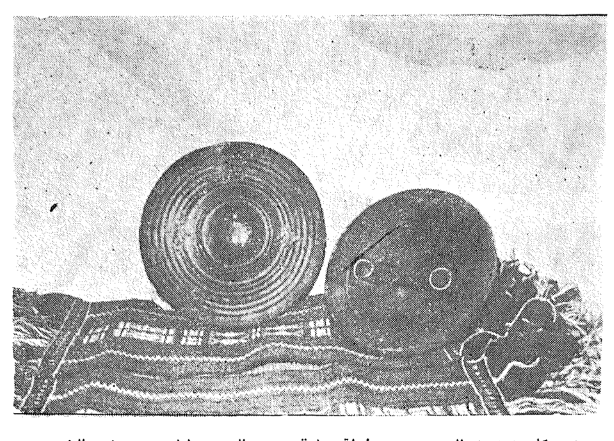
وتمارس عملية دباغة الجلود الآن كما كانت تمارس فى الأزمنة القديمة ، وتستخدم غالبا جلود الماعز ؛ ولكى يتم ذلك يبسـط الصانع على السـطح الداخلى لهـذه الجلود طبقة من الملح ، ويوضـع فى خرس « خابيـه » ويخلط بالتمر « المريس » لمدة ثلاثة أيام ، ثم يمزج بشـجر الشـخر حيث يبقى لمدة ثلاثة أيام وتعـاد العملية مرة أخرى بوضع الملح عليه وخلطـه بالتمر لمـدة ثلاثة أيام ثم يغمس بالملح والقرط وتسـمى هذه العملية الأخيرة عنـد الصانع بالدباغة ويترك الجلد المـدبوغ بعد ذلك لمدة يوم واحـد لكى يجف ويصبح صالحا للاستعمال •

ولا ريب أن هذه الجلود تستخدم بعد تجهيزها فى مختلف الصناعات الجلدية التى يحتـاج اليها السـكان فى حياتهم المعيشـية مثـل صناعة الأحذية والقرب لحفظ الماء والأوعية لحفظ التمر ، والنقود ومثل صناعة

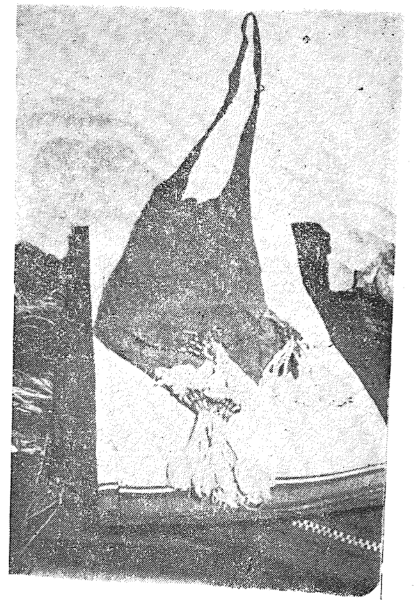
الأحزمة ، وقطاعه للسـيوف والخناجر ، وفى بعض الأحيان فى صـناعة النسـيج كما هو الحال بالنسـبة للعقـال العمـانى « كمـال » الذى يستخدم فى رباط الرأس وحفظ التعاويذ أو أربطة للحيوانات ، وفى العلاج الشعبى تربط بعض أجـزاء جسم الإنسان عند شعوره بألم واذا كان جلد الماعز يستخدم فى أغلب الصناعات الجلدية فان جلد البقر يسـتخدم فى صناعة الأحذية العمانية اذ يعتبر أكثر متانة كما أنه يسمح بتسرب الماء كما لو كان من الإسفنج ، وهو عيب يُنظر إليه فى أوربا حيث هطول الأمطـار بشـكل مستمر ، ويعتبر جلد البقر هو أنسب الجلود لصناعة الأحذية العمانية لانه يتناسب مع الأرض المنبسـطة والرملية الخاليـة من الأحجار . وتتصف المصـانع الجلدية العمـانية بالبساطة ، فهنـاك موضعان للعمل الأول لدباغـة الجلود والثانى للصناعة . ولا شـك أن هذه الصناعات كانت فى الماضى أكثر ازدهارا وانتشـارا ولكن الصناعات الحديثة أخذت فى العصر الحاضر تؤثر عليها وتقلل من حركتها وفيما يلى بعض مناظر لأدوات صناعة الجلود ولبعض الأدوات المصنوعة من الجـلد



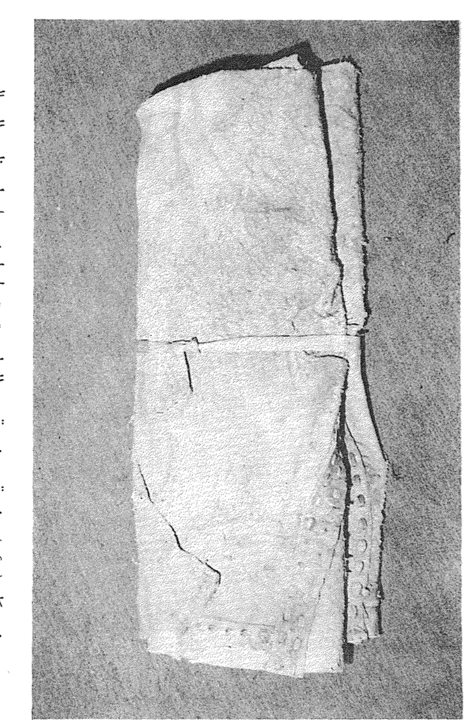
شـــكل (١) هيمان (كيس للنقود) مصنوع من الجلد
ويستعمله البدو



شكل (٢) الترس وهو اداة هامة مع السيف لتلقى ضربات الخصم
اثناء المبارزة وهو مصنوع من نوع خاص من الجلود



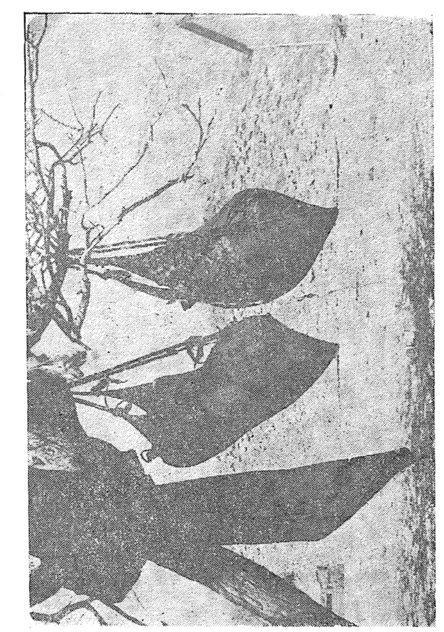
شـــكل (٣) هبان مصنوع من جلد الماعز
ويستعمل لحفظ التمور (البلح)



شكل (٤) حشية مصنوعة من الجلد وتستعمل لوضعها على ظهر الجمال والحمير وتشد بشرائط جلدية



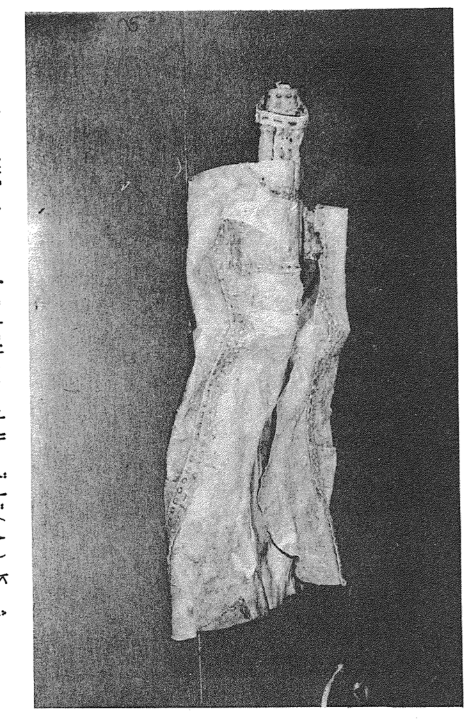
شكل (٥) بعض انواع من الجلود تعلق فى الهواء الطلق بعد دباغتها لتجف
توطئة لتصنيعها



شكل (٦) قربتان معلقتان بالسلاء وهى مصنوعة من جلود الماعز



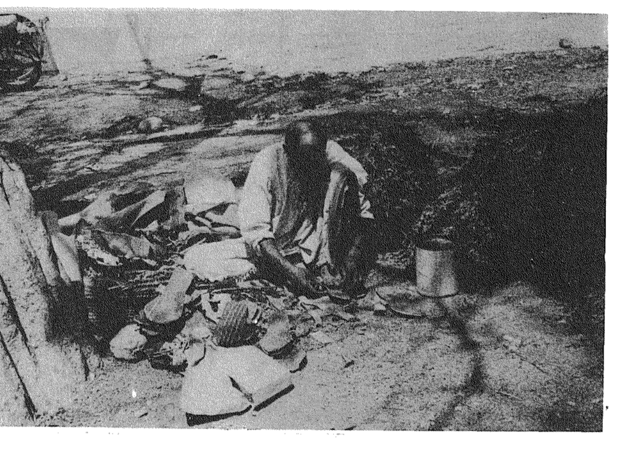
شكل (٧) قربة جلدية مصنوعة من جلود الحيوانات



شـكل (٨) قطعة من الجلد بعد دباغتها وقد أصبحت جاهزة للاستعمال



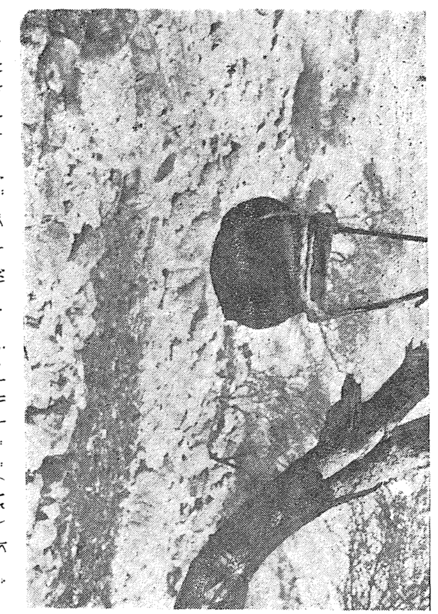
شكل (٩) تجفيف الجلود بعد الذبح



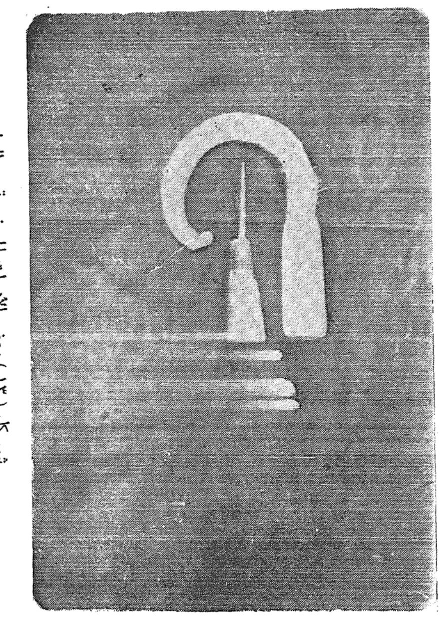
شكل (١٠) بعض الأنواع من الأحذيةو الصنادل المصنوعة من الجلد



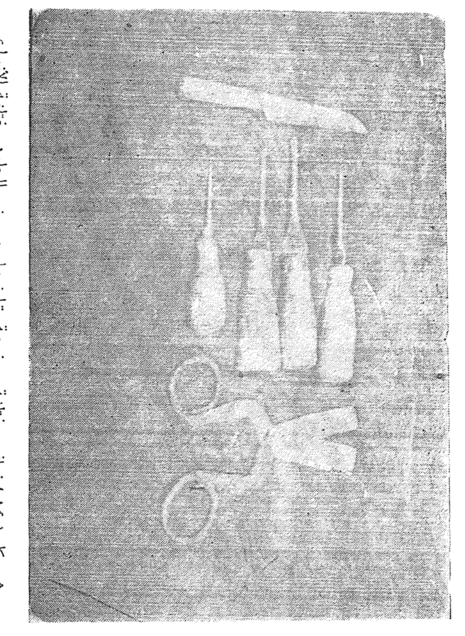
شكل (١١) نزح الماء من الآبار



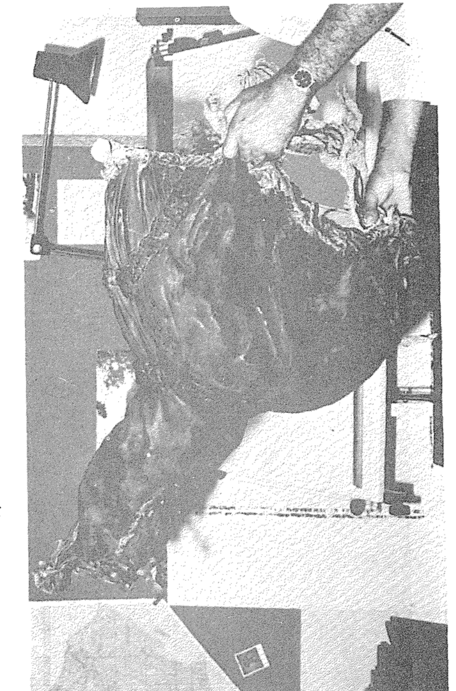
شكل (١٢) تستعمل الجلود في بعض الأحيان كقربة أو وعاء لحفظ الماء



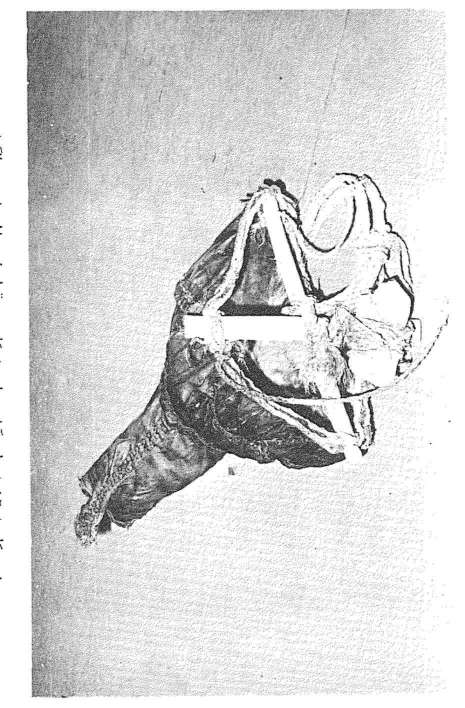
شكل (١٣) بعض الأدوات المصنوعة من الجلود



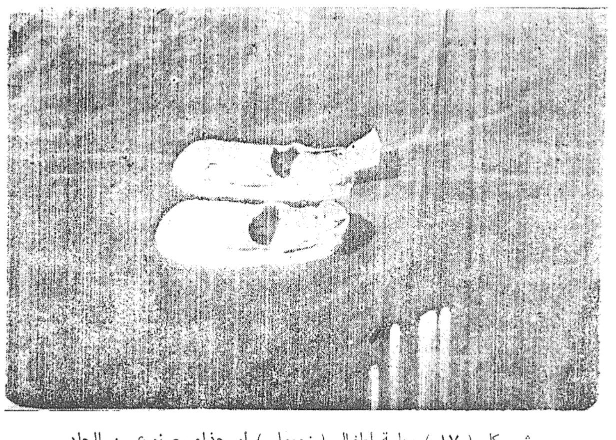
شكل (١٤) نماذج مختلفة مصنوعة مقابضها من بعض الجلود مختلفة الأنواع



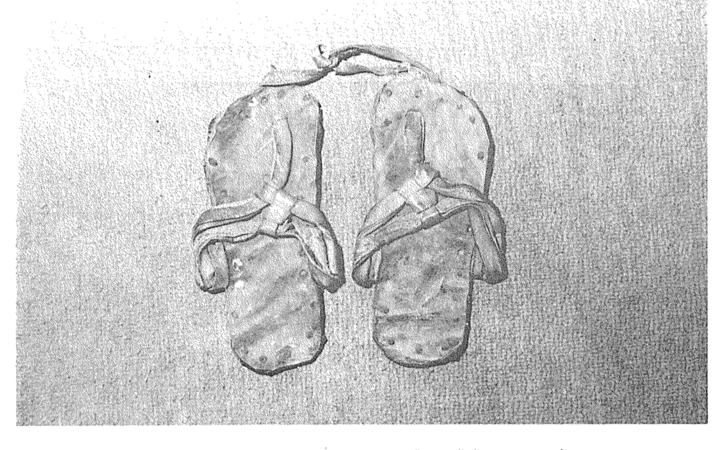
شـكل (١٥) دلو خاص لجذب الميـاه من القنوات والآبار



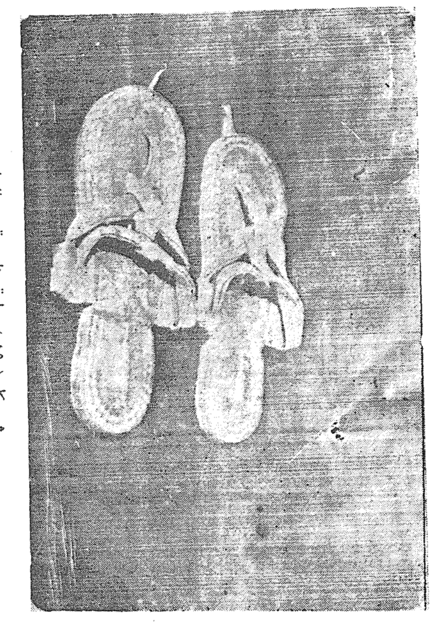
شـكل (١٦) دلو آخر على شكل قربة لجذب المـاء من الآبار



شـــكل (١٧) وطية أطفال (زوبول) أو حذاء مصنوع من الجلد



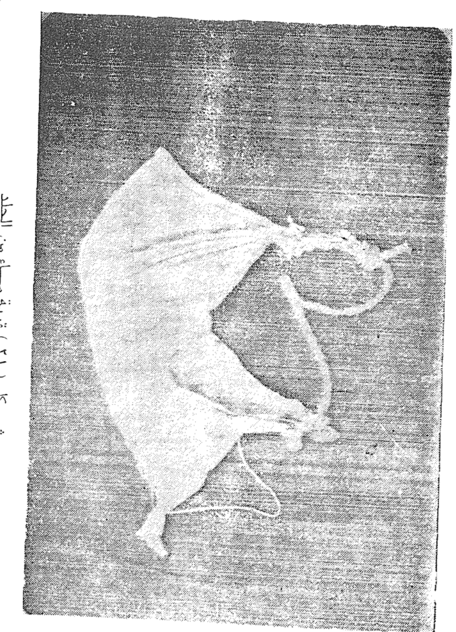
شـــكل (١٨) وطبة قشرة وهى على شكل صندل مصنوع من الجلد



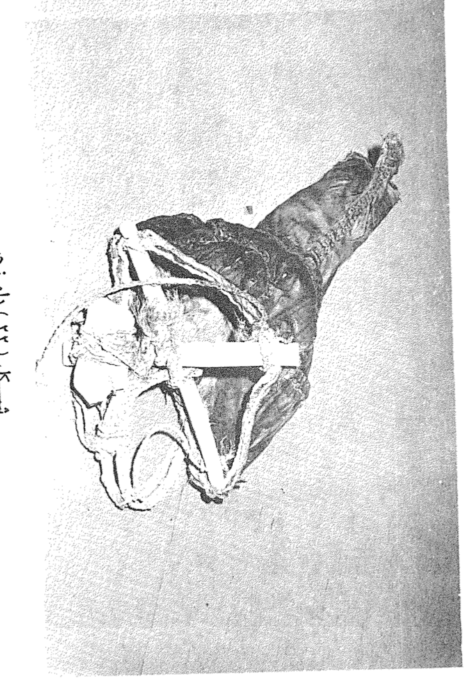
شكل (١٩) وطية مظروفة من الجلد



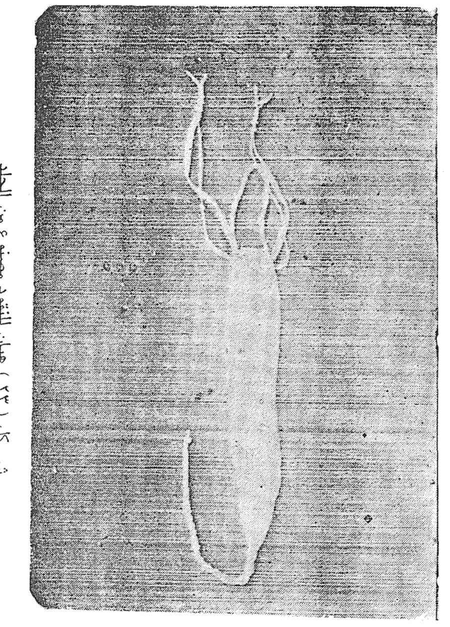
شكل (٢٠) وطية زنجبارية مصنوعة من الجلد



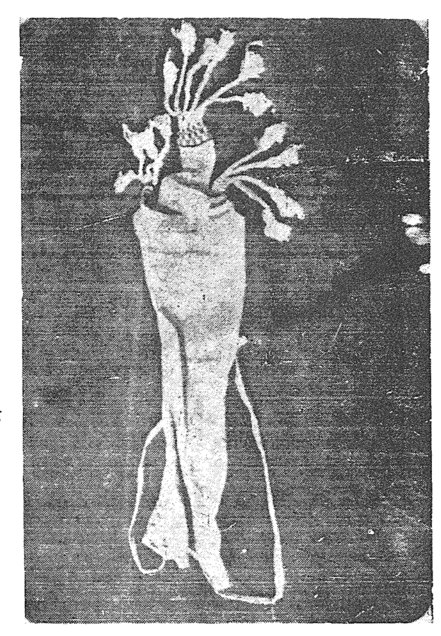
شكل (٢١) قربة ماء من الجلد



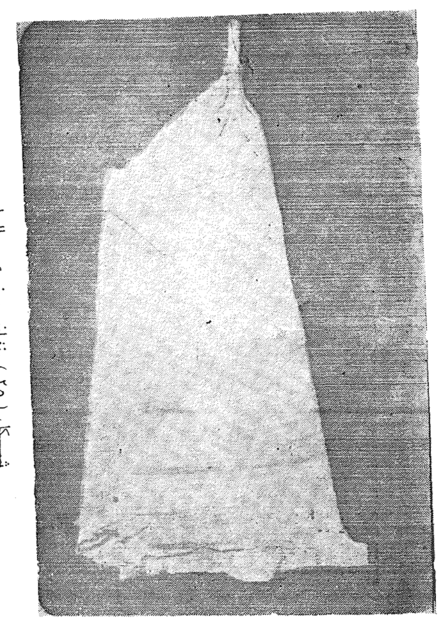
شكل (٢٢) دلو زجر



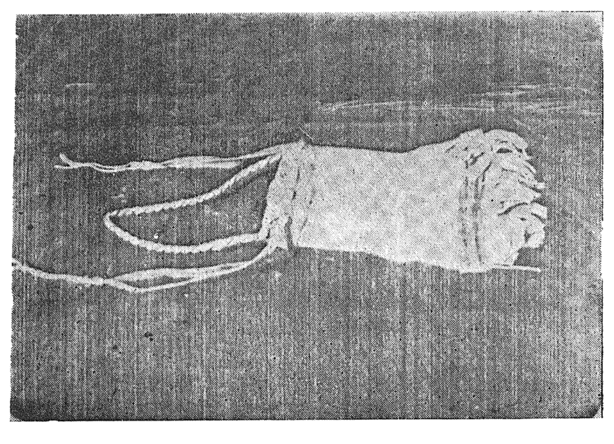
شــكل (٢٣) هبان للنقود مصنوع من الجلد



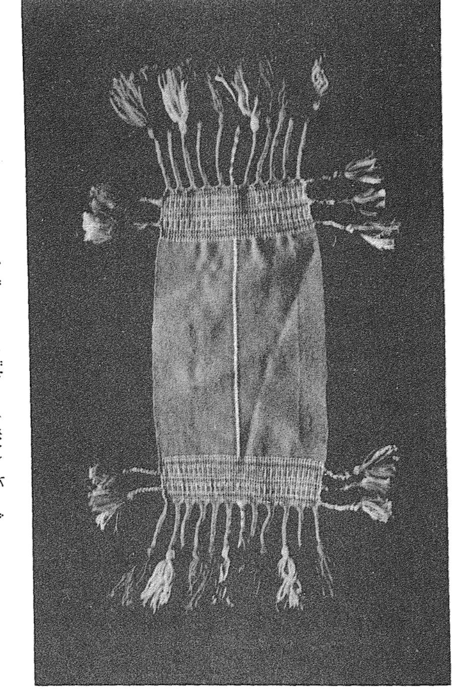
شـــكل (٢٤) هيان تمر مصنوع من الجلد



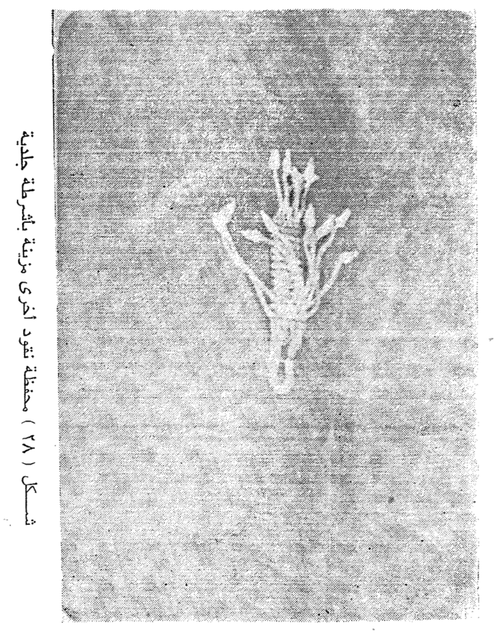
شكل (٢٥) منفاخ مصنوع من الجلد



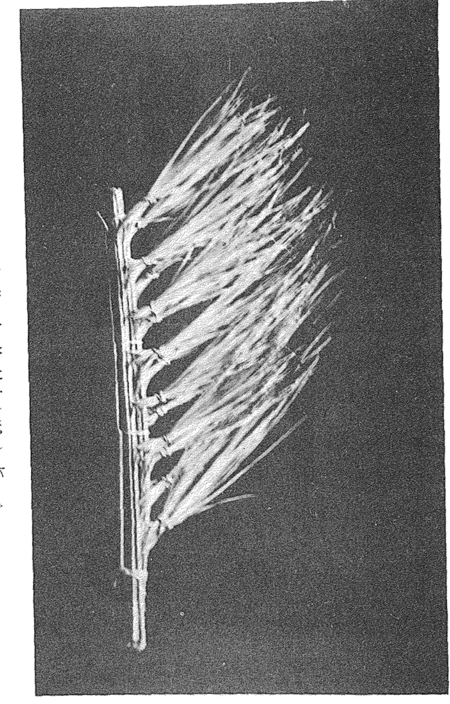
شـــكل (٢٦) هبان لوضع التمر من الجلد



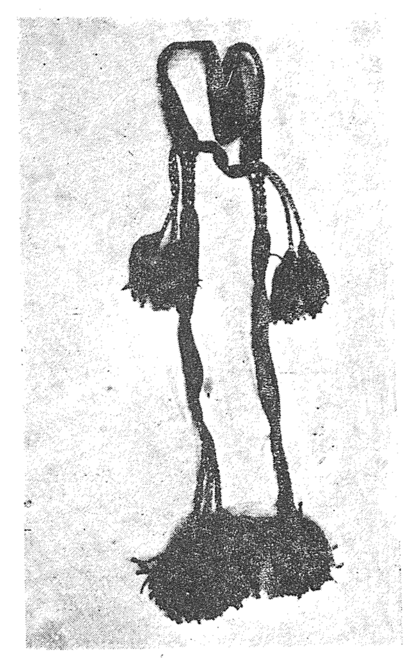
شـكل (٢٧) محفظة نقود مزينة بأشرطة جلدية



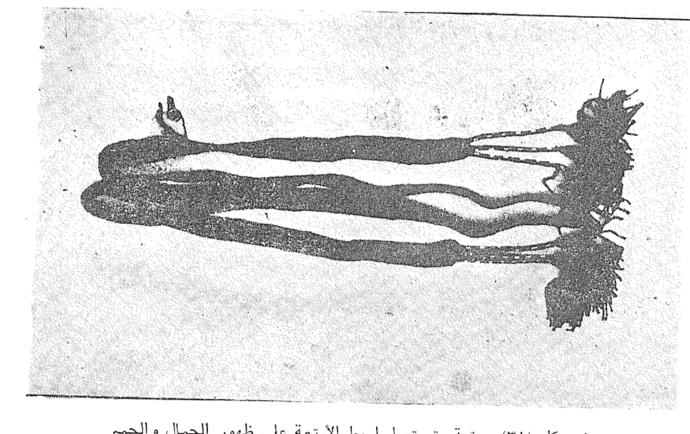
شكل (٢٨) محفظة نقود أخرى مزينة بأشرطة جلدية



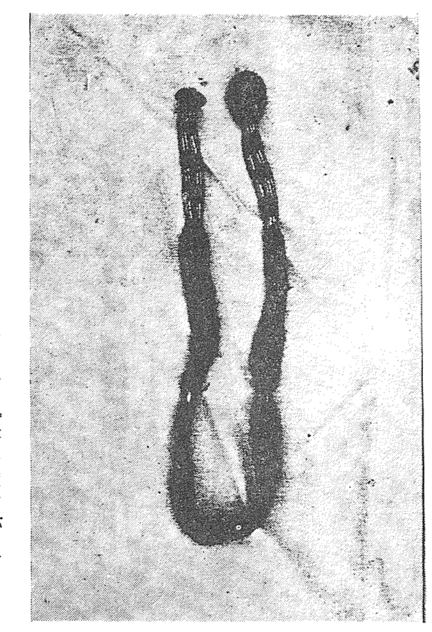
شـــكل (٢٩) خطام للجمل و الخيل و الحمير



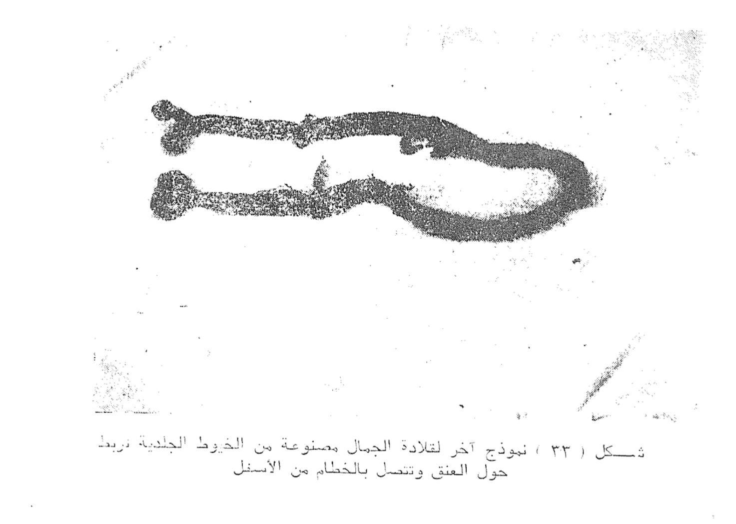
شكل (٣٠) صدار للجمل توضع على صدره وظهره حيث تتدلى أطرافها كزينة



شـــكل (٣١) محقبة وتستعمل لربط الأمتعة على ظهور الجمال والحمير



شـكل (٣٢) قلادة جمال تربط حول العنق وتتصل بالخطام من الأسفل



شـــكل (٣٣) نموذج آخر لقلادة الجمال مصنوعة من الخيوط الجلدية تربط حول العنق وتتصل بالخطام من الأسفل

صناعات الحصر والسِّلال

كانت عمان فى الماضى مركزا هاما لصناعة الحصر فكبار السن فى البلاد يذكرون ان فى لوى وحدها كان يوجد هناك أربعون مصنعا وفى الحارة الشرقية بفنجا خمسة مصانع وفى الفليج سبعة مصانع وقد اندثرت هذه الصناعة فى قرية الغبيرة المجاورة للفليج ويبلغ انتاج الكارجة الواحـدة (النول) عشرة حصر فى الشهر يقوم بانتاجها صانعان ، وقد بذلت وزارة التراث القومى جهودا كبيرة لاحياء هذه الصناعات التى كادت أن تنقرض وقد تمكنت من اعادة مجموعة من الصناع الى أعمالهم السابقة وذلك بشراء انتاجهم الشهرى بالاتفاق مع وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لفرشها فى المساجد والمدارس الدينية بدلا من حصر النايلون التى غزت الأسواق المحلية بشكل كبير مما أوشـك أن يصيب الصناعات التقليـدية بأضرار جسـيمة .

وتعتبر صناعة الحصر من الحـرف اليدوية المحببة والشائعة فى عمان حيث لاتزال تمـارس فى منـاطق عديدة من البـلاد مثل فنجـا ولوى والفليج وغـيرها من القرى ، ويتعلم الصـناع حرفة الحصير عن طريق الآباء والأجداد وعلى أيد محترفة تتقـن المهنـة جيدا فقد ذكر لنا صناع فنجـا بأنهم ورثوا هذه الصناعات كابرً عن كابر .

وتتم عملية صناعة الحصر فى أماكن خاصـة تعرف باسم الكارجـة ولا شك أن هذا الاسـم يطلق أيضـا على النول اليدوى وتقع الكارجة بفنجـا فى أماكن منفصلة عن المسكن أما فى لوى والفليج فتكون ملتصقة به وأحيـانا بداخله .

ويســتخدم العمانيون الحصر لفرش أرضية غــرف بيوتهم ، وهم يصنعون نوعا منهــا مزخرفا يفرشــون به السرر وحيطــان المنــازل ، وأرضية المســاجد .

ويصنع الحصير من عيدان الرسل ، وخيوط القطن بعد غزله اما الرسل فيجلبه أهــل فنجا من المنظرية بوادى حطــاط ويجلبه صناع لــوى من وادى الروضـــة بصحم فى حين يجلبه صناع الفليج من ســيح الخايسة بشرق أدم ، والرســل من النباتات البرية وهــو يكثر عادة فى الأودية ويعمر طويلا ، ويقطع كل أربعة أشهر ، وبعد قطعه يتم تنقيته وفصــله من النباتات الأخرى ويجفف فى الشمس لمدة خمسة أيام ويجمع بعــدها فى حزم حسب طوله أو قصره ، وفى المصنع يندى بالمــاء .

وفى فنجا والفليج يدق بمطرقة خشبية (ملكد) لتليينه اما فى لــوى فلا يدق ولكن تزال أطرافه الشوكية ويربط بعد ذلك فى حــزم حيث يكون جاهــزا للصناعة .

وعلى النول اليدوى « الكارجة » فى فنجــا والفليج تسدى خيوط الغزل حيث يستخدم غــزل أبو عشرين بدلا من أبى ثلاثين . اذ يعتبر الأول أكثر متانة من الثانى والأخير يستخدم فى صناعة الوزره والشواذر وغيرها من المنسوجات القطنية العمانية .

ويســتخدم صناع لوى حبــال الغظف بدلا من خيوط الغــزل ، والكارجـــة هنا تسمى مستاه وتتم صناعة الحصير بادخال عيدان الرسل بين خيوط غزل القطن ، أو الغظف ، ويحتاج فى كل مرة الى عودين عرضا ، وفى بعض الأحيــان الى ثلاثة أعواد ثم تطــرق هذه بواســطة المرفاع فى فنجــا ولوى اما فى الفليج فتستخدم زورة تفــريض حتى الانتهــاء من صناعة الحصير وفى النهاية يقــوم الصانع بايلاج حبــال الغظف بابره

حـــديدية فى أطراف الحصير بقصـــد تثبيته وتسمى هذه العملية فى لوى الخطية ، وبعدها يقوم الصانع بقطع أطراف الحصير بســـكين لتســـويته وجعله صالحا للاستعمال وقبل بيع الحصير يعرض لأشعة الشمس لتجفيفه اذا كان الفصـــل شتاءا أما فى فصل الصيف فلا يحتاج الى تجفيف •

وفيما يلى بعض مناظر لعيدان الرسل الذى يصنع منه الحصير ثم لبعض الأدوات منه •

صناعات من سعف النخيل

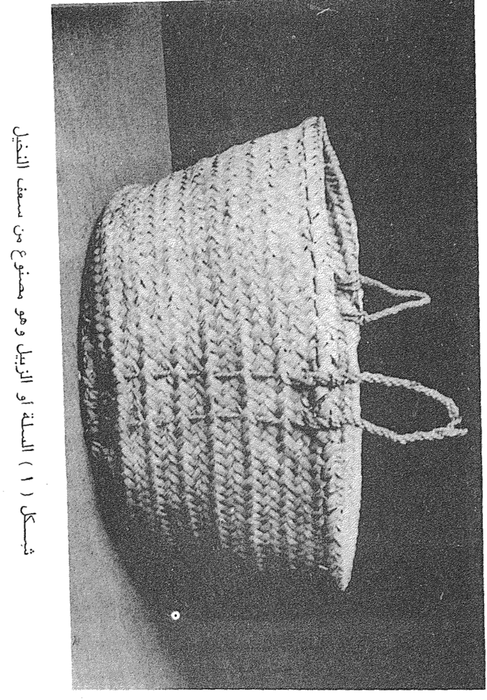
لزراعة نخيل التمر فى عمان أهمية كبيرة فقد كانت حتى عهد قريب المحصول الأساسى الذى يقوم عليه النشـــاط السكانى • فهى مصدر بالغ الأهمية حيث تعطى بوفرة بالغـــة ثمارا حلوة المذاق يتخذ منها الســكان طعامهم الرئيسى ومن مجموع ١٠٠٠٠٠ فدان المزروعة فى البـلاد تشمل مساحات زراعة النخيل حوالى ٥٥٠٠٠ فدان يزرع عليها حوالى مليونى نخلة وتوجد هناك أصناف عديدة من التمر العمانى تقدر بـــ ٩٣ صـــنفا ولا ريب أن أغلب الانتاج يستخدم داخــل البلاد ويصدر جزء منه الى الخارج بعد تجفيفه فى أغلب الأحيان •

والى جانب محصول التمر تقوم على شجرة النخلة صناعات سعفية عـــديدة فمن السعف أو الأوراق الصغيرة التى توجـــد بطـــول جانبى الأغصان تصنع أشرطة مختلفة العرض والطول تحـــاط بعد ذلك لتصنع منها الظروف والزبلان والسميم • وهى تحاط بمهـــارة وسرعة بواســـطة حبال رفيعة صنعت من ليف النخيل وتســـتخدم بعض الأوانى السعفية لنقل المواد الغذائية وعلى وجه الخصوص التمر • أما جذع النخلة فتصنع منه الأخشاب لبناء المنازل الطينية • ومن العذق تصنع المناسف والمناغظ والمشاخل • اما الزور « الجريدة » فتصنع منه المبـــاخر واقفاص للطيور والدوابى لصيد الأسماك فى حين يحـــرق الكرب مع المحـــار لصناعة الهك الذى تطلى به شـــباك الصـــيد بالاضـــافة الى اســـتخدامه كاشـــارات للصـــيادين •

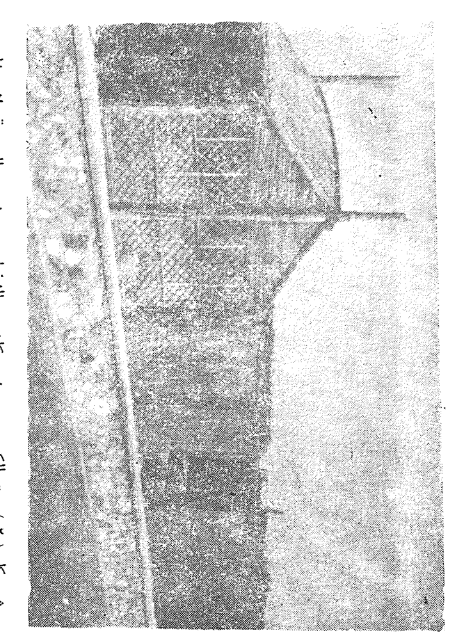
ومع بداية الصيف يتم قطـــع السعف من النخيـــل لاستخدامه فى الصناعات السعفية والعذوق بعد الجـــداد • ويفضـــل الأهالى بعض أنواع

السعف مثل أطبلى والفرض لأنه أنعم وأدق للصناعات السعفية وقبل الصناعة يترك الخـوص فى الماء لمدة نصف سـاعة لتلينـه وفى حـالة تركه لمدة أطـول يصبح لونه اسود غير صـالح للاستعمال ويفضـل عادة الخوص الأخضر للصناعة • ويستخدم أيضا الخوص اليابس وعلى وجـه الخصوص فى صناعة ظروف التمر • وتستخدم أيضا الصناعات السعفية لفرش أرضية المنازل وفى الحياة اليومية للأسرة العمانية فهى تعتبر من اللوازم الأساسية للبيت العمـانى فى الريف ، وعلى الرغم من عدم اقبال الأهالى كالسـابق على هذه الصناعات غـير أنه بدأ فى الأونة الأخـيرة الاهتمام باحيـاء الصناعات السـعفية بتشجيعها واعادتها الى سـابق ازدهارها •

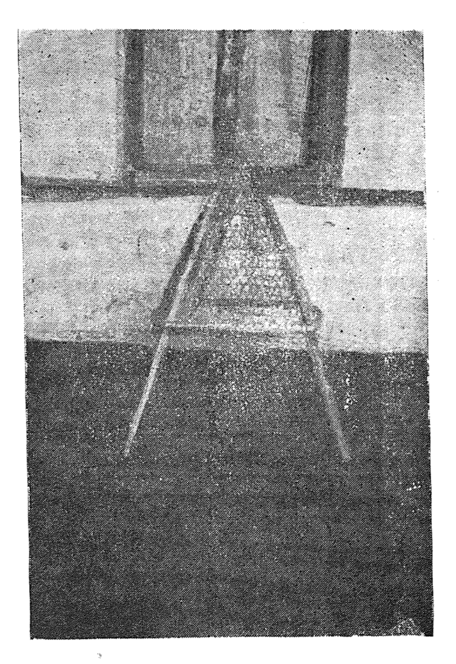
وفيما يلى صور بعض الأدوات السعفية



شكل (١) السلة او الزنبيل وهو مصنوع من سعف النخيل



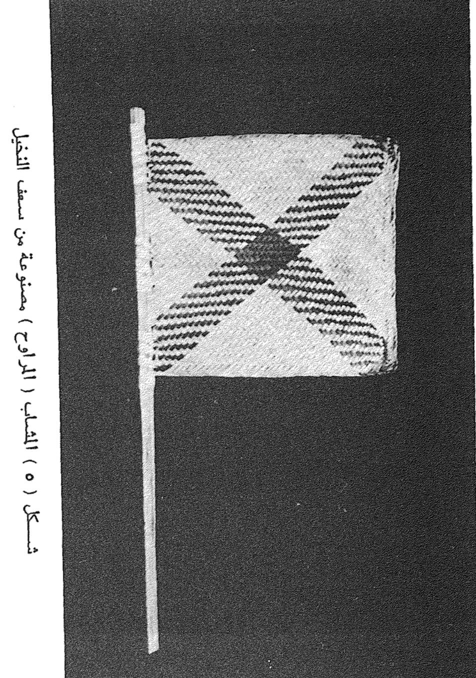
شكل (٢) بيت الكرجين مصنوع كله من النخيل وهو شديد التهوية ولا يدخل فى صناعته أى مواد غير النخيل وهو موجود بالمناطق الداخلية من عمان ويمتاز بالشكل الزخرفى الجميل



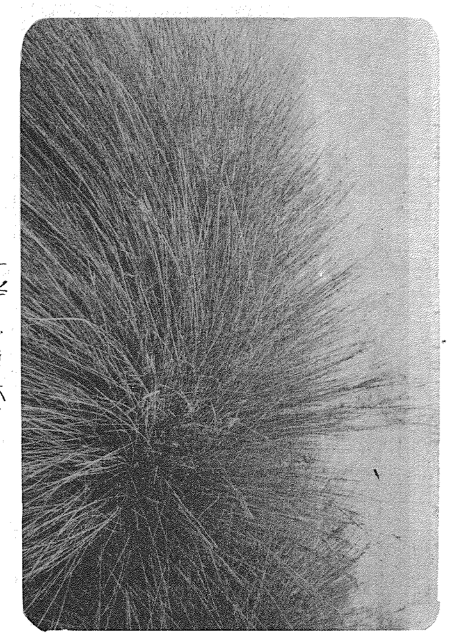
شـــكل (٣) المبخرة وتستعمل لتعلق عليها الملابس
لتبخيرها وهى مصنوعة من سعف النخيل



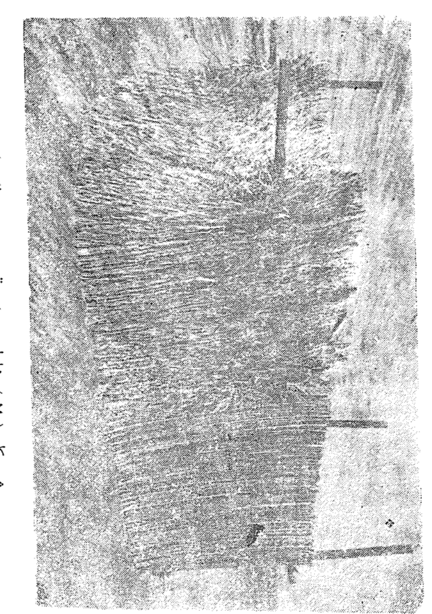
شكل (٤) حقيبة مبتكرة لحفظ الأغراض مصنوعة من سعف النخيل



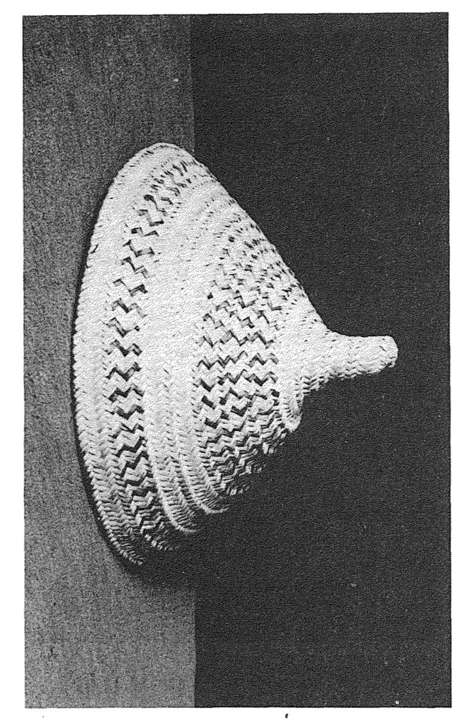
شكل (٥) القلاب (الراوح) مصنوعة من سعف النخيل



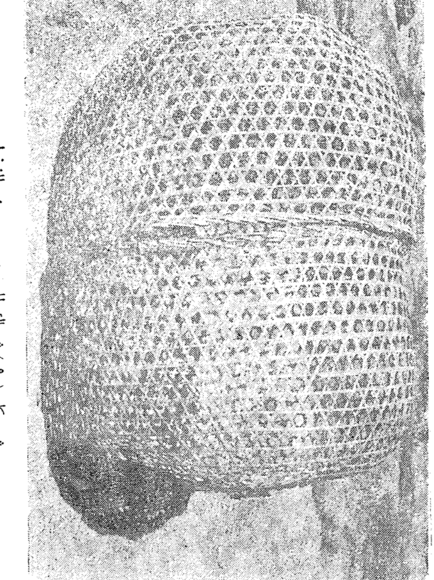
شكل (٦) شجر الاسل



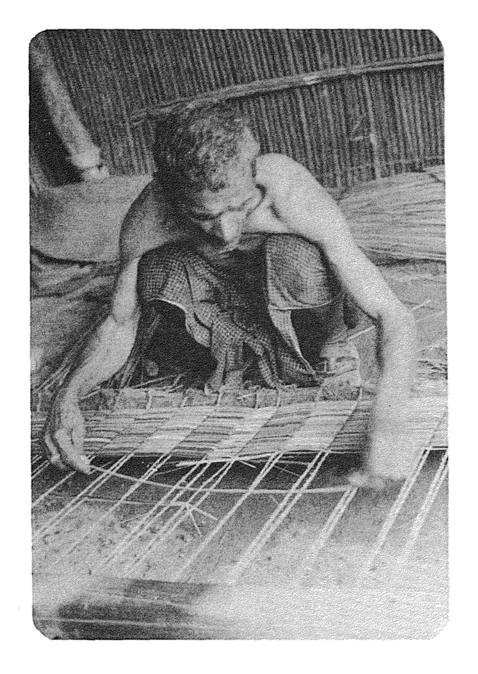
شكل (٧) منازل مصنوعة من سعف النخيل



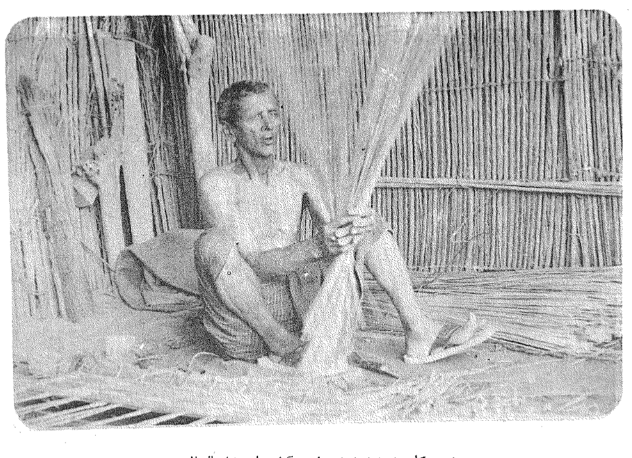
شكل (٨) نموذج شت يستخدم لتغطية الطعام



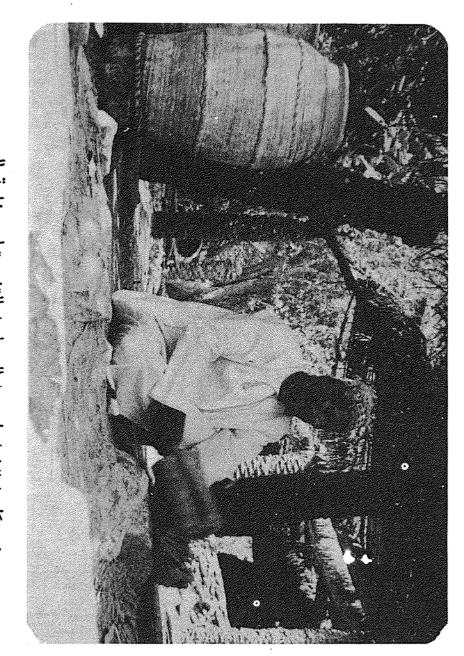
شكل (٩) شباك للصيد من سعف النخيل



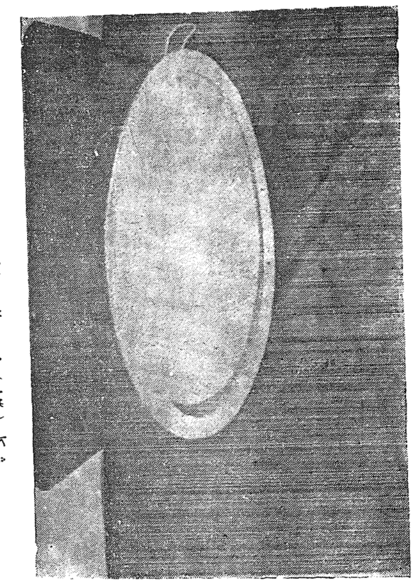
شكل (١٠) صناعة الحصر



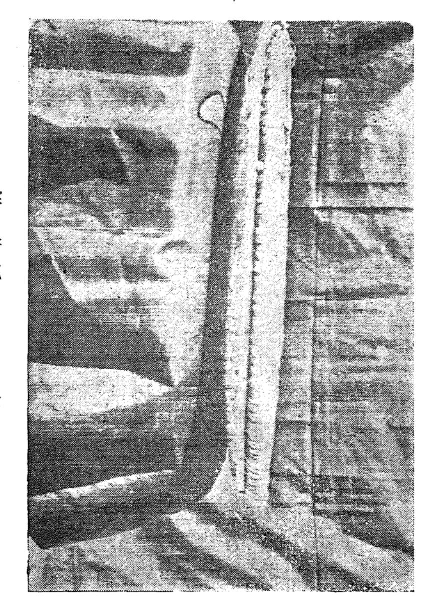
شكل (١١) نموذج آخر لصناعة الحصر



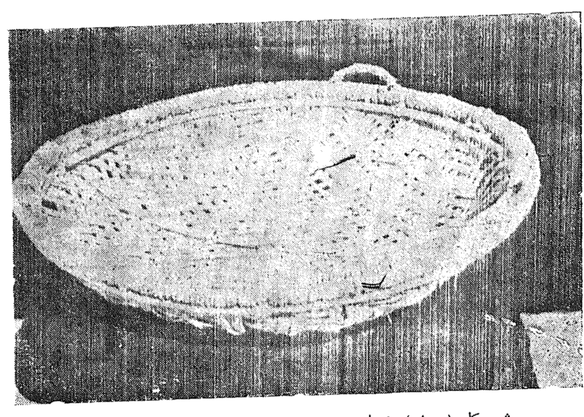
شكل (١٢) تليين (الرسل) القش قبل صناعة الحصر



شكل (١٣) منسف للبر والأرز من سعف النخيل



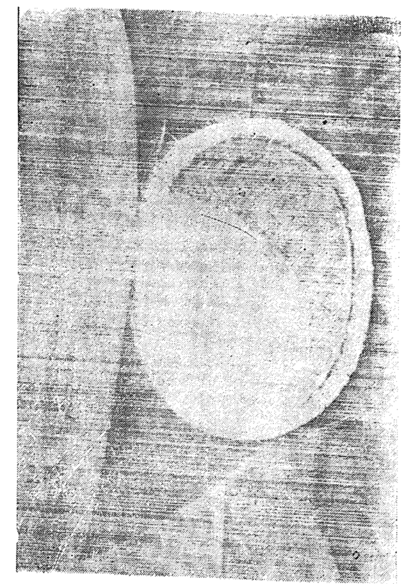
شكل (١٤) منفسف آخر للبر والأرز



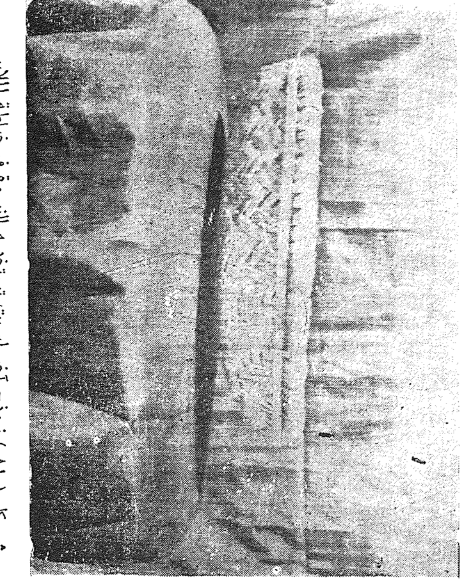
شـــكل (١٥) منفط مصنوع من سعف النخيل للرطب (البلح)



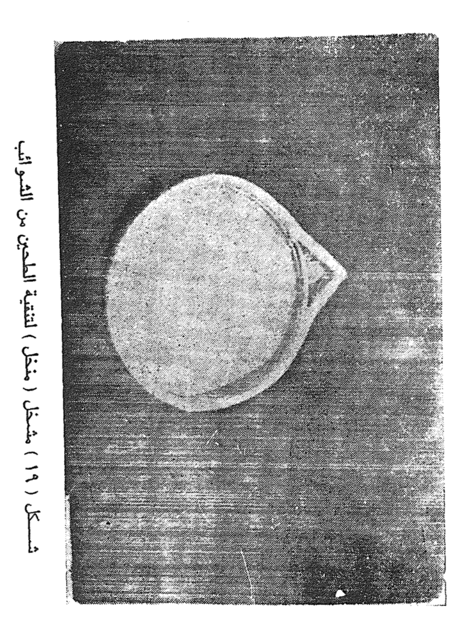
شـكل (١٦) منظر آخر من سعف النخيل يوضح فيه الرطب (البلح)



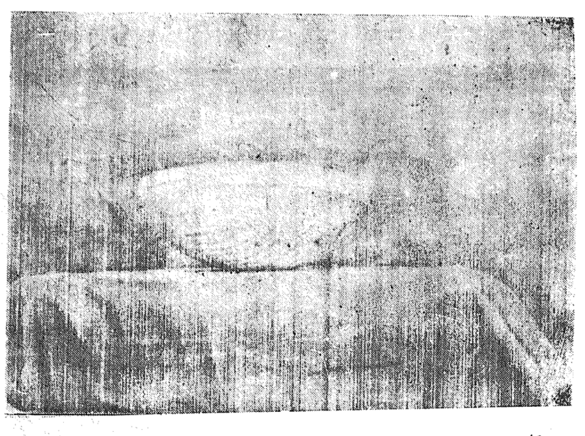
شكل (١٧) سبت مصنوع من سعف النخيل وتستخدمه النسوة لخياطة الملابس



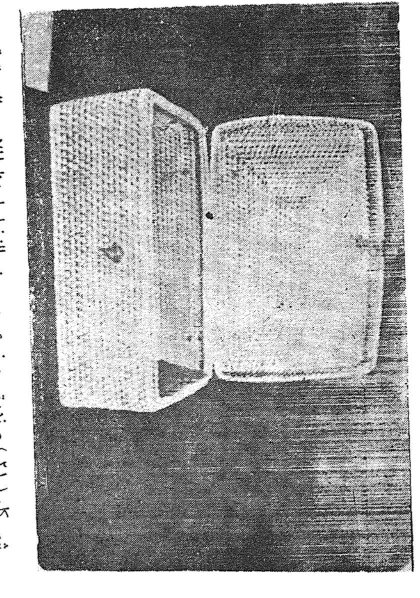
شكل (٨١) نموذج آخر لسبت تستخدمه النسوة في خياطة الملابس



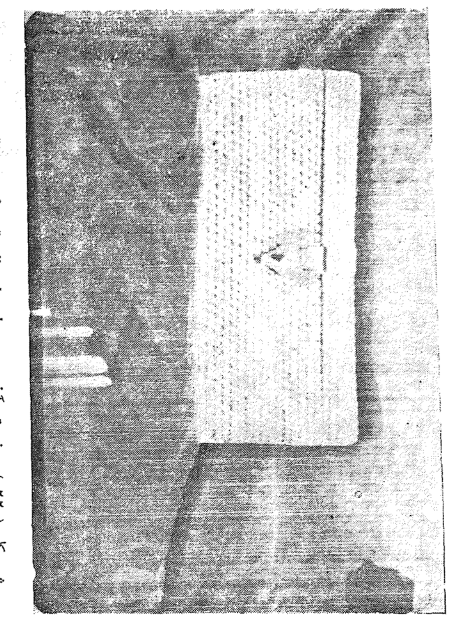
شكل (١٩) مشخل (منخل) لتنقية الطحين من الشوائب



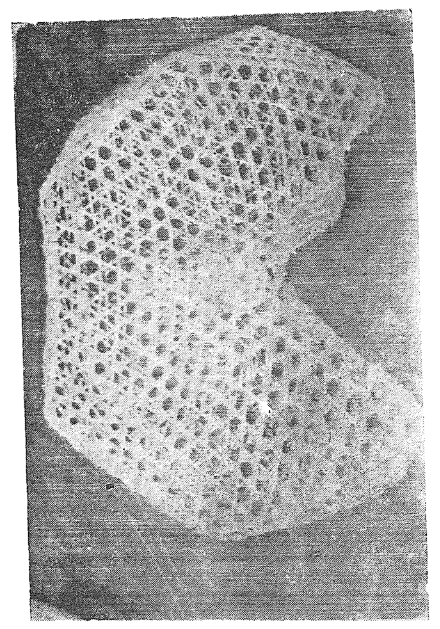
شكل (٢٠) نموذج آخر لمشخل (منخل) لتنقية الطحين والحبوب من الشوائب مصنوع من السعف



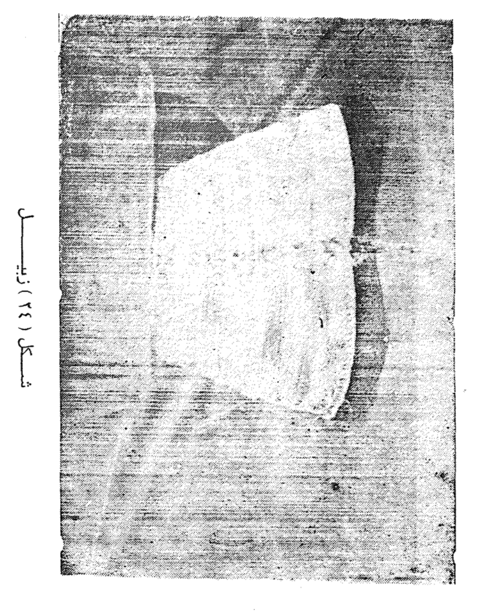
شكل (٢١) صندوق مصنوع من سعف النخيل لحفظ الملابس النسائية



شكل (٢٢) صندوق آخر يدل على الدقة والمهارة فى الصنع
لحفظ الملابس النسائية



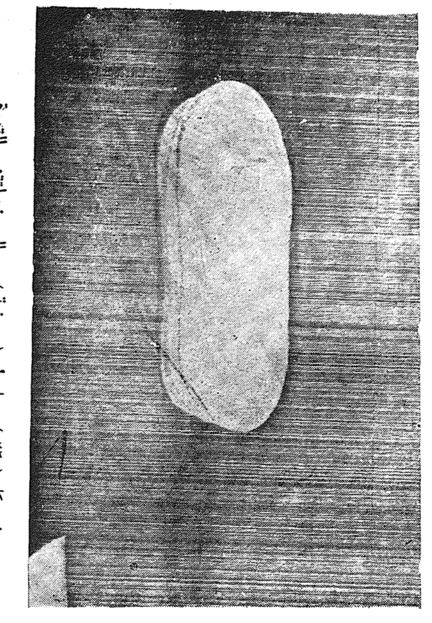
شكل (٢٣) دوباية او قرقور لصيد السمك



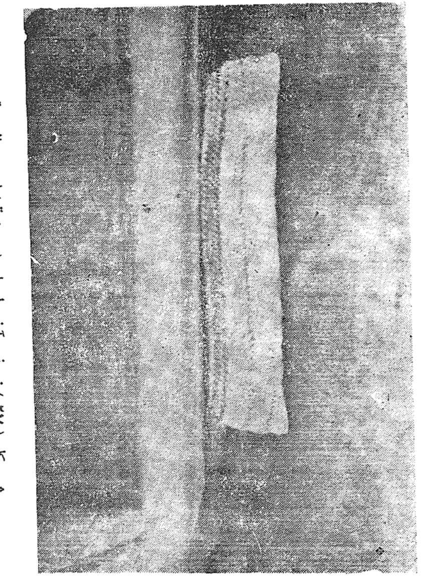
شكل (٢٤) زنبيل



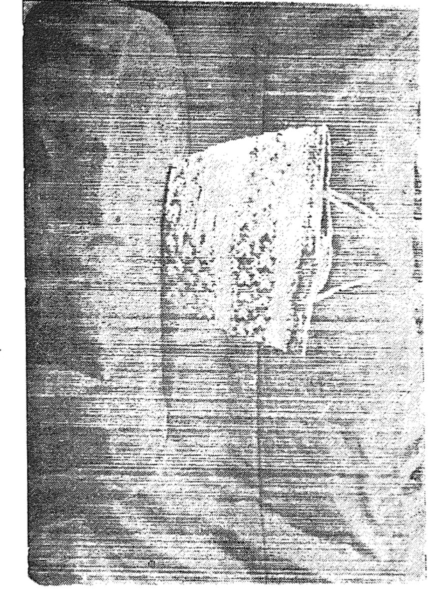
شكل (٢٥) نموذج آخر للزنبيل مصنوع من سعف النخيل



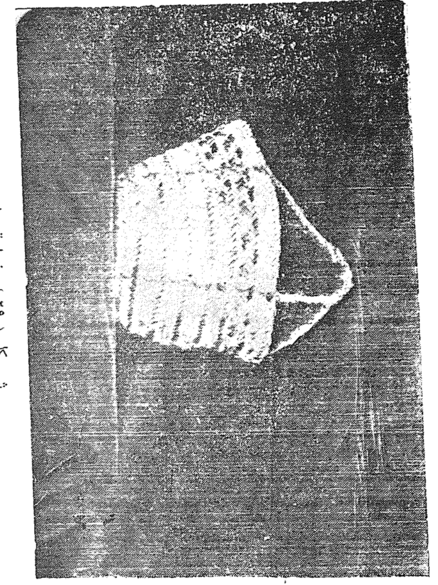
شـكل (٢٦) مرباع او (صينية) من السعف لتقديم القهوة



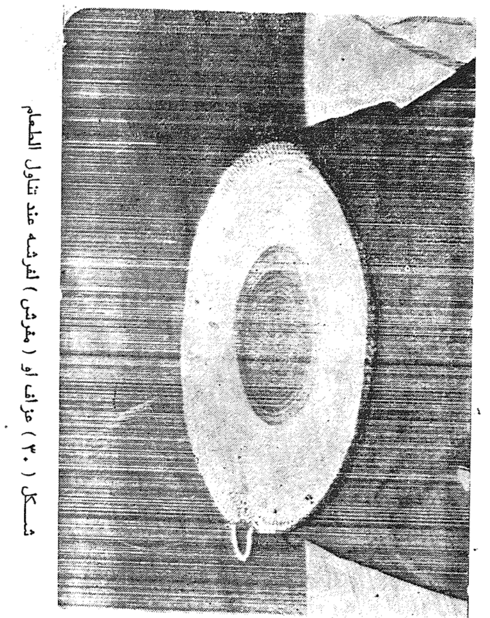
شكل (٢٧) نموذج آخر لرباع (صينية) لتقديم القهوة



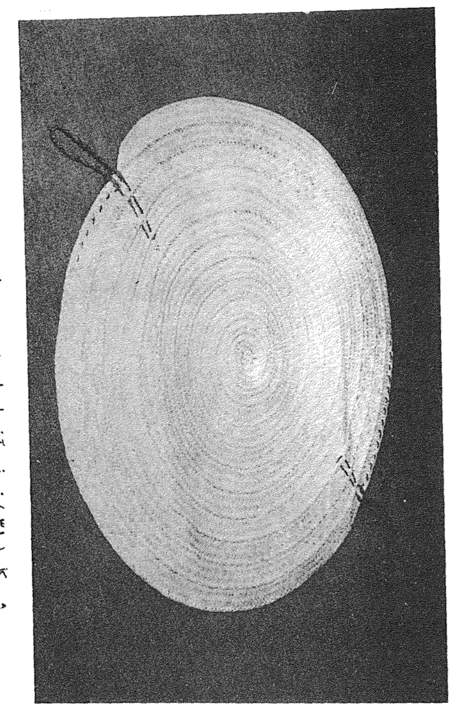
شكل (٢٨) مخرافة رطب



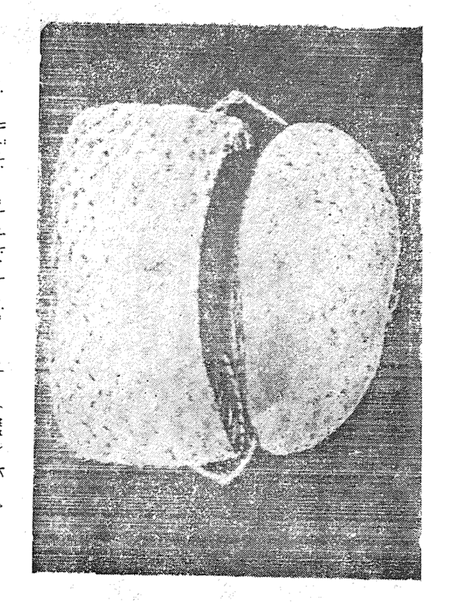
شكل (٢٩) مخرافة رطب



شكل (٣٠) عرافة او (مفرش) لفرشه عند تناول الطعام



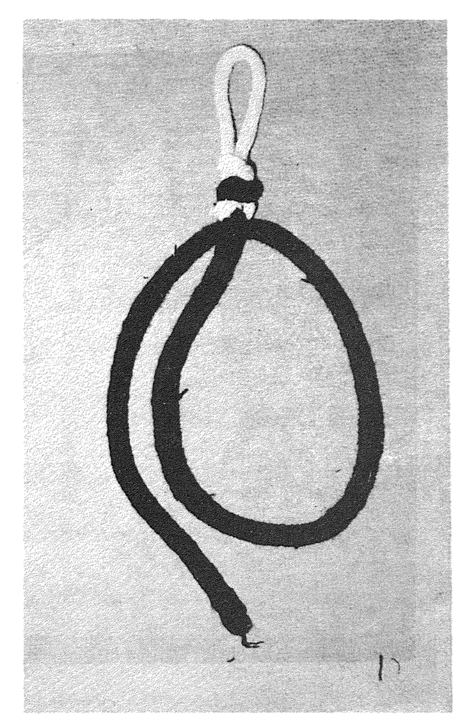
شكل (٣١) نموذج آخر لغزاف (مفرش) لفرشه عند تناول الطعام



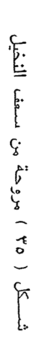
شكل (٣٢) مرباع ويستخدم لحفظ أدوات صناعة السعف



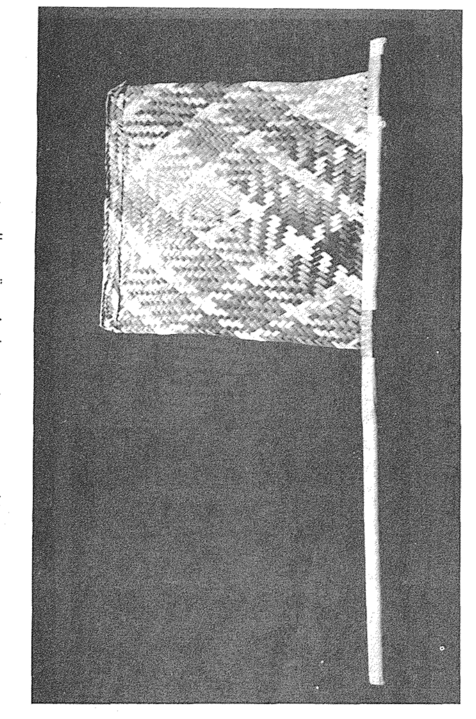
شـكل (٣٣) نموذج آخر لرباع لحفظ أدوات صناعة السعف



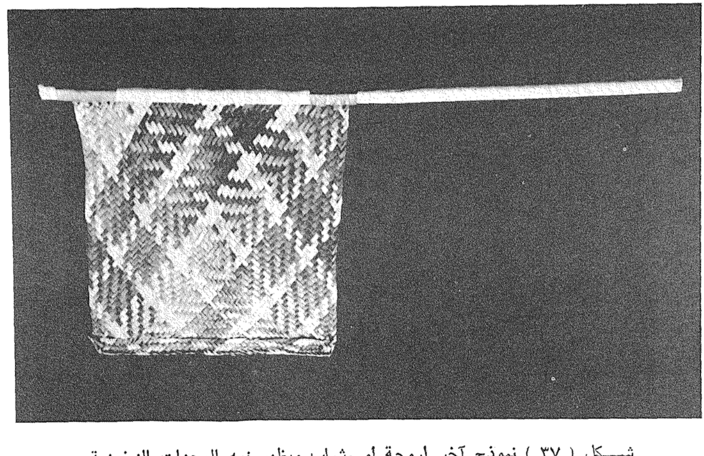
شكل (٣٤) مكنسة او مخمة او مجمعة لتنظيف المنزل من سعف النخيل



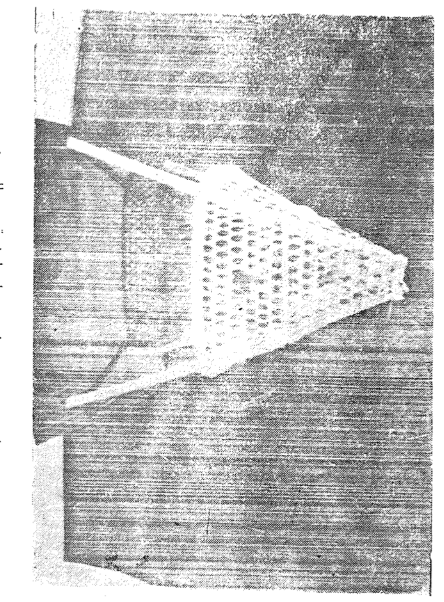
شكل (٣٥) مروحة من سعف النخيل



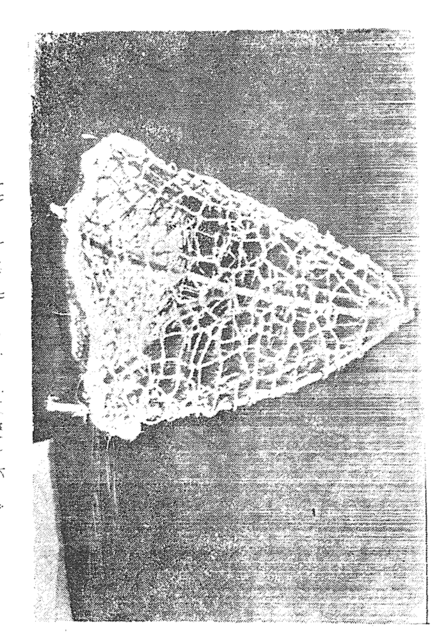
شكل (٣٦) نموذج جميل لروحة من السعف



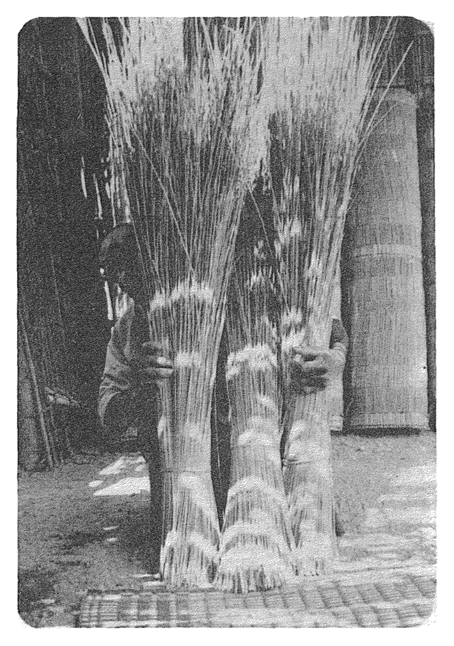
شـــكل (٣٧) نموذج آخر لمروحة أو مشاب ويظهر فيه الوحدات الزخرفية الجميلة ودقة الصنع



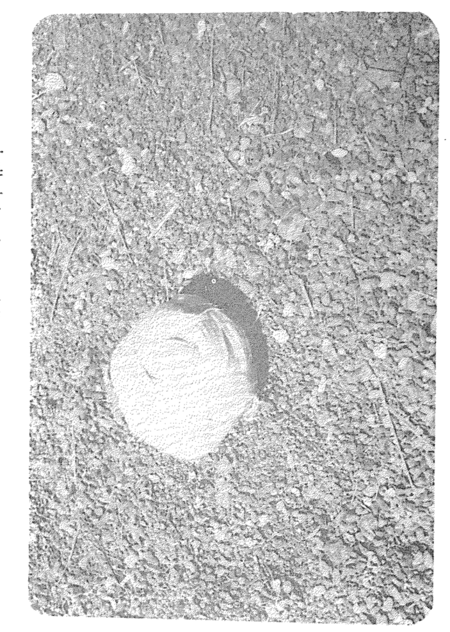
شكل (٣٨) نموذج جميل لجذرة من السعف



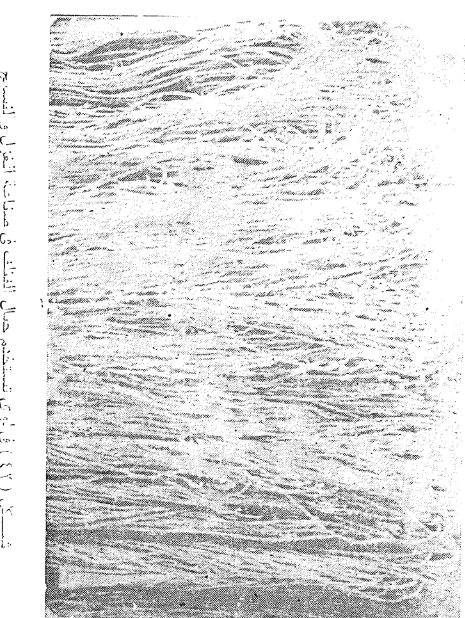
شـــكل (٣٨) فخ مصنوع من السعف لصيد الطيور



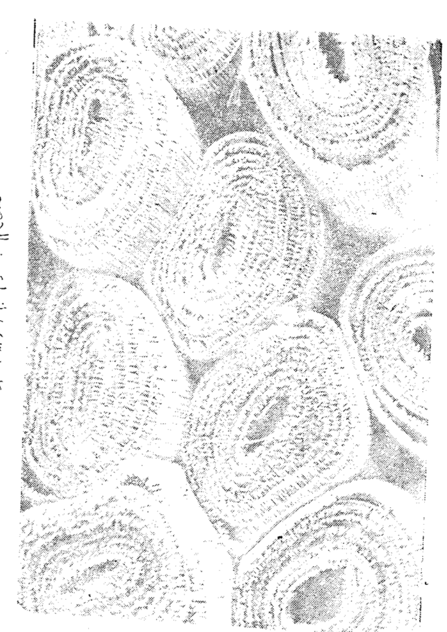
شكل (٤٠) رسل من وادى الروضة مصمم كما يجلس صناع لوى الرسل أيضا من وادى الملح بشناص ويسمى الرسل هنا أسل وهو أكثر جودة من رسل المنظرية فى حطاط



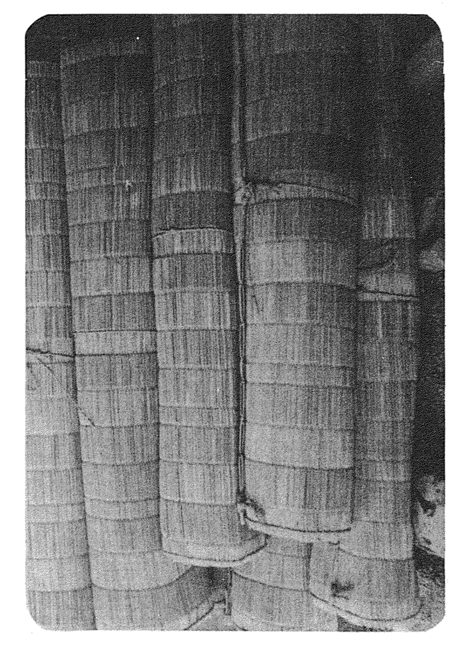
شكل (٤١) فى فنجا والفليج يستخدم غزل القطن



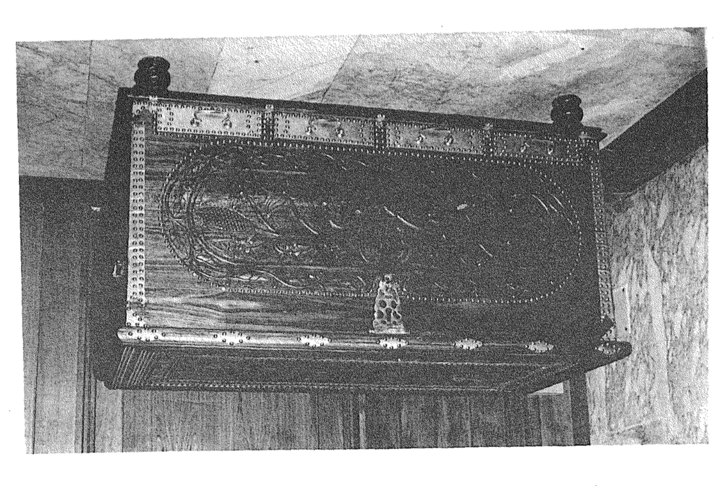
شكل (٤٢) ألياف تستخدم حبال الفلك في صناعة الغزل و النسيج



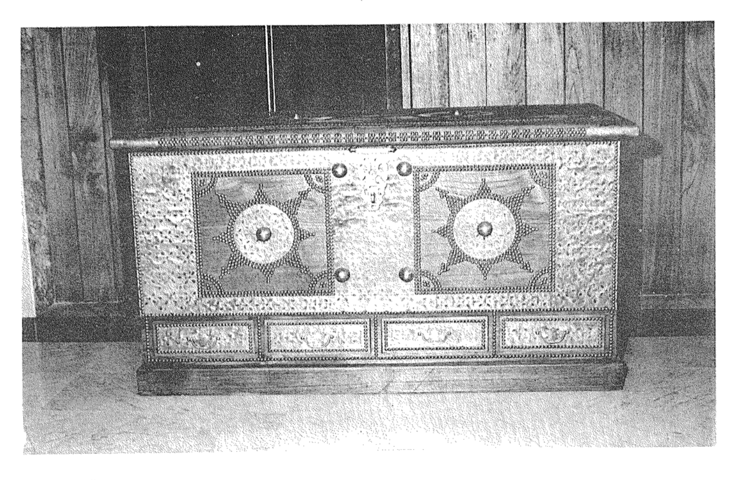
شكل (٤٣) أنواع من الحصير



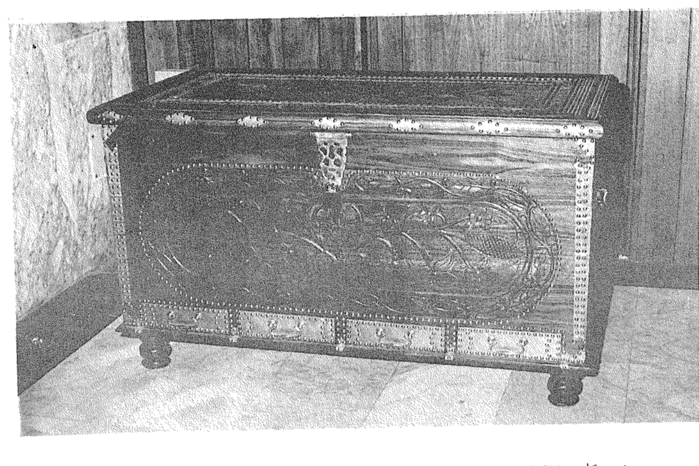
شكل (٤٤) أنواع أخرى من الحصير



شكل (٤٥) مندوس مصنوع من الخشب ويتضح فيه النقش البديع والدقة في الصناعة



شكل (٤٦) منديس آخر من الخشب مزخرف بزخارف جميلة ونقوش بديعة



شكل (٤٧) منديس (صندوق) جميل لحفظ الملابس والأشياء الثمينة مصنوع من أجود أنواع الخشب وتظهر فيه النقوش البارزة والمحفورة فى تناسق هندسى بديع ودقة فى الصنع



صناعة الفخار

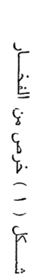
مقدمة تاريخية

تعتبر صناعة الفخار من الحرف التقليدية التى اهتم بها العمانيون منذ القدم وقد ساعدتهم على ذلك توفر عجينة المدر التى امتازت بها بلادهم التى تصلح بنوع خاص لصناعة الأوانى الفخارية كما لاحظنا ذلك فى بهلا . ويذكر الأهالى فى هذه القرية بأن صناعة الفخار انحدرت اليهم عن طريق الوراثة فهناك سهولة طبيعية بأن يتعلم الابن حرفة والده ثم يعلمها بدوره لأبنائه حيث انتقلت الحرفة عن طريق أفراد الأسرة على مدى الأجيال ؛ ولاغرو فقد كانت لعمان شهرة واسعة منذ أقدم العصور حيث تحدثنا التنقيبات الأثرية التى أجريت فى كل من بات ؛ والعرجا ؛ ووادى سمد بأن صناعة الفخار كانت منتشرة فى عمان خلال الألف الرابعة قبل الميلاد وتعتبر مخلفاته الأثرية تفوق غيرها من أى مادة أثرية أخرى مكتشفة فى البلاد وقد استخدم الفخار خلال تلك الحقبة التاريخية البعيدة فى الطقوس الدينية القديمة لتقديم القرابين من الطعام والشراب ووضعه فى القبور • وقد أيدت الدراسات الأثرية العمانية بأن الفخار المكتشف يعود الى فترة الحضارة السومرية القديمة فى بلاد ما بين النهرين فى « أور » وجمده نصر ؛ كما تأثر الفخار العمانى أيضا خلال هذه الفترة بما ورثه الصناع العمانيون من الأساليب الايرانية فى جنوب الخليج وجنوب ايران ، حيث دلت الشواهد الأثرية على وجود صلات تجارية خارجية منذ القدم بين هذه المناطق الحضارية وعمان • وفى الفترة الاسلامية وجدت قطع فخارية فى وادى بنى خروص تشير الى مجموعة فخار سامراء وسيراف ، واليمن ، أما خلال فترة حكم دولتى اليعاربة وآل بوسعيد ، فقد وجد فى كل من رأس الحد وصور وقريات وصحار ومسقط وبهلا مجموعة من القطع الفخارية تشبه الى حد كبير ما عثر عليه فى جيدى وجزر لامو بشرق أفريقيا •

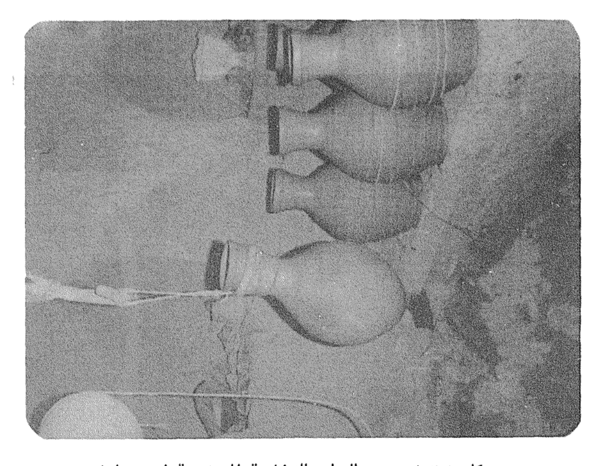
وسوف تزيدنا دراسة المجموعة الكاملة للفخار المكتشف فى مختلف مناطق عمان على فهم الأسس التى قامت عليها الحياة الاقتصادية خـــلال العصــور القديمــة •

ولاشك أن هناك العديد من الملاحظات يجدها الباحث عند زيارته لمختلف مراكز الصناعات الفخارية العمانية ، فعمان ملتقى للحضارات القديمة ، والبوتقة التى صهرت مختلف التأثيرات الحضارية القادمة من البلاد المجاورة ففى كل من بهلا ومسلمات وصحم توجد التأثيرات السومرية القديمــة واضحة للعيان فى بهلا فعجلة الفخار « القالب » سومرى لايزال يستخدم حتى الآن ، أمــا مصنع ســور الشادى فى صحم فقد تأثر بالنمط الايرانى فى صناعة الفخار فقالب الصناعة ، وشــكل المهبة ، وطريقة التشكيل ، والمسميات الفارسية لاتزال تستخدم حتى وقتنا الحاضر • فى حين تأثرت صناعة الفخار فى مسلمات بالنمطين السومرى والايرانى فقالب الفخــار ســومرى وطريقة ضرب الفخار ايرانية •

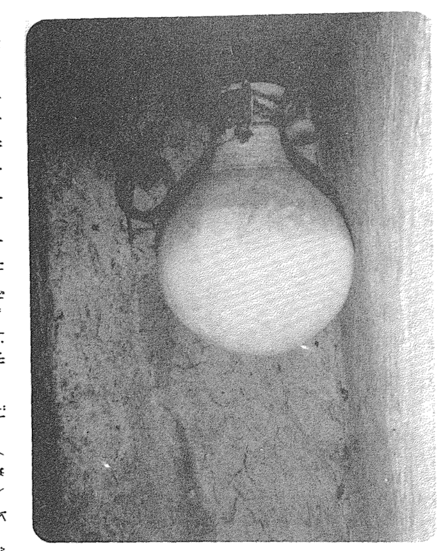
وفيما يلى بعض نماذج من صناعة الفخار :



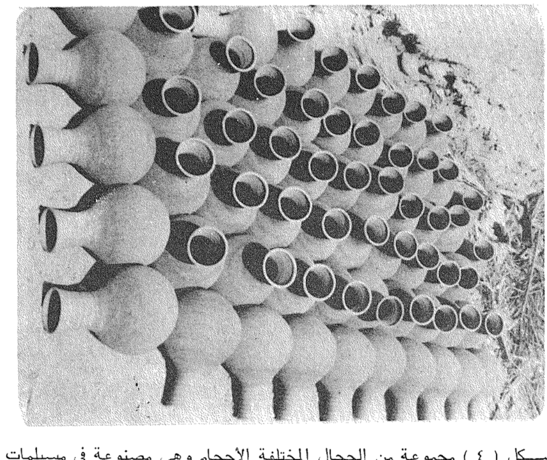
شكل (١) خرص من الفخار



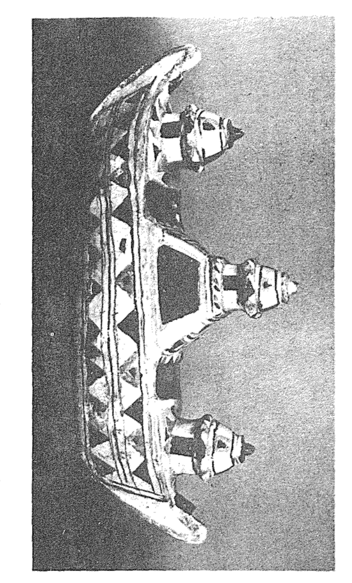
شـــكل (٢) بعض القطع الفخارية المصنوعة فى مسيلمات



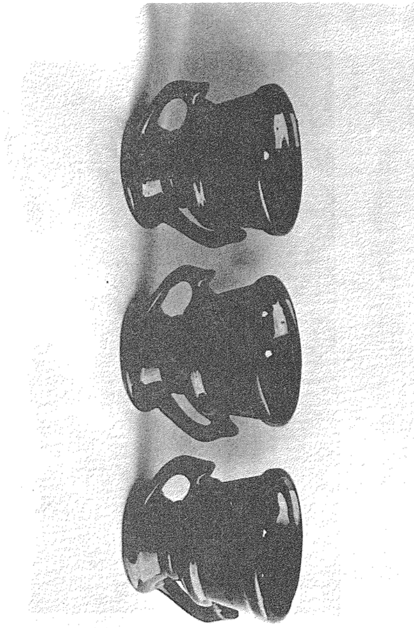
شكل (٣) جحلة من الفخار تملأ بالماء وتعلق في الهواء لتبريد الماء



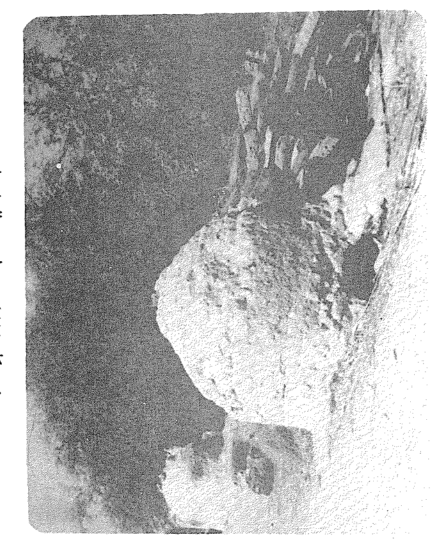
شكل (٤) مجموعة من الجحال المختلفة الأحجام وهى مصنوعة فى مسيلمات



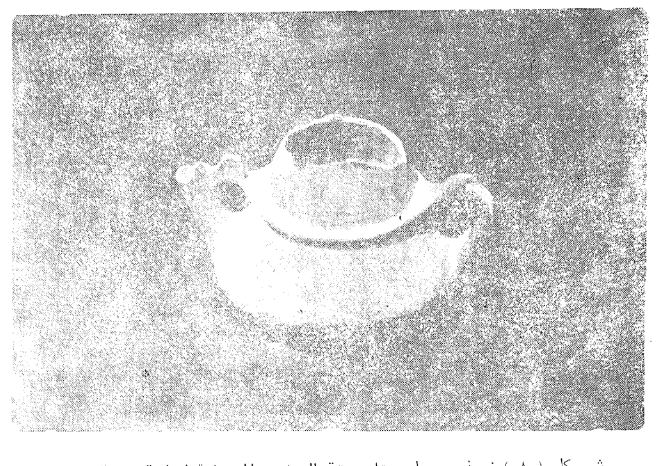
شـــكل (٥) نموذج جميل لجرة عمانية مصنوعة من الفخار



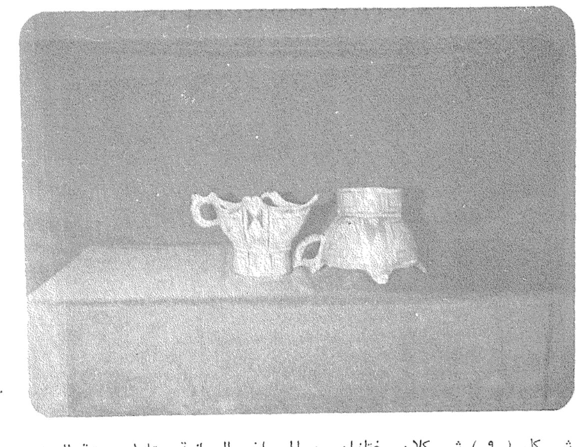
شكل (٦) ثلاثة نماذج للمجامر العمانية مصنوعة من الفخار



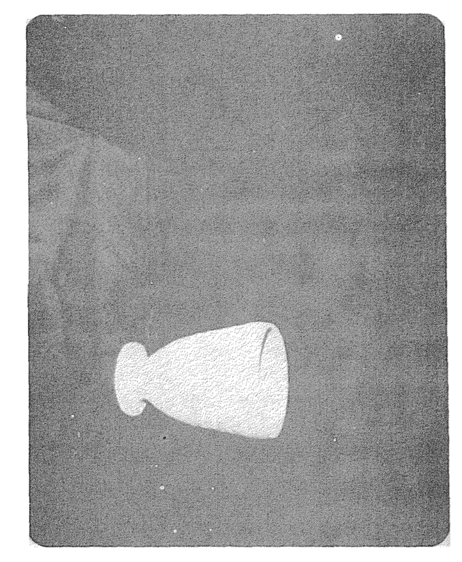
شكل (٧) فرن لحرق الفخار



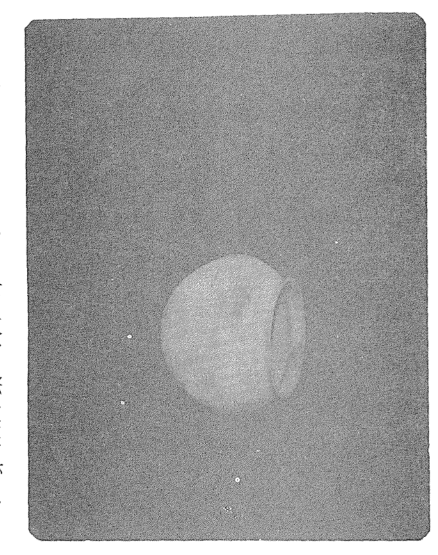
شكل (٨) نموذج جميل يمتاز بدقة الصنع والمهارة لقطعة من الفخار



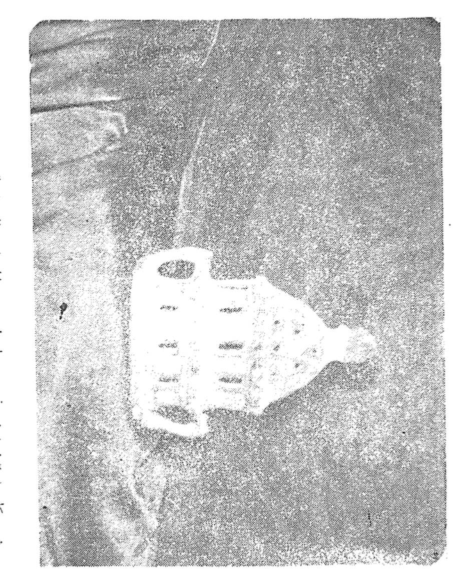
شكل (٩) شكلان مختلفان من المباخر العمانية يمتازان بدقة الصنع
والألوان الجميلة المتناسقة



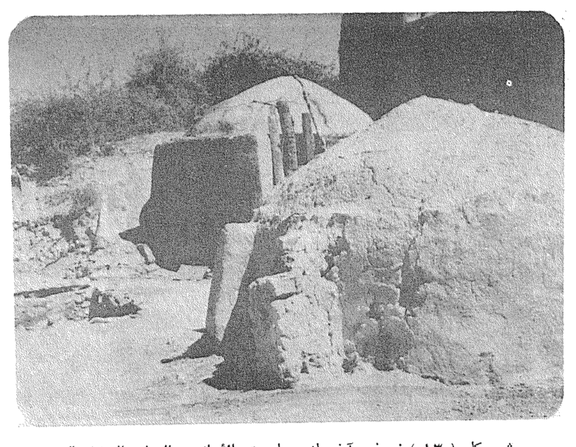
شـكل (١٠) نموذج لقطعة فخارية تمتاز بالدقة



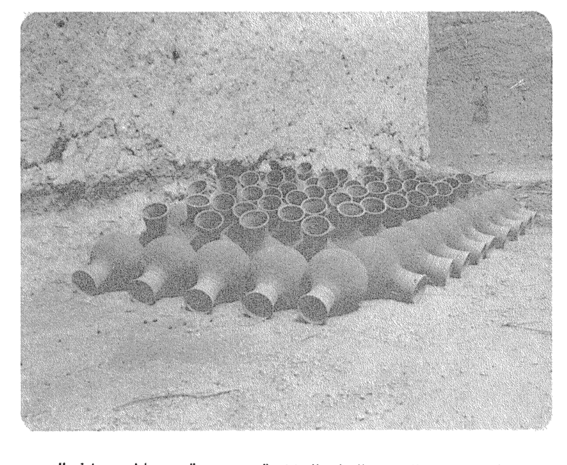
شكل (١) شكلان مختلفان (ابريق وكوب) مصنوعان من الفخار



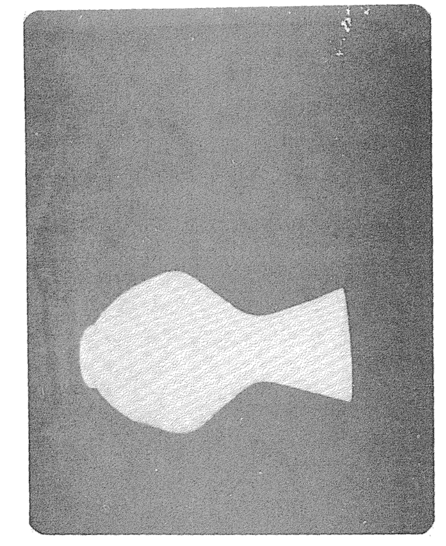
شكل (١٢) نموذج جميل لبعض المجامر العمانية مصنوع من الفخار



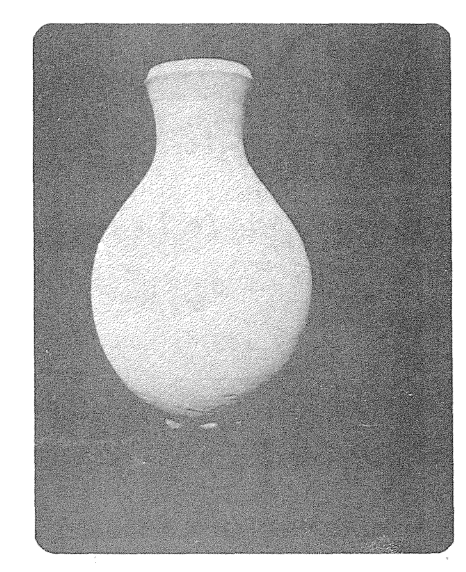
شــكل (١٣) نموذج آخر لفرن لحرق الأوانى والقطع الفخارية



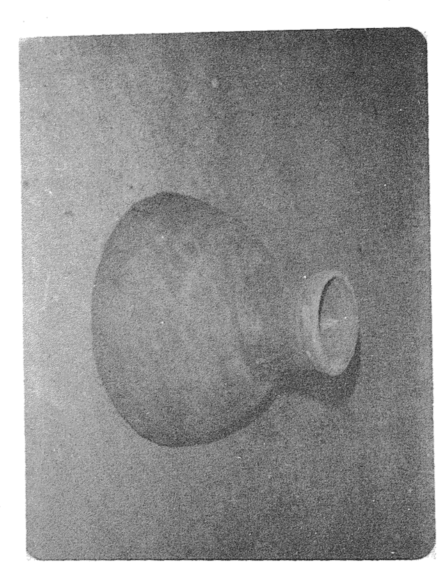
شــــكل (١٤) نماذج من القطع الفخارية مرصوصة تمهيدا لحرقها فى الفرن



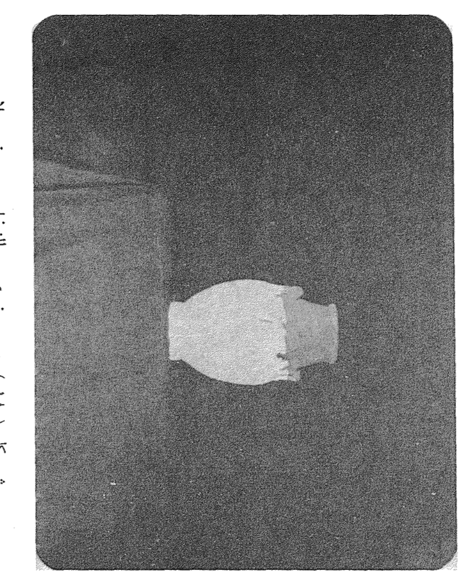
شكل (١٥) جحلة من الفخار من صنع بهلا



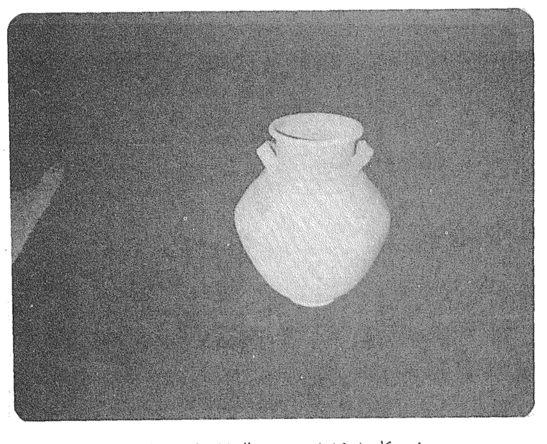
شكل (١٦) جحلة من الفخار من صنع مسلمات



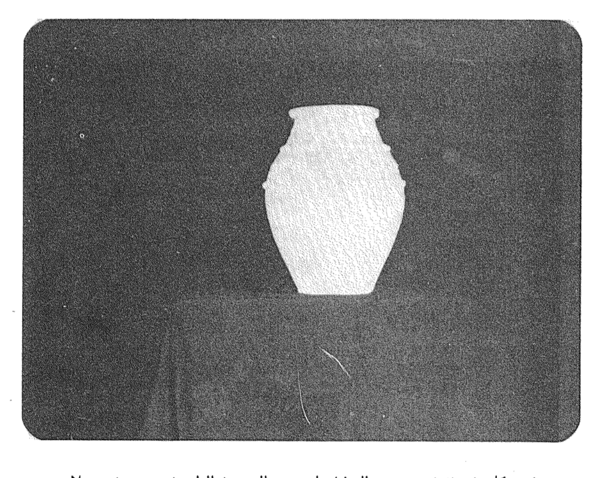
شكل (١٧) جحلة من الفخار مزينة بأشكال هندسية من صنع صحم



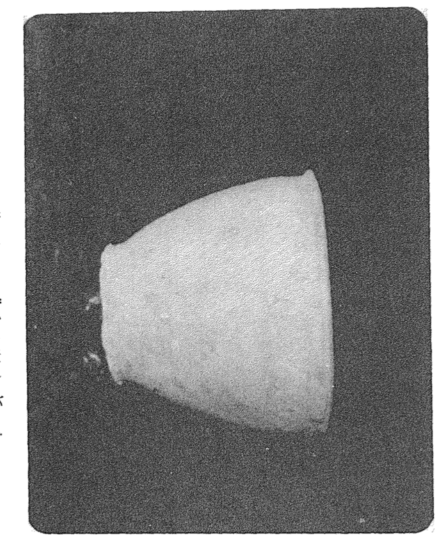
شكل (١٨) جر مصنوع من الفخار من صنع بهلا



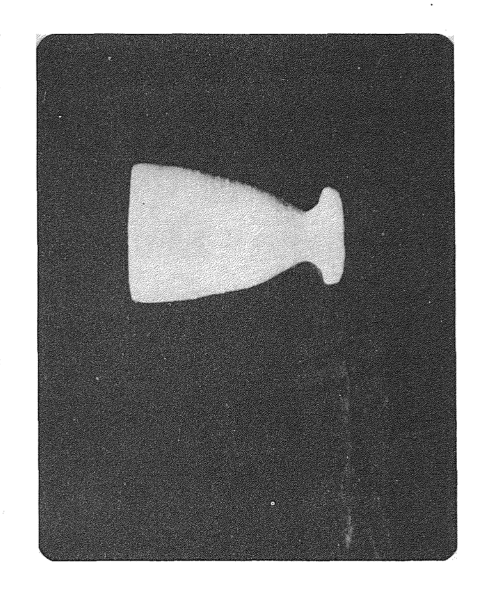
شـــكل (١٩) جر من الفخار فى مسيلمات



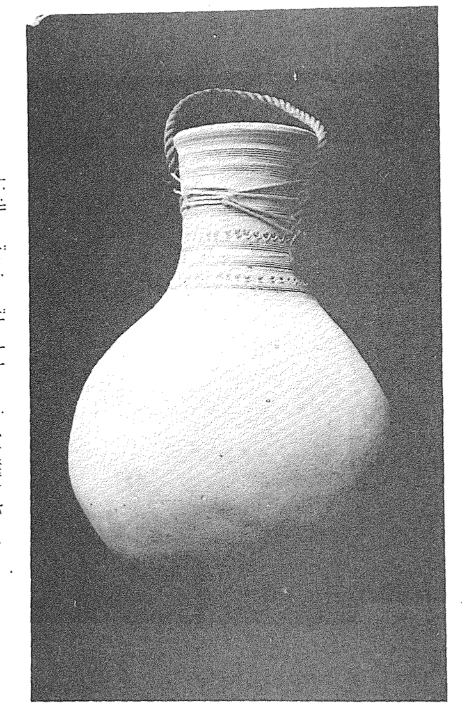
شــــكل (٢٠) جر من الفخار لوضع التمر (البلح) من صنع بهلا



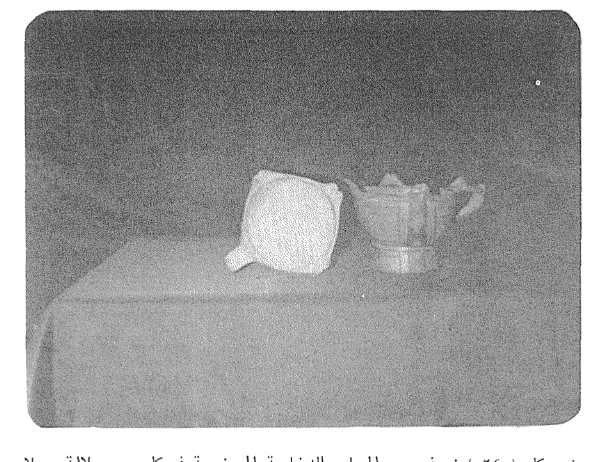
شكل (٢١) مكبة مصوغات العرس في ببلا



شـكل (٢٢) كوب ماء من الفخار من صنع مسلمات ويسمى في بهلا كمبول



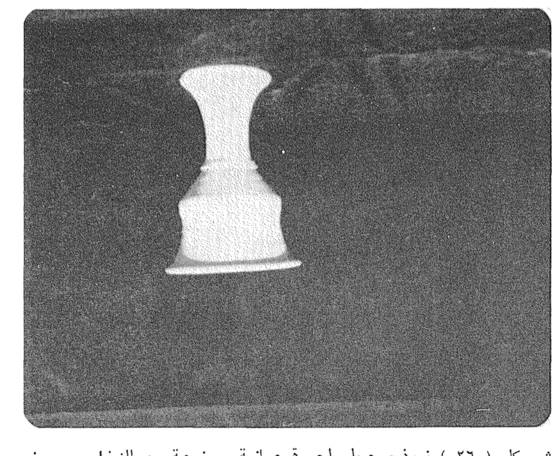
شكل (٢٣) نموذج جميل لحملة مصنوعة من الفخار



شكل (٢٤) نموذج من المجامر الفخارية المصنوعة فى كل من صلالة وبهلا ومسلمات وتستخدم المجامر لحرق اللبان والصمغ العربى فى الأعياد والمناسبات الدينية وحفلات الزواج والزار والختان والوفاة



شـكل (٢٥) نموذج آخر لمجمرة عمانية من مسلمات تستخدم لحرق البخور فى الأعياد والمناسبات المختلفة كما تستخدم أيضا لحرق بعض الأعشاب مثـل الجعدة لازالة حمى الأطفال أو شجرة الخظف عند الاصابة بالشلل



شـــكل (٢٦) نموذج جميل لمجمرة عمانية مصنوعة من الفخار من صنع مسلمات وصحار وبهلا تستخدم لحرق اللبان والصمغ العربى فى الأعياد والمناسبات المختلفة

صـــــناعة الهـــك

عرف أهل عمان البحر وعركوه وعملوا على استغلال ثرواته قــدر طاقتهم •وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة مثل الهند وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا .• وركبوا السفن للاتجار مع السواحل المقابلة لهم ، فباعوا فى أسواقها واشتروا • وقد أظهر أهــل السواحل منهم نشاطا فى ركوب البحر لا نجده عند أهل السواحل الغربية •

وبالاضافة الى التجارة خرج العمانيون للاستيطان فى مواطن جديدة وغريبة ونائية وكونوا هناك جاليات كبيرة استطاعت بمرور الزمن أن تشيد دولا وتقيم حضارات مزدهرة •

وفى العهود الاسلامية الأولى شارك أهل عمان فى الفتوحات العربية ونشر الدين الاسلامى الحنيف فى بقاع عديدة خارج حدودهم • كمـا استوطنت جماعات من بلاد أخرى الشواطىء العمانية ، ومن الدلائل الأثرية المكتشفة هياكل بشرية بأرض عمان تمثل الدرافيديين أى سكان الهنـد القدامى •

ومما لاشك فيه بأن اتجاه عمان الى البحر ساعد فى عزلتها عن بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فظهيرها الخلفى صحراء الربع الخالى حيث لا توجد أنهار تصل الداخل بالساحل ولكن الألسنة البحرية ساعدت على خلق موان ممتازة على الشواطىء العمانية مثل ميناء مسقط وفى العهـود القديمة ميناء سمهرم وميناء صحار •

والى جانب التجارة مارس سكان الشواطىء حرفة صيد الأسمـاك فعمان ذات ثروة سمكية وتمتد شواطئها مسافة ١٧٠٠ كيلو متر •

وقد ساعدت هذه أهل البلاد على اتقان صناعة شباك الصيد بمختلف أنواعها فهناك لياخ المقيلييى والمنصب والسينى والوهيفى والطريقى لصيد الأسماك الكبيرة أما فاروة القطين وفاروة الشريخ فهى لصيد البرية والبياح كما تصاد القشران والدبس بالدوبابة بالاضافة الى استخدام القرقور المصنوع من سعف النخيل لصيد الأسماك المتوسطة الحجم •

وكانت البرمة حتى عهد قريب تستخدم لصيد السوام بوضعها فى الساحل وتغطى بالليخ وتترك بواسطها فتحة لدخول الأسماك • وتعد هذه الطريقة احدى الطرق التقليدية القديمة التى كانت موجودة واندثرت فى الوقت الحاضر •

والمعروف أن بعض شباك الصيد يحملها الصياد بنفسه لصيد السمك من مسافة قريبة فى حين يحمل بعضها فى القوارب لرميها بعد ذلك والبعض الآخر يترك فى قاع البحر •

وقد كانت شباك الصيد تصنع فى الماضى من الغزل والنسيج أما فى الوقت الحاضر فتصنع الشباك من النايلون • ويذكر الأهالى بأن صناعة اللياخ من النايلون أكثر سهولة ويسرا أما صناعتها من الغزل والنسيج فهى أقوى وأكثر صلابة ولكنها تحتاج الى وقت طويل لصناعتها •

وتتم صناعة شباك الصيد فى السابق بجلب الغزل والنسيج من مسقط ويتم تقسيمه بين النساء أربعة أجزاء لغزله • وتجمع هذه الأجزاء فى قسم واحد ويحاس ثم يحك بواسطة حبل ليف ويطرق « يصنع » بعد ذلك بمسلاخ « لوح » ومرابة « زور » وتوضع الشبكة بعد صناعتها فى اناء كبير ويخلط مع الهك ويطبخ لمدة يوم وليلة لتقويته وجعله أكثر تماسكا ثم يغسل بماء البحر ليصبح جاهزا للرخى أى لصيد السمك •

وفى الحقيقة أنه بعد انتهاء الصناعة توضع على أطراف شباك الصيد الكبيرة كرب قم الذى يذكر الأهالى بأنه كان يجلب فى السابق من سقطره وبر المهرة • كما يوضع خرز من الرصاص وكرب قم على أطراف بعض شباك الصيد الصغيرة مثل فاروه القطين لصيد البرية •

ومما لاشك فيه بأن صناعة شباك الصيد فى الماضى القريب ترتبط بها صناعة الهك التى تعنى بالفارسية النورة • وتتم هذه العملية باحضـــار المحار « الصدف » من الشواطىء القريبة أى حوالى ٤٠٠ كليو جــرام بالاضافة الى حوالى ١٥٠٠ كربة نخيل وتحرق المحار ويجمع ويتم تكسيره على شكل قطع صغيرة الحجم ويوضع فى خصف من سعف النخيل ويخلط بماء البحر ويترك للتفاعل حتى يصبح شبيه بالنورة • وفى الحقيقة يستخدم الهك بعد تجهيزه بخلطه مع شباك الصيد المصنوعة من البح والغزل لتصبح هذه اللياخ أكثر متانة • كما يستخدمه الأهالى فى تجبير كسور العظام • ولاشك أن هذه الصناعة أى صناعة الهك قد انقرضت تماما وذلك بانقراض صناعة شباك الصيد التقليدية من الغزل والنسيج • ويمكن اعادة هـــذه الصناعة الى سابق عهدها اذا وضعنا فى الاعتبار بأن البحر العمانى ينضح يوميا بأطنان من هذه الأصداف الصغيرة وبالتالى تشكل مصدر رزق لبعض المواطنين العمانيين باحياء هذه الصناعة •

وســـوف تقوم وزارة التراث القومى والثقافة بأول تجربة لصناعة الهك ودراســـة امكانية تجربته فى عمليات ترميم المبانى التاريخية فى البلاد ، بالاضافة الى صناعة بعض المواد الأخرى التى سوف تصنع محليا مثل النورة والجص والصاروج •

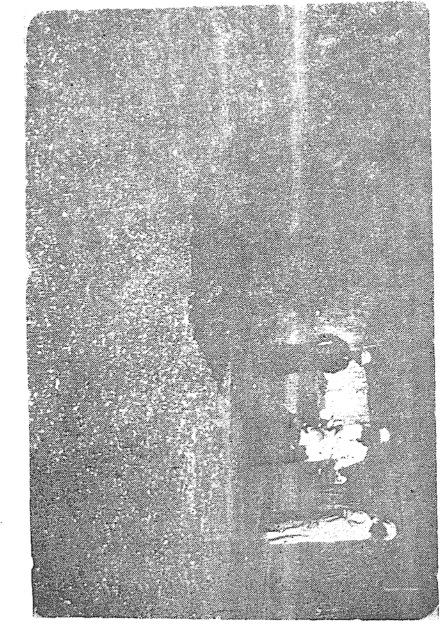
وفيما يلى بعض المناظر الخاصة بجمع المحار وحرقه وتكوين الهك •



شكل (٢٧) جمع المحار (الصدف) لصناعة اللؤلؤ



شكل (٢٨) وضع المحار بين كرب النخيل



شكل (٢٩) حرق الحار



شـــكل (٣٠) صناعة الهك من الصدف الى تجبير العظام

محتويات المجلد الرابع



٦ شارع البراموني ـ عابدين ـ القاهرة ت : ٩١٤٨٨١



